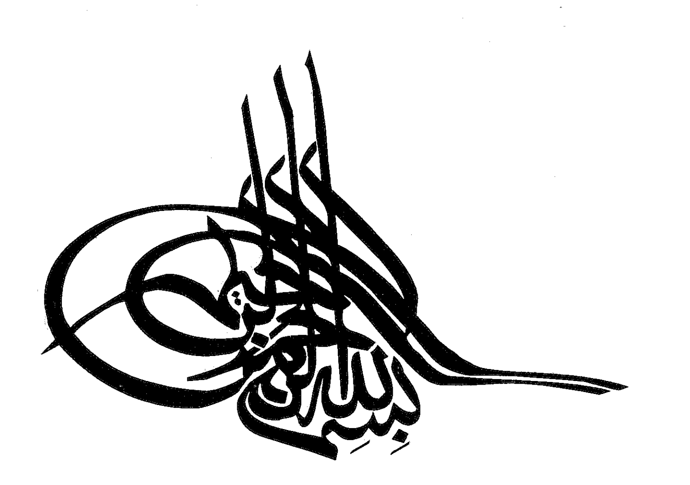
كتاب

أخبار المختار بن أبي عبيد الثقفي



كتاب

أخبار المختار بن أبي عبيد الثقفي

برواية أبي مخنف

لوط بن يحيى بن سعيد الغامدي الأزدي الكوفي
المتوفى سنة ١٥٧ هـ

استخراج وتنسيق وتحقيق

كامل سلمان الجبوري

دار المحجة البيضاء

دار الرسول الأكرم (ص)

الطبعة الأولى

٢٠٠٠م - ١٤٢٠هـ



بيروت - لبنان - حارة حريك - ص.ب : ١٤/٥٤٧٩
ت : ٠٣/٢٨٧١٧٩ - تلفاكس : ٠١/٥٥٢٨٤٧

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله على نعمه، وصلى الله على نبيه الكريم، وآله الطيبين الطاهرين، وصحبه المنتجبين.

قَسَّم العلماء رواية أحداث التاريخ الإسلامي بين ثلاثة رواة:

«أبي مخنف بأمر العراق وأخبارها وفتوحها يزيد على غيره، والمدائني بأمر خراسان والهند وفارس، والواقدي بالحجاز والسيرة، وقد اشتركا في فتوح الشام»[١].

وهنا تبرز أهمية أبي مخنف في تغطية أخبار ثلث أحداث العالم الإسلامي يومذاك..

ولغرض وضع القارىء أمام واقع أبي مخنف ورواياته وكتابه أود أن أضع خطوط عامة عن حياة هذا المؤرِّخ الجليل، وهي بطبيعة الحال لا تساعد على إيضاح الجوانب الهامة من حياته بصورة شافية وافية، ذلك لأن كتب الرجال والتراجم لا تسعفنا بترجمة وافية عن حياة هذا المؤرخ، وكلما نجده عن هذا الرجل في كتب الرجال والتراجم والفهارس أسطراً معدودات تهتم في العادة بتعداد مؤلفاته.

وقد استطعت أن أجمع بعض تلك الشتات وأقدمها لتكون تمهيداً لهذا الكتاب.

---

(١) ابن النديم: الفهرست ١٣٧، معجم الأدباء ١٧/ ٤١ـ ٤٣.

وسيكون حديثي أولاً عن أبي مخنف وما وصلنا من: نسبه وأسرته، وولادته ونشأته، وشخصيته ووثاقته، ومن روى عنهم، ومن رووا عنه، وروایاته وكتبه، ومن ترجم أو تعرض له.

ثم عن تأريخه هذا: التأريخ المفقود، كيفية جمع نصوصه، مصادرها ومراجعها، والتعامل معها.

أبو مخنف:

نسبه وأسرته:

لوط بن يحيى بن سعيد بن مخنف[1] بن سليم[2] بن الحارث بن عوف بن ثعلبة بن عامر بن ذهل بن مازن بن ذبيان بن ثعلبة بن الدؤل بن سعد مناة[3] بن غامد[4] - (واسم غامد: عمرو) - بن عبد الله بن كعب بن الحارث بن كعب بن عبد الله بن مالك بن نصر بن الأزد بن عمرو مزيقياء بن عامر ماء السماء بن حارثة الغطريف بن امرىء القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأزد بن الغوث بن نبت بن مالك ابن زيد بن كهلان بن سبأ[5] الأزدي الغامدي.

وكنيته: أبو مخنف - كمِنْبَر[6] -.

فهو غامدي، أزدي، كوفي، من أصل نابه، فقد كان جده مخنف بن سليم صحابياً روى عن النبي ﷺ، ومن أصحاب الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام شهد الجمل حاملاً راية الأزد فاستشهد في تلك الواقعة سنة ٣٦هـ[7].

---

(١) ترجمته في الإصابة ٣/ ٣٧٣، الاستيعاب ٤/ ١٤٦٧.

(٢) وفي جمهرة أنساب العرب ٣٧٧، ومعجم الأدباء ١٧/ ٤١، وفوات الوفيات ٣/ ٢٢٥: (سليمان).

(٣) هكذا جاء نسبه في جمهرة أنساب العرب ٣٣٧، وفي معجم الأدباء ١٧/ ٤١: (...بن ثعلبة بن سعد مناة) بإسقاط (الدؤل).

(٤) الإصابة ٣/ ٣٧٣.

(٥) الجمهرة ٣٣٠ - ٣٣١.

(٦) هكذا ضبطه الفيروز آبادي في القاموس المحيط - مادة الخنيف - ٣/ ١٣٩.

(٧) ابن النديم: الفهرست ١٣٦ - ١٣٧.

وقد حفظ لنا التاريخ بعض أسماء من أسرته، فكان محمد وعبد الرحمن ابني مخنف أخوين لجده[١]:

وأبو رملة عامر بن مخنف بن سليم ذكره صاحب منتهى المقال ٢٩٩ وقال إنه روى عن أبيه مخنف.

وحبيب بن مخنف ذكره الحافظ أبو عمرو.

وكان أبوه يحيى بن سعيد بن مخنف من أصحاب الإمام علي عليه السلام أيضاً[٢].

ولادته ونشأته:

لم تسعفنا المصادر متى ولد أبو مخنف، إلا أن المستشرق فلهوزن يؤكد أن أبا مخنف بلغ مبلغ الرجال في ثورة ابن الأشعث عام ٨٢هـ[٣].

وعاش الرجل ـ كما يرى فلهوزن ـ حتى شهد سقوط الدولة الأموية أواخر الروايات المأثورة عنه تتعلق بحوادث سنة ١٣٢هـ[٤].

وكان صديقاً حميماً للراوية المعروف محمد بن السائب الكلبي (ت١٤٦هـ)[٥].

ولقد عرف بكثرة الرواية والنسب، وبصورة عامة كان: (صاحب أخبار وأنساب، والأخبار عليه أغلب)[٦].

ويقال إنه روى عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام[٧].

وذكروا أنه عاش أواخر أيامه في عهد المهدي محمد بن أبي جعفر عبد الله المنصور[٨].

---

(١) فلهوزن: تاريخ الدولة العربية/ الكلمة التمهيدية صفحة (ق).

(٢) رجال العلامة الحلي ١٣٦، الشيعة وفنون الإسلام ١٠٦ ـ ١٠٧.

(٣) تاريخ الدولة العربية ـ المقدمة التمهيدية صفحة ق.

(٤) ن. م.

(٥) الطبري ٢/١٠٧٥، ١٠٩٦.

(٦) المعارف ٢٣٤.

(٧) الكنى والألقاب ١/١٤٨ وغيره.

(٨) تاريخ اليعقوبي ٣/١٤١.

فإذا كانت وفاته سنة ١٥٧هـ، وآخر الأخبار التي وصلتنا من روايته سنة ١٣٢هـ فما معنى سكوت الرجل عن الفترة التي عاشها في العصر العباسي وهي ربع قرن بالتمام؟.

شخصيته ووثاقته:

كان شيخ أصحاب الأخبار بالكوفة ووجههم[١] ومن أعاظم مؤرخي الشيعة[٢] الإمامية[٣]، أخباري اهتم بالأنساب، ولكنه كان أبرز الأخباريين فيما يتعلق بفتوح العراق وأخبارها[٤].

وقد عدّه بروكلمان: (إنه أول من صنف في أخبار الفتوح والخوارج وأيام العرب وأحاديث الخلفاء والولاة)[٥].

اعتبره أغلب رجال الحديث أنه راوية ثقة يطمئن إلى ما يرويه[٦].

ومع اشتهار تشيعه اعتمد عليه أئمة أهل السنة في النقل عنه كالطبري وابن الأثير وغيرهما، وأكثر المؤرخين هم عيال عليه، غير أن ابن أبي الحديد ينفي كونه شيعياً، إلا أنه يرى صحة الإمامة بالاختيار[٧].

وقد نفى وثاقته جماعة من علماء أهل السنة، فقد قال عنه أُبو حاتم: متروك الحديث[٨].

---

(١) الرجال للنجاشي ٢٤٥، رجال العلامة الحلي ٢٤٥، الكنى والألقاب ١/١٤٨ ـ ١٤٩.

(٢) الكنى والألقاب ١/١٤٨.

(٣) الأعلام ٦/١١٠.

(٤) ابن النديم: الفهرست ١٣٧، وفيه: (قرأت بخط أحمد بن الحارث الخزاعي، قالت العلماء: أبو مخنف بأمر العراق وأخبارها وفتوحها يزيد غيره، والمدائني بأمر خراسان والهند وفارس، والواقدي بالحجاز والسيرة، وقد اشتركا في فتوح الشام). وفي معجم الأدباء ١٧/٤١ ـ ٤٣: (وجدت بخط أحمد بن الحارث الخزاز، قال العلماء:... الخ الخبر).

(٥) تاريخ الأدب العربي ١/٢٥٣.

(٦) الرجال للنجاشي ٢٤٥، رجال العلامة الحلي ١٣٦، اتقان المقال ٢١٩، معجم رجال الحديث ١٤/١٤٢. وجميع كتب رجال الشيعة.

(٧) شرح نهج البلاغة ١/١٤٧.

(٨) الجرح والتعديل ق٢ ج٣/، وفيه: (حدثنا عبد الرحمن قال: سمعت أبي يقول أبو مخنف متروك الحديث).

وقال الدارقطني: ضعيف[1].

وقال يحيى بن يحيى: ليس بثقة[2].

وقال مرة: ليس بشيء[3].

وقال ابن عدي: شيعي محترق، صاحب أخبارهم[4].

وقال الذهبي: أخباري تالف، لا يوثق به[5].

وتبعه ابن حجر العسقلاني[6].

وذكره العقيلي في الضعفاء[7].

وقال الفيروزآبادي: أخباري، شيعي، تالف، متروك[8].

ولم يوردوا دليلاً واحداً على هذا النفي، سوى رميه بالتشيع، وهو عند أهل العلم منهم لا ينافي الوثاقة[9].

إنما لذكره في كتاب الردة وكتاب الشورى وكتاب مقتل عثمان وكتاب الجمل وكتاب صفين ما لا يوافقهم، وأودع في كتاب السقيفة جميع ما جرى بين الصحابة وكافة ما وقع على أهل البيت يومئذ، وكان بسبب قرب

= وفي لسان الميزان ط/٤٩٣: (قال أبو عبيد الآجري: سألت أبا حاتم عنه فنفض يده وقال؛ أحد يسأل عن هذا)!!. ميزان الاعتدال ٣/ ٤٢٠، سير أعلام النبلاء ٧/ ٣٠٢، فوات الوفيات ٣/ ٢٢٥.

(١) ميزان الاعتدال ٣/ ٤٢٠، لسان الميزان ٤/ ٤٩٢، سير أعلام النبلاء ٧/ ٣٠٢، ديوان الضعفاء والمتروكين ٢/ ٢٦٥، فوات الوفيات ٣/ ٢٢٥.

(٢) الجرح والتعديل ق٢ ج٣/ وفيه: (حدثنا عبد الرحمن قال: قال قرىء على العباس بن محمد الدوري قال: سمعت يحيى بن معين يقول: أبو مخنف ليس بثقة). سير أعلام النبلاء ٧/ ٣٠٢، ميزان الاعتدال ٣/ ٤٢٠، لسان الميزان ٤/ ٤٩٢، معجم الأدباء ١٧/ ٤١.

(٣) ميزان الاعتدال ٣/ ٤١٩ ـ ٤٢٠. لسان الميزان ٤/ ٤٩٢.

(٤) ن. م.

(٥) ميزان الاعتدال ٣/ ٤١٩ ـ ٤٢٠.

(٦) لسان الميزان ٤م٤٩٢.

(٧) ديوان الضعفاء والمتروكين ٢/ ٢٦٥.

(٨) القاموس المحيط ٣/ ١٣٩.

(٩) تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام ٢٣٥.

زمنه ينقل القضايا بجميع حذافيرها ويوردها على وجهها.

واختصرها المتأخرون كالإمام ابن قتيبة في كتاب الإمامة والسياسة، والواقدي والطبري في تاريخهما، وابن عبد ربه في العقد الفريد حيث أتى على ذكر السقيفة، وابن أبي الحديد الحنفي المعتزلي في مواضع من شرح النهج، وابن الأثير وأبو الفداء وابن الشحناء في تواريخهم، والمسعودي في مروج الذهب اعتذار عروة بن الزبير عن أخيه عبد الله في تهديد بني هاشم بالإحراق حيث تخلفوا عن بيعته، وروى الشهرستاني عن النظام حيث ذكر الفرقة النظامية في كتاب الملل والنحل نبذة من ذلك.

بل لا يوجد تاريخ فيه أحوال السلف خال عن الإيماء إلى ما ذكره أبو مخنف، ومن هنا حرّم بعضهم مراجعة التاريخ، وأولى له أن يحرّم مراجعة الحديث أيضاً، فإن الصحاح مشحونة من الإيماء إلى ما ذكر أبو مخنف وجميع المؤرخين، ولو حرّم العلم وأوجب العمى والجهل وألزم بالصمم لكان أوفق لغرضه[١].

من روى عنهم:

١ - إبراهيم بن عبد الرحمن الأنصاري.

٢ - الأجلح بن عبد الله.

٣ - إسحاق.

٤ - ابن إسحاق؟ يروي عن عمه عبد الرحمن بن يسار.

٥ - إسماعيل بن خالد.

٦ - إسماعيل بن نُعَيم النّمَري.

٧ - إسماعيل بن نُعيم الهمداني.

٨ - إسماعيل بن يزيد الأزدي.

٩ - الأسود بن قيس العبدي.

١٠ - أشعث بن سوار.

١١ - الأصبغ بن نباتة.

---

(١) مؤلفو الشيعة في صدر الإسلام ٤٢ - ٤٣.

- أبو الصلت/ الأعور التيمي.
١٢ - أبو الأعزّ التيمي.
١٣ - الأعمش.
١٤ - الأعور التيمي/ أبو الصلت.
١٥ - أبو بكر الكندي.
١٦ - أبو بكر بن محمد الخزاعي.
١٧ - تليد بن زيد بن راشد الفائشي.
١٨ - تميم بن الحارث الأزدي.
١٩ - ثابت بن هبيرة.
٢٠ - ثابت، مولى زهير بن سلمة الأزدي.
٢١ - جابر بن يزيد.
٢٢ - جابر؟ يروي عن الشعبي.
٢٣ - أبو الجارود/ لعله زياد بن زياد.
٢٤ - جديل بن خبّاب النبهاني، من بني عمرو بن أُبَّي.
٢٥ - جرير بن الحسين الكندي.
٢٦ - جرير بن يزيد.
٢٧ - أبو جعفر، حسين.
٢٨ - جعفر بن حذيفة الطائي.
٢٩ - أبو جعفر العبسي.
٣٠ - جعفر بن القاسم.
٣١ - جعفر بن محمد بن علي/ لعله الامام الصادقعليه السلام.
٣٢ - جميل بن مَرْثَد، من بني معن.
٣٣ - أبو جناب/ يحيى بن أبي حيّة الكلبي.
٣٤ - جويرية بن أسماء.
٣٥ - أبو جهضم الأزدي، رجل من أهل الشام.
٣٦ - جيفر بن أبي القاسم العبدي.
٣٧ - الحارث بن حصيرة الأزدي.
٣٨ - الحارث بن كعب الوالبي، من والبة الأزد.
٣٩ - حبيب بن بديل.

٤٠ ـ الحجّاج بن علي البارقي.
٤١ ـ حدرة بن عبد الله الأزدي.
٤٢ ـ ابن أبي حرّة الجعفي/ لعله عبد الملك بن أبي حرّة الحنفي.
٤٣ ـ الحسن بن عطية العوفي.
٤٤ ـ الحسن بن عقبة المري.
٤٥ ـ حسين، أبو جعفر.
٤٦ ـ الحسين بن عُقبة المرادي.
٤٧ ـ حصيرة بن عبد الله بن الحارث بن دريد الأزدي.
٤٨ ـ الحصين بن يزيد بن عبد الله بن سعد بن نُفَيل الأزدي.
٤٩ ـ الحكم بن هشام بن عبد الرحمن.
٥٠ ـ أبو حمزة الثمالي.
٥١ ـ حمزة بن علي/ أبو الخطّاب.
٥٢ ـ حنظلة بن الأعلم.
٥٣ ـ خالد بن قطن الحارثي.
٥٤ ـ أبو خالدالكاهلي.
٥٥ ـ خشينة بن الوليد العبسي.
ـ أبو الخطاب/ حمزة بن علي.
٥٦ ـ خليفة بن ورقاء.
٥٧ ـ دَلهم بنت عمرو، امرأة زهير بن القين.
٥٨ ـ أَبو رَوْق الهمداني.
٥٩ ـ أبو الزبير الأرحبي الهمداني.
٦٠ ـ زكرياء بن أبي زائدة.
٦١ ـ زهير بن عبد الرحمن الخثعمي.
٦٢ ـ زهير بن عبد الله الخثعمي.
٦٣ ـ زهير بن هنيد.
٦٤ ـ زيد بن صوحان.
٦٥ ـ أبو زيد/ عبد الله الأودي.
٦٦ ـ أبو زهير العبسي/ النضر بن صالح بن حبيب.
٦٧ ـ السدّي.

٦٨ ـ السري بن إسماعيل.
٦٩ ـ سعد بن مجاهد الطائي، ورد أيضاً: سعد أبو المجاهد.
٧٠ ـ أبو سعيد الصيقل.
٧١ ـ سعيد بن زيد/ أبو المثلم.
٧٢ ـ أبو سعيد/ عَقَيصي.
٧٣ ـ سعيد بن مدرك بن عمارة.
٧٤ ـ سلمة بن ثابت الليثي.
٧٥ ـ سليمان بن أبي راشد الأزدي.
٧٦ ـ سهم بن عبد الرحمن الجُهني.
٧٧ ـ أبو سلمة.
٧٨ ـ سويد بن يزيد.
٧٩ ـ أبو سيف الأنصاري، من بني الخزرج، (لعله أَبو يوسف الأنصاري الآتي برقم ١٨٤).
٨٠ ـ سيف بن بشر العجلي.
٨١ ـ الصقعب بن زهير.
٨٢ ـ صلة بن زهير النهدي.
٨٣ ـ أبو الضحاك.
٨٤ ـ أبو عبد الأعلىٰ الزبيدي.
٨٥ ـ عبد الحميد البصري.
٨٦ ـ عبد الرحمن بن جندب الأزدي.
٨٧ ـ عبد الرحمن بن عبيد بن أبي الكنود/ وورد أيضاً: عبد الرحمن بن عبيد، أبي الكنود.
٨٨ ـ عبد الرحمن بن أبي عمرة الأنصاري.
٨٩ ـ عبد الرحمن بن قيس السُلمي.
٩٠ ـ عبد الرحمن بن يزيد بن جابر.
٩١ ـ عبد السلام بن سويد.
٩٢ ـ عبد السلام بن عبد الله بن جابر الأحمسي.
٩٣ ـ عبد الله بن عاصم الفائشي، بطن من همدان.
٩٤ ـ عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي عمرة الأنصاري.

- عبد الله الأودي/ أبو زيد.
٩٥ - عبد الله بن علقمة الخثعمي.
٩٦ - عبد الله بن عون.
٩٧ - عبد الله بن قيس.
٩٨ - عبد الله بن يزيد بن جابر الأزدي.
٩٩ - عبد الملك بن أبي حرّة الحنفي.
١٠٠ - عبد الملك بن أبي سليمان.
١٠١ - عبد الملك بن مسلم بن سلام بن ثمامة الحنفي.
١٠٢ - عبد الملك بن نوفل بن مُساحق بن عبد الله بن مَخرَمة.
١٠٣ - عبيدة بن كلثوم.
١٠٤ - عبيدة بن هلال اليشكري.
١٠٥ - عثمان بن عمرو بن محصن الأزدي.
١٠٦ - العدي.
١٠٧ - عصام بن قدامة.
١٠٨ - عطاء بن السائب.
١٠٩ - عطاء بن عجلان.
١١٠ - عطاء بن عَرْفَجة بن زيد بن عبد الله الوِرثي.
١١١ - عطية بن الحارث.
١١٢ - عقبة بن بشير الأسدي.
١١٣ - عقبة بن أبي العَيزار.
- عَقَيصي/ أبو سعيد.
١١٤ - العلاء بن زهير.
١١٥ - أبو علقمة الخثعمي.
١١٦ - أبو علي الأنصاري.
١١٧ - علي بن حنظلة بن أسعد الشامي.
١١٨ - عمران بن حدير.
١١٩ - عمر بن خالد.
١٢٠ - عمر بن ذَرّ القاصّ.
١٢١ - أبو عمرو العذري.

١٢٢ ـ عمرو بن عمرو بن عوف بن مالك الجُشمي.
١٢٣ ـ عمرو بن مالك، أبو كبشة القيني.
١٢٤ ـ عمرو بن مرّة الجملي.
١٢٥ ـ عمير بن زياد.
١٢٦ ـ عوف بن عمرو الجُشَمي.
١٢٧ ـ ابن عيّاش المَنْتُوف.
١٢٨ ـ غاضرة، أو قيصر، مولى آل أبي مخنف.
١٢٩ ـ الغنوي؟ لعله العلاء بن المنهال.
١٣٠ ـ ابن أخي غياث بن لقيط البكري.
١٣١ ـ فَرْوة بن لقيط الأزدي الغامدي.
١٣٢ ـ فُضَيل بن خَدِيج الكندي.
١٣٣ ـ القاسم بن النضر العبسي.
١٣٤ ـ القاسم بن الوليد.
١٣٥ ـ قدامة بن حازم بن سفيان الخثعمي.
١٣٦ ـ قدامة بن حوشب.
١٣٧ ـ قدامة بن سعيد بن زائدة بن قُدامة الثقفي.
١٣٨ ـ أبو كبشة القيني/ عمرو بن مالك.
١٣٩ ـ الكلبي.
١٤٠ ـ لوذان، أحد بني عكرمة.
١٤١ ـ مالك بن أَعيَن الجهني.
ـ أبو المثلّم/ سعيد بن زيد.
١٤٢ ـ أبو المثنى؟.
١٤٣ ـ المثنى بن عبد الله.
١٤٤ ـ المجالد بن سعيد الهمداني.
١٤٥ ـ مجاهد.
١٤٦ ـ محمد بن إسحاق، مولى بني المطلب.
١٤٧ ـ محمد بن ثابط/ أبو يوسف.
١٤٨ ـ محمد بن السائب الكلبي.
١٤٩ ـ محمد بن عبد العزيز بن عبد الرحمن بن عوف.

١٥٠ ـ محمد بن قيس.
١٥١ ـ محمد بن مخنف، عم أبي مِخنَف.
١٥٢ ـ أبو محمد الهمداني.
١٥٣ ـ محمد بن يوسف بن ثابت الأنصاري، من بني الحارث بن الخزرج.
١٥٤ ـ أبو المخارق الراسبي.
١٥٥ ـ المرّي.
١٥٦ ـ مسلم الأعور.
١٥٧ ـ مسلم بن عبد الله.
١٥٨ ـ مسلمة بن محارب.
١٥٩ ـ مسافر بن عفيف بن أبي الأخنس.
١٦٠ ـ المشرقي؟.
١٦١ ـ معاذ بن سعد.
١٦٢ ـ معروف بن خربوذ.
١٦٣ ـ المعلَّى بن كُليب الهمداني.
١٦٤ ـ أبو المغلَّس الليثي.
١٦٥ ـ أبو المغفّل.
١٦٦ ـ منيع بن العلاء السعدي.
١٦٧ ـ موسىٰ بن سوار.
١٦٨ ـ موسىٰ بن أبي سويد بن رادي.
١٦٩ ـ موسىٰ بن عامر، أبي الأشعر الجهني.
١٧٠ ـ موسىٰ بن عامر العدوي.
١٧١ ـ موسىٰ بن عبد الرحمن بن أبي ليلىٰ.
١٧٢ ـ نَجيح، أبو عبد الله، مولى زهير بن سلمة الأزدي.
١٧٣ ـ نصر بن مزاحم.
ـ النضر بن صالح بن حبيب/ أبو زهير العبسي.
١٧٤ ـ نُمَير بن وَعلة الهمداني النياعي.
١٧٥ ـ هشام بن أيوب بن عبد الرحمن بن أبي عقيل الثقفي.
١٧٦ ـ هشام بن عبد الرحمن الثقفي.

١٧٧ ـ وازع بن السري.
ـ يحيى بن أبي حيّة الكلبي/ أبو جناب.
١٧٨ ـ يحيى بن سعيد بن مخنف الأزدي/ أبو لوط صاحب الترجمة.
١٧٩ ـ يحيى بن أبي عيسىٰ الأزدي.
١٨٠ ـ يحيى بن هاني بن عروة.
١٨١ ـ أبو يزيد السكسَكي.
١٨٢ ـ يزيد بن ظبيان الهمداني.
١٨٣ ـ يزيد، مولى عبد الله بن زهير.
١٨٤ ـ أبو يوسف الأنصاري، (لعله أبو سيف الوارد برقم ٧٩).
ـ أبو يوسف/ محمد بن ثابط.
١٨٥ ـ يوسف بن يزيد بن بكر الأزدي.
١٨٦ ـ أبو يوسف بن يزيد.
١٨٧ ـ أبو يوسف؟.
١٨٨ ـ يونس بن إسحاق.
١٨٩ ـ يونس بن أبي إسحاق السَّبيعيّ.
١٩٠ ـ يونس بن يزيد.

وقد روى عن جماعة أشار لهم دون أن يذكر أسمائهم كاملة مثل:
ـ أشياخ الحي؟
ـ الثقة؟
ـ خالي؟
ـ رجل من بني عبد ودّ من أهل الشام.
ـ رجل من بني محلّم.
ـ شيخ للحيّ بالبصرة.

من رووا عنه:

١ ـ أبو الحسن؟
٢ ـ علي بن طلحة.
٣ ـ عمر بن سعد (وورد أيضاً: سعيد) البصري.
٤ ـ عمرو بن عيسىٰ الأنصاري.

٥ ـ محمد بن الحكم.

٦ ـ أبو المنذر؟

٧ ـ هشام بن محمد بن السائب الكلبي.

٨ ـ يحيى بن الحسن العلوي.

٩ ـ يحيى بن سعيد الجزّار.

١٠ ـ يحيى بن شعيب الخرّاز.

١١ ـ يحيى بن صالح الطيالسي.

رواياته وكتبه:

عالج أبو مخنف كثيراً من الحوادث التاريخية بكتب صغيرة ضاعت جميعها في الوقت الحاضر. سنذكر أسماءها وما يتعلق بها ـ في آخر الموضوع ـ وتناولت تلك الكتب الصغيرة التي عرفناها عن طريق الرواة القدماء أموراً تتعلق بجو العراق السياسي في العصر الأموي عامة وبجو الكوفة بصورة خاصة.

يرجع لابن الكلبي المشهور وهو محمد بن السائب، الفضل الأكبر في حفظ كتب أبي مخنف وروايتها وتوريثها للأجيال، وقد روى الطبري روايات أبي مخنف بحسب رواية ابن الكلبي لها.

«على أن أبا مخنف يذكر في بعض الأحيان رواة آخرين أقدم منه أو معاصرين له ويعتمد على رواياتهم، مثل عامر الشعبي وأبي المخارق الراسبي ومجالد بن سعيد ومحمد بن السائب الكلبي نفسه. أما في الأغلب فإنه لم يأخذ ما رواه عن أقرانه من الرواة المتقدمين، بل هو جمع رواياته من سماعه لها بنفسه ومن السؤال عنها في مختلف مظانها وعند كل من استفادها من مصادرها أو حضرها بنفسه من الناس. وعلى هذا فإن الإسناد الذي تقوم عليه رواياته كان لا يزال عنده شيئاً حقيقياً، ولم يكن مجرد صيغة أدبية، وسلسلة الرواة الذين يذكرهم هي دائماً قصيرة جداً، وهي أخيراً تنكمش انكماشاً تاماً، نظراً إلى أن المسافة التي تفصل بينه وبين الأحداث التاريخية التي روى أخبارها كانت لا

تزال تقصر شيئاً فشيئاً، هذا إلى أن سلسلة الرواة تتنوع بحسب اختلاف الأحداث وتنوع الروايات الخاصة بها، بحيث نجد أمامنا طائفة كبيرة جداً من أسماء رواة نجهلهم جهلاً تاماً. وهؤلاء الرواة الذين شهدوا الحوادث لا يدركون ما يروونه إدراكاً شاملاً، بل هم يذكرون الحوادث شأناً ولا يغفلون عند وصف الحادثة ذكر الأسماء المتصلة بها، وهم يجعلون الأشخاص في أفعالهم وأقوالهم في المحل الأول، كما أنهم لا يزالون في مختلف الروايات يذكرون الشيء نفسه من غير اختلاف إلا في أشياء قليلة الشأن. ومن أجل ذلك صار التقدم في الرواية بطيئاً جداً، ولكن وفرة التفاصيل من شأنها أن تعوض هذا العيب الذي في الرواية. وإلى جانب ذلك حُفِظ لنا الأثرُ المباشر التي أوجدته الحوادث في النفوس وكذلك أول ما قيل عنها. ثم تجيء الصيغة الشعبية للرواية فتزيد في حيويتها. وكل الروايات تذكر في صورة حديث بين الأشخاص الذين كانت تدور حولهم الحوادث، وكل الروايات وصف لمسرح هذه الحوادث. ولو أن أبا مخنف لم يكتب لخسر التاريخ خسارة كبيرة، وكيف كان يمكنه أن يسلك فيما كتب طريقاً غير الذي سلكه؟ فلم تقدم له المصادر المكتوبة مادة كبيرة يستطيع أن يعتمد عليها، وهو قد انتفع بها ما كانت في متناول يده، ولكن من غير أن يجتهد في البحث عنها وفي جعلها أساساً على نحو منتظم، وأكثر ما يرويه في معرض ذكر الشواهد التي تؤيد رواياته قصائد وأبيات من شعر الشعراء، وأهم ما صنع من حيث تقدير قيمة الروايات هو أنه جمع طائفة كبيرة من روايات متنوعة ومن أخبار عن الشيء الواحد مختلفة في مصادرها بحيث يستطيع الإنسان أن يوازن بينها ويعرف الصحيح المؤكد منها من غيره. وأبو مخنف قد توصل بذلك إلى أن صارت الأشياء الثانوية تتوارى، لأنها لا تظهر إلا مرة واحدة، كما صارت الأشياء الأساسية لا تزال تزداد بروزاً، لأنها تتكرر في جميع الروايات. وهو يرتب الروايات المختلفة التي تتناول الشيء الواحد ترتيباً ملائماً بحيث لا يزال ما بينها من ارتباط يزداد وضوحاً. على أنه في مثل هذا الجمع للروايات لا يمكن تفادي شيء من التخير لها والتوفيق بينها، ولا يظهر هناك تناقض في النقط الجوهرية والروايات تتضافر حتى يخرج منها إجماع على ما فيها.

والصورة الإجمالية التي تتكون عند الإنسان ثابتة متسقة، وليس هذا فيما يتعلق بالوقائع فحسب بل فيما يتعلق بالأشخاص أيضاً. ورغم ما في مادة الروايات المختلفة من غموض واضطراب باديين فإنه ترفرف فوقها خطة المؤلف والفكرة الإجمالية التي كونتها لنفسه. ومع ذلك فإن أبا مخنف لا يتناول برواياته فترة كبيرة من الزمان وهو لا يربط بين أجزائها ربطاً يراعى الوقائع كما هي ويراعى ترتيبها التاريخي، ويعوزه ترتيب الحوادث ترتيباً تاريخياً مطرداً، فهو لا يذكر إلا تواريخ متفرقة، وفي كثير من الأحيان لا يذكر إلا اليوم الذي وقعت فيه الحوادث بين أيام الأسبوع من غير ذكر الشهر والسنة، فهو لا ينظم الحوادث في خيط يصل بينها، بل يصف كل حادث على حدثه مستقلاً عما عداه، ويسهب في ذلك أكبر الإسهاب من غير أن يهتم بالاقتصار على ما هو جوهري»[١].

ومما يتميز به أبو مخنف أن رواياته تبتدىء بصدر الإسلام، وعصر الفتوحات وما بعدها وأنه يخبرنا في الأغلب عن فترة سبقت عصره ثم الفترة التي عاشها بنفسه «ويرجع إلى ذلك أنه اهتمامه اقتصر على المكان الذي كان يعيش هو فيه، أعني على العراق وعاصمته الكوفة. أما فيما عدا هذه الفترة المحددة وهذا المكان المحدد فليس عنده علم صحيح اختص به. ونظراً إلى أن الكوفة والعراق كانت مقر الحزب المعارض لحكومة الدولة فإن أبا مخنف يتكلم خصوصاً عن ذلك، والموضوعات التي يتناولها بتفصيل وشغف خاص هي ثورات الخوارج والشيعة، التي كان على رأسها المستورد بن علفة التميمي وشبيب بن يزيد وحجر بن عدي والحسين بن علي وسليمان بن صرد والمختار الثقفي، وثورة أهل العراق بقيادة عبد الرحمن بن الأشعث. فأبو مخنف يمثل الروايات العراقية، وهواه في جانب أهل العراق على أهل الشام وفي جانب علي على بني أمية، ومع ذلك فإن الإنسان لا يلاحظ عند أبي مخنف شيئاً من الأغراض يستحق الذكر أو هو على الأقل لا يلاحظ إغراضاً من شأنه تزييف الوقائع تزييفاً

---

(١) فلهوزن: الدولة العربية وسقوطها/ الكلمة التمهيدية.

إيجابياً. وكل ما يمكن أن يقال هو أن أبا مخنف، فيما يظهر، قد أغفل في بعض الأحيان شيئاً مما لا يعجبه كإغفاله مثلاً أن عقيل بن أبي طالب كان في موقعة صفين يحارب في صفوف أعداء أخيه علي ابن أبي طالب»[1].

أما ما يتعلق بكتبه ومصنفاته التي وصلتنا أسماؤها فهي (٦٠) كتاباً.

فقد سمى ابن النديم ٣٥ كتاباً من مصنفاته[2].

وأورد النجاشي قائمة بأسماء ٢٨ كتاباً وقال في آخرها: «أخبرنا [بها] أحمد ابن علي بن نوح قال: حدثنا عبد الجبار بن سيران الساكن بنهر خطي قال: حدثنا محمد بن زكريا بن دينار الغلابي، قال: حدثنا عبد الله بن الضحاك المرادي قال: حدثنا هشام بن محمد بن السائب الكلبي عن أبي مخنف لوط بن يحيى»[3].

وذكر الشيخ الطوسي أسماء لستة من كتبه وقال في آخرها: «... وغير ذلك من الكتب وهي كثيرة، أخبرنا بها أحمد بن عبدون، والحسين بن عبيد الله جميعاً عن أبي بكر الدوري، عن القاضي أبي بكر أحمد بن كامل بن محمد بن موسى بن حماد عن ابن أبي السري محمد قال: أخبرنا هشام بن محمد الكلبي عنه»[4] أي أبي مخنف.

كما أورد ياقوت ضمن ترجمة أبي مخنف أسماء ٣٥ كتاباً نقلها عن ابن النديم[5].

كما أورد صاحب هداية العارفين قائمة بـ٣٤ كتاباً[6].

---

(١) ن. م.
انظر ما كتبه د. عبد العزيز الدوري في (بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب) ٣٥ ـ ٣٦، ١٢١، ١٢٤، ١٢٥، ١٣٣. ود. هادي حسين حمود بعنوان (أبو مخنف) مجلة البلاغ الكاظمية س٢ ع٩/ نيسان ١٩٦٩ ص٩٣ ـ ٩٩، وشاكر مصطفى في (التاريخ العربي والمؤرِّخون) ص١٧٧ ـ ١٧٩.

(٢) الفهرست ١٣٦ ـ ١٣٧.

(٣) الرجال للنجاشي ٢٤٥.

(٤) الفهرست للطوسي ١٥٦.

(٥) معجم الأدباء ١٧/ ٤١.

(٦) ١/ ٨٤٠ ـ ٨٤١.

وقد عدد غير هؤلاء من أصحاب كتب الرجال والتراجم والفهارس وخزائن المخطوطات كتباً أخرى لم ترد ضمن تلك القوائم.

وقد تمكنت من حصرها وتوحيد عناوينها وفهرستها وترتيبها بقائمة موحدة.

أما أماكن وجودها والتعليق عليها بما ورد حولها وما يتعلق بأخبارها فقد ذكرته عند بداية كل كتاب ضمن النصوص التي جمعتها في هذا (التاريخ). مراعياً بذلك التسلسل الزمني لحوادثها وهي كما يلي:

١ - التاريخ الكبير: نقل عنه الخوارزمي في (مقتل الحسين عليه السلام ٢/ ٢٢٣).

وقال: قال أبو مخنف في (تاريخه الكبير). ولعله تسمية عامة للمجموع الذي يضم هذه الكتب التالية:

٢ - كتاب السقيفة.

٣ - كتاب الردة.

٤ - كتاب فتوح الإسلام.

٥ - كتاب فتوح الشام.

٦ - كتاب فتوح العراق.

٧ - كتاب الشورى.

٨ - كتاب المغازي.

٩ - كتاب فتوح خراسان.

١٠ - كتاب مقتل عثمان.

١١ - كتاب الجمل.

١٢ - كتاب صفين.

١٣ - كتاب الحكمين.

١٤ - كتاب النهر.

١٥ - كتاب أهل النهروان والخوارج.

١٦ - كتاب الغارات.

١٧ - كتاب أخبار محمد بن أبي حذيفة.

١٨ ـ كتاب أخبار الخريت بن راشد وبني ناجية.

١٩ ـ أخبار محمد بن أبي بكر.

٢٠ ـ كتاب مقتل محمد بن أبي بكر والأشتر.

٢١ ـ كتاب مقتل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.

٢٢ ـ كتاب أخبار زياد بن أبيه.

٢٣ ـ كتاب المستورد بن علفة.

٢٤ ـ كتاب مقتل الحسن عليه السلام.

٢٥ ـ كتاب مقتل حجر بن عدي وأصحابه.

٢٦ ـ كتاب وفاة معاوية بن أبي سفيان وولاية ابنه يزيد.

٢٧ ـ كتاب مقتل الإمام الحسين بن علي عليه السلام.

٢٨ ـ كتاب أولاد مسلم بن عقيل.

٢٩ ـ كتاب وقعة الحرة.

٣٠ ـ كتاب مرج راهط وبيعة مروان ومقتل الضحاك بن قيس الفهري.

٣١ ـ كتاب التوابين، كتاب سليمان بن صرد وعين الوردة.

٣٢ ـ كتاب أخبار عبيد الله بن الحر الجعفي.

٣٣ ـ كتاب أخبار المختار بن أبي عبيد الثقفي.

٣٤ ـ كتاب حديث باجميرا ومقتل ابن الأشعث.

٣٥ ـ كتاب مصعب بن الزبير وولاية العراق.

٣٦ ـ كتاب مقتل عمرو بن سعيد بن العاص.

٣٧ ـ كتاب مقتل عبد الله بن الزبير.

٣٨ ـ كتاب حديث الأزارقة.

٣٩ ـ كتاب أخبار الأمويين.

٤٠ ـ كتاب أخبار الحجاج.

٤١ ـ كتاب حديث رستقباذ.

٤٢ ـ كتاب الخوارج والمهلب بن أبي صفرة.

٤٣ ـ كتاب أخبار شبيب الخارجي وصالح بن مسرح.

٤٤ ـ كتاب أخبار مطرف بن المغيرة.

٤٥ ـ كتاب دير الجماجم وخلع عبد الرحمن بن الأشعث.

٤٦ ـ كتاب يزيد بن المهلب وقتله بالعقر.

٤٧ ـ كتاب زيد بن علي.

٤٨ ـ كتاب يحيى بن زيد.

٤٩ ـ كتاب خالد بن عبد الله القسري، ويوسف بن عمر، وموت هشام، وولاية الوليد.

٥٠ ـ كتاب الضحاك الخارجي.

٥١ ـ كتاب الخطبة الزهراء لأمير المؤمنين عليه السلام.

٥٢ ـ كتاب نجدة أبي قبيل الحروري.

٥٣ ـ كتاب بلال الخارجي.

٥٤ ـ كتاب أخبار آل مخنف بن سليم.

٥٥ ـ كتاب أحوال السفاح.

٥٦ ـ كتاب بحر الأنساب.

٥٧ ـ كنز الأنساب وأخبار النُسّاب.

٥٨ ـ سيرة الحسين.

٥٩ ـ كتاب المعمّرين.

٦٠ ـ كتاب الأخبار.

مراجع ترجمته:

وردت ترجمة أبي مخنف في عدد كبير من المراجع التأريخية وكتب الرجال والتراجم والفهارس، ونورد هنا بعضاً من تلك المراجع:

١ ـ اتقان المقال في أحوال الرجال: للشيخ محمد طه نجف (ت ١٣٢٣هـ) القسم الثاني في الحسان، وكان الأول في الثقات، والثالث في الضعفاء.

مط العلوية ـ النجف.

٢ ـ أخباريو الكوفة حتى نهاية القرن الثاني الهجري: رسالة ماجستير تقدمت بها أميرة حمزة حبيب البستاني إلى معهد التاريخ العربي ببغداد ـ طبعت بالرونيو ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.

٣ ـ الأعلام: لخير الدين الزركلي (ت ١٩٧٦م).

ط٢ مط كوستاتوماس ـ القاهرة ١٩٥٤ ـ ١٩٥٩.

٤ ـ أعيان الشيعة: للسيد محسن الأمين العاملي (ت ١٣٧١هـ).

ط٣ ج١ ق٢/ ٩٧ مط الأنصاف ـ بيروت ١٣٧٠هـ/ ١٩٥١م.

٥ ـ إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون: لإسماعيل باشا الباباني البغدادي. ط اسطنبول ١٣٦٦هـ/ ١٩٤٧م.

٦ ـ تاريخ الأدب العربي: للمستشرق الألماني كارل بروكلمان (ت ١٩٥٦م).

ترجمة د. عبد الحليم النجار ـ ج١ ـ ط٢ دار المعارف بمصر ١٩٦٨.

٧ ـ تاريخ التراث العربي: لفؤاد سزكين.

ترجمة: د. محمود فهمي حجازي مج١ ج٢ ط٢ السعودية ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

٨ ـ تاريخ الدولة العربية من ظهور الإسلام إلى نهاية الدولة الأموية: للمستشرق الألماني يوليوس فلهوزن، نقله إلى العربية وعلق عليه: د. محمد عبد الهادي أبو ريدة، راجع الترجمة د. حسين مؤنس ط القاهرة ١٩٥٨.

٩ ـ التاريخ العربي والمؤرخون: لشاكر مصطفى.

ج١ ط٢ دار العلم للملايين ـ بيروت ١٩٧٩.

١٠ ـ تاريخ اليعقوبي: لأحمد بن أبي يعقوب جعفر بن وهب الكاتب المعروف بابن واضح الأخباري (ت بعد سنة ٢٩٢هـ).

تقديم وتعليق: السيد محمد صادق بحر العلوم، ج٣ مط الحيدرية ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م.

١١ ـ تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام: للسيد حسن الصدر لموسوي (ت ١٣٥٤هـ).

ط شركة النشر والطباعة العراقية ـ بغداد.

١٢ ـ تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي: فاسيلي فلاديمير وفتش بارتولد.

تعريب: صلاح الدين عثمان هاشم، ط الكويت ١٤٠١هـ/ ١٩٨١ ص٦٥.

١٣ ـ تنقيح المقال: للشيخ عبد الله المامقاني (ت ١٣٥١هـ).

ق٢ ص٤٣ ـ ٤٤ ط المرتضوية ـ النجف ١٣٥٠هـ.

١٤ ـ كتاب الجرح والتعديل: لأبي محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم محمد بن إدريس بن المنذر التميمي الحنظلي الرازي (ت).

ق٢ ج٣ ط١ حيدرآباد ـ الدكن.

١٥ ـ جمهرة أنساب العرب: لأبي محمد، علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي (ت ٤٥٦هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون ط٥ مصر ١٩٧٧م.

١٦ ـ ديوان الضعفاء والمتروكين: لشمس الدين، عثمان بن قايماز الذهبي الدمشقي (ت ٧٤٨هـ).

ج٢ ط بيروت ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

١٧ ـ ذخائر التراث العربي: لعبد الجبار عبد الرحمن.

ج١ ص٣١٤ ط١ جامعة البصرة ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

١٨ ـ الذريعة إلى تصانيف الشيعة: للإمام آغا بزرك الطهراني (ت ١٣٨٩هـ).

ج١ مط الغري ١٣٥٥هـ، ج٦ ط إيران ١٣٦٥هـ، ج٧ط إيران ١٣٦٧هـ/ ١٩٤٨م، ج٦ ط طهران ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م.

١٩ ـ رجال العلامة الحلي: للحسن بن يوسف بن علي بن المطهر الحلي (ت ٧٢٦هـ).

تحقيق: السيد محمد صادق بحر العلوم.

مط الحيدرية ـ النجف ١٣٨١هـ/ ١٩٦١م.

٢٠ ـ سير أعلام النبلاء: لشمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت ٧٤٨هـ).

ج٧ تحقيق: علي أبو زيد ـ ط بيروت ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

٢١ ـ الشيعة وفنون الإسلام: للسيد حسن الصدر الموسوي (ت ١٣٥٤هـ).

مط العرفان ـ صيدا ١٣٣١هـ.

٢٢ ـ العذيق النضيد بمصادر ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة: للدكتور أحمد الربيعي ـ ط بغداد ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م ص٢٤٣.

٢٣ ـ فوات الوفيات: لمحمد شاكر الكتبي (ت ٧٦٤هـ).

تحقيق: د. إحسان عباس ط بيروت ١٩٧٤م.

٢٤ ـ الفهرست: لابن النديم محمد بن إسحاق (ت ٣٨٥هـ).

ط بيروت [د ت] ص١٣٦ ـ ١٣٧.

٢٥ ـ الفهرست: لشيخ الطائفة أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠هـ).

تحقيق: محمد صادق بحر العلوم ط٢ مط الحيدرية ـ النجف ١٣٨٠هـ/ ١٩٦٠م ص١٥٥ ـ ١٥٦.

٢٦ ـ فهرست مخطوطات دار الكتب الظاهرية بدمشق: وضعه: يوسف العش مط دمشق ١٣٩٦هـ/ ١٩٤٧م.

٢٧ ـ القاموس المحيط: لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت ٨١٧هـ).

ط ٣ مصر ١٣٥٢هـ/ ١٩٣٣م.

٢٨ ـ كتاب أبو مخنف: أوروزلا سزكين.

ذكره فؤاد سزكين في تاريخ التراث العربي ٢/ ٣٥٦.

٢٩ ـ كتاب الرجال: لأبي العباس أحمد بن علي بن أحمد بن العباس النجاشي (ت ٤٥٠هـ)، ط إيران [د ت] ص٢٤٥.

٣٠ ـ الكنى والألقاب: للشيخ عباس بن محمد رضا القمي (ت ١٣٥٩هـ).

ج١ مط العرفان ـ صيدا ١٣٥٧هـ.

٣١ ـ لباب الألقاب في ألقاب الأطياب: للملا حبيب الله الكاشاني.

ط طهران ١٣٧٨هـ ص٢٥.

٣٢ ـ لسان الميزان: لشهاب الدين أبي الفضل، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ)، ط حيدرآباد ـ الدكن ١٣٣٠هـ/ ٤/ ٤٩٢ ـ ٤٩٣.

٣٣ ـ مخطوطات التاريخ والتراجم والسير في مكتبة المتحف العراقي: لأسامة ناصر النقشبندي وضمياء عباس ـ ط بغداد ١٩٨١م.

٣٤ ـ مصادر التراث العسكري عند العرب: لكوركيس عواد (ت ١٩٩٢م).

مط المجمع العلمي العراقي ـ بغداد ١٤٠١ ـ ١٤٠٢هـ/ ١٩٨١ ـ ١٩٨٢م.

٣٥ ـ المعارف لابن قتيبة، أبي محمد عبد الله بن مسلم (ت ٨٨٩هـ).

ط دار الكتب العلمية ـ بيروت ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م ص٢٩٩.

٣٦ ـ معالم العلماء: لابن شهرآشوب، رشيد الدين أبو جعفر محمد بن علي المازندراني السروي (ت٥٨٨هـ).

ط النجف ١٣٨٠هـ/ ١٩٦١م.

٣٧ ـ معجم رجال الحديث: للإمام السيد أبي القاسم الموسوي الخوئي (ت ١٤١٣هـ).

ج١٤ مط الأداب ـ النجف ١٩٧٧م.

٣٨ ـ منتهى المقال في أحوال الرجال: لأبي علي محمد بن إسماعيل.

ج١ ط١٣٠٢هـ.

٣٩ ـ منهج المقال في تحقيق أحوال الرجال: للميرزا محمد الاسترآبادي (ت ١٠٢٨هـ).

ط ١٣٠٦ ٢/٢٦٩ ـ ٢٧٠.

٤٠ ـ مؤلفو الشيعة في صدر الإسلام: للسيد عبد الحسين شرف الدين الموسوي (ت ١٣٧٧هـ). ط النجف.

٤١ ـ ميزان الاعتدال: لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت٧٤٨هـ).

تحقيق علي محمد البجاوي ط مصر ١٣٨٢هـ/ ١٩٦٣م ٣/٤١٩ ـ ٤٢٠.

٤٢ ـ هدية العارفين، أسماء المؤلفين وآثار المصنفين: لإسماعيل باشا البغدادي ج١ ط استانبول ١٩٥١.

المقالات:

٤٣ ـ أبو مخنف: مقال للدكتور هادي حسين حمود نشر في مجلة البلاغ الكاظمية.

س٢ ع٩ محرم ١٣٨٩هـ/ نيسان ١٩٦٩م ص٩٣ ـ ٩٩.

٤٤ ـ وقفة عند كتاب مقتل الحسين عليه السلام لأبي مخنف: مقال بقلم هادي جبار سلوم وعبد الكاظم مجلي ـ نشر في مجلة البلاغ الكاظمية س٧ ع١٠/ ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م ص٥٠ ـ ٦٤.

وس٨ ع١/ ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٨م ص١٢ ـ ١٨.

كتاب أخبار المختار بن أبي عبيد الثقفي:

كتاب (أخبار المختار بن أبي عبيد الثقفي) لأبي مخنف، لوط بن يحيى بن سعيد الأزدي الكوفي المتوفى سنة ١٥٧هـ، يأتي على وجه التقريب ـ متمماً لمقتل الإمام الحسين عليه السلام لأنه يتعلق بانتقام المختار من المشتركين بقتل الحسين عليه السلام. وكلاهما إعتراهما التحريف والتصحيف في الكتب المتداولة.

وقد أشارت إلى كتاب أخبار المختار هذا، أكثر كتب الرجال والتراجم والفهارس، فقد ذكره النجاشي في الرجال ٢٤٥، وابن النديم في الفهرست ١٣٦، والشيخ الطوسي في الفهرست ١٥٥، وياقوت الحموي في معجم الأُدباء ١٧/ ٤١، وابن شاكر الكتبي في فوات الوفيات ٣/ ٢٢٥ وكل من تعرض لذكر أبي مخنف وأخباره.

وأن كتاب أخبار المختار هذا الذي نقل عنه أعاظم العلماء المتقدمين واعتمدوا عليه مفقود كما هو الحال مع مقتل الحسين عليه السلام وكتب أبي مخنف الأُخرى، إلاّ ما بقيت منه نصوص مبثوثة هنا وهناك في كتب التأريخ والروايات.

أما الكتاب الذي بأيدينا، المنسوب إليه فليس له، بل ولا لأحد من المؤرخين المعتمدين لاشتماله على كثير من الأحاديث التي لا علم لأبي مخنف بها وإنما هي مكذوبة على الرجل.

ويظهر ذلك الوضع فيها من أن لغتها غير لغة عصره، ومن بعض أغلاط النحو فيها.

ولو افترضنا إن أصل هذا الكتاب نفسه لأبي مخنف، فالكتاب المتداول المنسوب إليه أصبح بموجب التعديلات المتأخرة والتي فيها تصرف في النص زاد بمقتضى الوقت زيادة مطرّدة، حتى أصبحت نصوصها بعيدة عن أصل المؤلف، ورغم هذا نجد فيها نواة من الحقيقة، وفي بعض المواضيع نصوص لم تتغيرّ، وهذا ما أثبته فستنفلد في دراسته للكتابين اللذين كانا معروفين في ذلك الوقت، وهما مقتل الحسين والمختار الثقفي[1].

وما أورده الطبري من أخبار المختار المنقولة رواياته عن أبي مخنف، وما في هذا الكتاب المنسوب نجد أن هناك تشابهاً ملحوظاً في كلا الكتابين، ولا سيما فيما يتعلق بالحوادث التاريخية.

ولعل الطبري قد اطلع على كتب أبي مخنف ـ قبل فقدانها ـ ومنها هذا الكتاب رغم أنه لم يزعم أنه ينقل رواياته عن خط هشام الكلبي، وساقها روايات رتّبها وفق رغبته ومنهجه، والله أعلم كم ترك منها وبتر لتتوافق مع نظرته للأحداث ومعتقداته الشخصية، ثم هو لم يكن معاصراً لهشام الكلبي المتوفى سنة ٢٠٤هـ، وهو المولود سنة ٢٢٤هـ.

أما كتاب (أخبار المختار) المنسوب لأبي مخنف فقد توزعت بعض نسخة المخطوطة والمطبوعة في عدد من مكتبات العالم وبعدد كبير منها.

أ ـ النسخ المخطوطة: من كتاب أخبار المختار بن أبي عبيد المنسوب لأبي مخنف:

لهذا الكتاب نسخ مخطوطة تحتفظ بها بعض مكتبات العالم وقد جاءت عناوينها تحت: أخبار المختار بن أبي عبيد. قصة المختار. . .، وأخذ الثأر على السادة الأخيار، أو قصة المختار في أخذ ثأر الحسين، وغيرها.

نورد قسماً منها على سبيل الاستشهاد ـ لا الحصر ـ:

١ ـ نسخة كتبت سنة ٩٩٨هـ ذكرها جوتا في فهرسه/ ١٨٣٨ تقع في

(١) F. Wustenfeld, Der Tod Huseins and Rache, AGGW, 1883, S. 17- 71.

٤١ ورقة[١].

٢ ـ نسخة أُخرى كتبت سنة ١٨٤٠م/١٢٥٧هـ محفوظة في المتحف الآسيوي ببرلين برقم ٩٠٣٩ تقع في ٣٨ صفحة[٢].

٣ ـ نسخة في مكتبة ليدن برقم ٣/٩٠٩ تقع في ٤٢ ورقة[٣].

ب ـ النسخ المطبوعة:

طبع هذا الكتاب لمرّات عديدة، وفي عدد من الأقطار الإسلامية، وهي تتشابه فيما بينها سوى بعض الاختلاقات اليسيرة.

وقد طبع مستقلاً أحياناً، وملحقاً ببعض الكتب أحياناً أُخرى.

نورد قسماً منها على سبيل الاستشهاد ـ لا الحصر:

١ ـ طبعة حجرية سنة ١٢٨٧هـ ملحقة بالمجلد العاشر من بحار الأنوار للعلامة المجلسي.

٢ ـ طبعة حجرية مع كتاب مهج الدعوات.

٣ ـ طبعة حجرية في بمبي ـ الهند سنة ١٣١١، ملحقة مع كتاب (الملهوف في قتلى الطفوف) لعلي بن موسى بن جعفر بن محمد بن طاووس الحسني.

وقد ترجم فيستنفيلد هذا الكتاب إلى الألمانية[٤]:

F. Wustenfeld, Dertod Huseins and Rache AGGW, 1883, S. 17- 71.

«والجزم بأن الكتاب ليس لأبي مخنف حكم مُتَسَرِّعٌ فيه، دفع إليه الظن بمخالفته الواقع التأريخي في بعض موارده، وما صاحَبَ الكتاب من التحريف والتصحيف. وهو من هفوات النساخ، وكثرة تداوله، وإقبال الناس على النهل من روافده، عند ذكر الثورة الحسينية الخالدة كل عام وتعلق موضوع أخذ الثأر من قتلة الحسين مع موضوع هذه الثورة، فدخله

(١) تاريخ الأدب العربي ١/ ٢٥٤، تاريخ التراث العربي ٢/ ١٢٩.
(٢) ن.م.
(٣) ن.م.
(٤) تاريخ التراث العربي ٢/ ١٢٩.

بعض التبسيط لأسلوبه لتكون لغته سهلة قريبة من مدارك العامة، ومن يقارن النسخ المخطوطة المكتوبة منذ قرون خلت بالكتاب المطبوع، والنسخ المطبوعة قديماً مع النسخ المطبوعة حديثاً، يجد أن الكتاب مرَّ بمرحلة من مراحل عمره المديد، ورحم الله الخليل بن أحمد حين يقول: «إذا نسخ الكتاب ثلاث نسخ ولم يعارض تحول إلى الفارسية».

ولكن الذي أراه إن لأبي مخنف كتاباً غير هذا قد جاءت رواياته مسندة، وأحداثه متسلسلة، إلا أن هناك من بادر فرفع الأسانيد وعَدَّل في الروايات لتكون قصة خفيفة خالية من الأسانيد والمداخل الأُخرى، ولا بدَّ ـ والحالة هذه ـ أن تكون لغتها غير لغة عصر الرجل، ثم توالت عليها الأيادي بتحريف وتصحيف حتى وصلت إلى الحدّ الذي جعله بهذا الشكل والحال.

ومحاولة جادة فقد قمت بجمع الروايات المنقولة عن أبي مخنف والمبثوثة في المراجع التأريخية القديمة ورتبتها، لتكون أقرب إلى واقع أبي مخنف وكتابه المفقود من الكتاب المتداول، ووضعت لها عناوين جعلتها بين معقوفين [ ].

وقد اعتمدت كتاب تاريخ الطبري أساساً في عملي هذا، وأَضفت إليه ما ورد في المراجع الأُخرى لسدّ نقص فيه، أو ورود رواية تكررت بشكل آخر، أو إضافة رواية تختلف عن روايته وكلاهما مسندتان إليه.

ولم أثقل الهوامش بالروايات الأُخرى لأغراض التوثيق والمقارنة.

آملاً أن أكون قد أسديت خدمة متواضعة في نشر وتقويم وتقديم هذه النصوص مساهمة في إحياء تراثنا.

والله ولي التوفيق وهو حسبنا ونعم الوكيل.

الكوفة في ١ محرم ١٤١٧هـ **كامل سلمان الجبوري**

كتاب

أخبار المختار بن أبي عبيد الثقفي

[ذكر الخبر عن مقدم المختار بن أبي عبيد الكوفة]

١ ـ **قال هشام بن محمد الكلبيّ: قال أبو مخنف: قال النضر بن صالح**: كانت الشيعة تَشتمُ المختار وتُعتِبه[١] لِما كان منه في أمر الحسن بن علي يوم طُعن في مُظلِم ساباط، فحُمل إلى أبيَض المدائن، حتى إذا كان زمن الحسين، وبعث الحسينُ مسلمَ بن عقيل إلى الكوفة، نزل دارَ المختار، وهي اليوم دارُ سَلْم بن المسيّب، فبايعه المختار بن أبي عُبيد فيمن بايعه من أهل الكوفة، وناصَحَه ودعا إليه من أطاعه، حتى خرج ابن عقيل يوم خرج والمختار في قرية له بخُطَرْنِيَة تُدعَى لقفا، فجاءَه خبرُ ابن عقيل عند الظهر أنه قد ظهر بالكوفة، فلم يكن خروجُه يوم خرج على ميعاد من أصحابه، إنما خرج حين قيل له: إن هانىء بن عروة المرادي قد ضُرِبَ وحُبِس، فأقبل المختار في موالٍ له[٢] حتى انتهى إلى باب الفيل بعد الغروب، وقد عَقَد عبيد الله بن زياد لعمرو بن حُريث راية على جميع الناس، وأمره أن يقعد لهم في المسجد، فلما كان المختار وقف على باب الفيل مر به هانىء بن أبي حيّة[٣] الوادعي، فقال للمختار: ما وقوفُك ها هنا! لا أنت مع الناس، ولا أنت في رَحْلك؛ قال: أصبح رأيي مرتجًّا لعُظْم خطيئتكم؛ فقل له: أظنك والله قاتلاً نفسَك، ثم دخل على عمرو بن

---

(١) ابن الأثير: «وتعيبه».

(٢) ابن الأثير: «حواليه».

(٣) ابن الأثير: «هانىء بن جبة».

حُريث فأخبَره بما قال للمختار وما رد عليه المختار[١].

٢ ـ **قال أبو مخنف: فأخبَرَني النضر بن صالح،** عن عبد الرحمن بن أبي عمير الثقفيّ؛ قال: كنت جالساً عند عمرو بن حريث حين بلغه هانىء بن أبي حية عن المختار هذه المقالة، فقال لي: قم إلى ابن عمك فأخبره أن صاحبه لا يدري أين هو! فلا يجعلنَّ على نفسه سبيلا، فقمت لآتيه، ووثب إليه زائدة بن قدامة بن مسعود، فقال له: يأتيك على أنه آمِن؟ فقال له عمرو بن حُرَيث: أمّا منّي فهو آمن، وإن رُقّي إلى الأمير عبيد الله بن زياد شيء من أمره أقمتُ له بمحضره الشهادة، وشَفَعت له أحسنَ الشفاعة، فقال له زائدة بن قدامة: لا يكوننّ مع هذا إن شاء الله إلا خيرٌ.

قال عبد الرحمن: فخرجتُ، وخرج معي زائدة إلى المختار. فأخبرناه بمقالة ابن أبي حيّة وبمقالة عمرو بن حُرَيث، وناشدناه بالله ألا يجعل على نفسه سبيلا، فنزل إلى ابن حريث، فسلم عليه، وجلس تحت رايته حتى أصبح، وتذاكَر الناسُ أمرَ المختار وفعلَه، فمشى عُمارة بن عقبة بن أبي مُعيط بذلك إلى عبيد الله بن زياد، فذكر له، فلما ارتفع النهار فُتِح بابُ عبيد الله بن زياد وأذن للناس، فدخل المختار فيمن دخل، فدعاه عبيد الله، فقال له: أنت المقبلُ في الجموع لتنصُر ابن عَقِيل! فقال له: لم أفعل، ولكني أقبلت ونزلت تحتَ راية عمرو بن حُرَيث، وبِتّ معه وأصبحت، فقال له عمرو: صدق أصلَحك الله! قال: فرفع القضيبَ، فاعترض به وجهَ المختار فخبط به عينَه فشَتَرها[٢] وقال: أَوْلَى لك! أمَا والله لولا شهادةُ عمرو لك لضربتُ عنقك؛ انطلِقوا به إلى السجن فانطلقوا به إلى فحُبس فيه فلم يزل في السجن حتى قُتل الحسين. ثم إنّ المختار بعث إلى زائدة بن قدامة، فسأله أن يسير إلى عبد الله بن عمر بالمدينة فيسألَه أن يكتبَ له إلى يزيد بن معاوية، فيكتب إلى عبيد الله بن زياد بتخلية سبيله، فركب زائدةُ إلى عبد الله بن عمر فقَدِم عليه، فبلَّغه رسالةَ المختار، وعلمتْ صفيَّة أختُ المختار بمَحبِس أخيها وهي تحت عبد الله بن عمر،

---

(١) الطبري ٥/٥٦٩ ـ ٥٧٠.

(٢) الشتر: انقلاب جفن العين من أعلى إلى أسفل وتشنجه.

فبكت وجزعت، فلما رأى ذلك عبد الله بن عمَر كتب مع زائدة إلى يزيدَ بن معاوية: أمَّا بعد، فإن عبيد الله بن زياد حبس المختار، وهو صهري، وأنا أحبّ أن يعافَى ويُصلَح من حاله، فإن رأيت رحمنا الله وإيَّاك أن تكتب إلى ابن زياد فتأمرَه بتخليته فعلتَ. والسلام عليك.

فمضى زائدة على رواحله بالكتاب حتى قدم به على يزيدَ بالشام، فلما قرأه ضحك ثم قال: يشفع أبو عبد الرحمن، وأهلُ ذلك هو. فكتب له إلى ابن زياد: أما بعد، فخل سبيلَ المختار بن أبي عُبيد حين تَنظرُ في كتابي، والسلام عليك.

فأقبَل به زائدة حتى دفعه، فدعا ابن زياد بالمختار، فأخرجه، ثم قال له قد أجّلتُك ثلاثاً، فإن أدركتُك بالكوفة بعدَها قد برئتْ منك الذّمَّةُ[1] فخرج إلى رحله. وقال ابن زياد: والله لقد اجترأ عليّ زائدة حين يرحل إلى أمير المؤمنين حتى يأتيني بالكتاب في تخلية رجل قد كان من شأني أن أطيل حبسَه، علي به. فمر به عَمرو ابن نافع أبو عثمان ـ كاتبٌ لابن زياد ـ وهو يُطلَب. وقال له: النَّجاءَ بنفسك، واذكرها يداً لي عِندَك.

قال: فخرج زائدة، فتوارى يومَه ذلك. ثم إنه خرِج في أناس من قومه حتى أتَى القعقاعَ بن شَوْر الذهليّ، ومسلم بن عمرو الباهلي، فأخذا له من ابن زياد الأمان[2].

٣ ـ **قال هشام: قال أبو مخنف**: ولما كان اليوم الثالث خرج المختار إلى الحجاز، قال: فحدّثني الصقعب بن زهير، عن ابن العِرْق، مولى لثقيف. قال: أقبلتُ من الحجاز حتى إذا كنت بالبَسِيطَة مِنْ وراء واقِصَة اقبلتُ المختارَ بن أبي عُبيد خارجاً يريد الحجاز حين خَلَّى سبيلَه ابنُ زياد، فلما أقبلتُ رحَّبت به، وعطفتُ إليه، فلما رأيت شَتَرَ عينه استرجعتُ له، وقلتُ له بعدما توجّعت له. ما بالُ عينِك، صرف الله عنك السوءَ! فقال: خَبَط عيني ابن الزانية بالقَضيب خبطةً صارت إلى ما ترى. فقلتُ له: ما لَه شَلّت أنامِلُهُ! فقال المختار: قتلني الله إن لم أقطع أنامِلَه

---

(١) الطبري ٥/ ٥٧٠ ـ ٥٧١، مقتل الخوارزمي ٢/ ١٧٨.

(٢) الطبري ٥/ ٥٧١.

وأباجلَه وأعضاءَه إرْباً إرْباً؛ قال: فعجبتُ لمقالته، فقلت له: ما علمُك بذلك رحمك الله؟ فقال لي: ما أقول لك فاحفظْه عنّي حتى ترى مصداقَه.

قال: ثم طَفِق يسألني عن عبد الله بن الزبير، فقلت له: لجأ إلى البيت، فقال: إنما أنا عائذٌ برب هذه البنيّة، والناس يتحدثون أنه يبايع سرًّا، ولا أراه إلا لو قد اشتدت شوكته واستكثف من الرجال إلا سيُظهر الخلافَ؛ قال: أجَل، لا شك في ذلك، أمَا إنه رجلُ العرب اليومَ، أمَا إنه إنْ يخطط في أثري، ويسمعْ قولي أكفِه أمرَ الناس، وإلا يفعلْ فوالله ما أنا بدون أحد من العرب، يابنَ العِرْق، إن الفتنة قد أرعدتْ وأبرقتْ، وكأنْ قد انبعثتْ فوطئت في خطامها، فإذا رأيتَ ذلك وسمعتَ به بمكان قد ظهَرتُ فيه فقل: إنّ المختار في عصائبه من المسلمين، يطلب بدم المظلوم الشهيد المقتول بالطّفّ، سيِّد المسلمين، وابن سيِّدها، الحسين ابن عليّ، فوربِّك لأقتلنّ بقتله عِدّةَ القتلى التي قتِلت على دم يَحيَى بن زكرياء عليه السلام؛ قال: فقلت له: سبحان الله! وهذه أعجوبة مع الأحدوثة الأولى. فقال: هو ما أقول لك فاحفظه عني حتى ترى مصداقه. ثم حرك راحلته، فمضى ومضيت معه ساعةً أدعو الله له بالسلامة، وحُسنِ الصحابة. قال: ثم إنه وقف فأقسم عليّ لما انصرفتُ، فأخذتُ بيده! فودّعته، وسلمت عليه، وانصرفت عنه، فقلت في نفسي: هذا الذي يذكر لي هذا الإنسان ـ يعني المختار ـ مما يزعم أنه كائن، أشيءٌ حدّث به نفسه! فوالله ما أطلَع الله على الغيب أحداً، وإنما هو شيءٌ يتمنّاه فيرى أنه كائن، فهو يوجب رأيه، فهذا والله الرأيُ الشعاع، فوالله ما كلّ ما يرى الإنسان أنه كائن يكون؛ قال: فوالله ما مُتّ حتى رأيتُ كلّ ما قاله. قال: فوالله لئن كان ذلك من علم ألقيَ إليه لقد أثبِتَ له، ولئن كان ذلك رأياً رآه، وشيئاً تمنّاه، لقد كان[1].

٤ ـ **قال أبو مخنف: فحدّثني الصقعب بن زهير،** عن ابن العِرْق، قال: فحدّثت بهذا الحديث الحجّاج بن يوسف، فضحك ثم قال لي: إنه كان يقول أيضاً:

---

(١) الطبري ٥/٥٧١ ـ ٥٧٣.

ورافِعةٍ ذيلَها وَداعِيَةٍ وَيْلَها
بِدِجْلةَ أَوْ حوْلَها

فقلت له: أترى هذا شيئاً كان يخترعه، وتخرُّصاً يتخرُّصُه، أم هو من علم كان أوتِيَه؟ فقال: والله ما أدري ما هذا الذي تسألني عنه، ولكن لله درُّهُ! أي رجل ديناً، ومِسْعَرَ حرب، ومقارع أعداء كان[1]!.

٥ ـ **قال أبو مخنف: فحدّثني أبو سيف الأنصاريّ من بني الخزرج،** عن عباس بن سهل بن سعد، قال: قدم المختار علينا مكة، فجاء إلى عبد الله بن الزبير وأنا جالسٌ عنده، فسلّم عليه، فردّ عليه ابن الزبير، ورحّب به، وأوسع له، ثم قال: حدِّثني عن حال الناس بالكوفة يا أبا إسحاق؛ قال: هم لسلطانهم في العلانية أولياء، وفي السرّ أعداء؛ فقال له ابن الزبير: هذه صفة عَبيد السوء، إذا رأوا أربابَهم خدموهم وأطاعوهم، فإذا غابوا عنهم شَتَموهم ولعنوهم؛ قال: فجلس معنا ساعةً، ثم إنه مال إلى ابن الزبير كأنه يُسارّه، فقال له: ما تنتظر! إبسُطْ يدك أبايعْك، وأعطِنا ما يُرضينا، وثب على الحجاز فإن أهل الحجاز كلهم معك. وقام المختار فخرج، فلم يُرَ حولاً؛ ثم إنِّي بينا أنا جالسٌ مع ابن الزبير إذ قال لي ابن الزبير: متى عهدُك بالمختار بن أبي عُبيد؟ فقلت له: ما لي به عهد منذ رأيتُه عندَك عاماً أوّل؛ فقال: أين تراه ذهب! لو كان بمكة، لقد رئيَ بها بعدُ، فقلت له: إني انصرفت إلى المدينة بعد إذ رأيتُه عندَك بشهر أو شهرين، فلبثتُ بالمدينة أشهراً، ثمّ إني قدمتُ عليك، فسمعت نفراً من أهل الطائف جاءوا معتمرين يزعمون أنه قدم عليهم الطائف، وهو يزعم أنه صاحب الغضب، ومُبِير[2] الجبّارين، قال: قاتله الله[3]! لقد انبعث كذّاباً متكهِّناً، إنّ الله إنْ يُهلِك الجبّارين يكن المختار أحدهم[4]. فوالله ما كان إلا ريث فراغنا من منطقنا حتى عنّ لنا في جانب المسجد، فقال ابن الزبير: اذكرْ غائباً ترَهُ؛ أَين تظُنّه يهوِي؟ فقلت: أظنه يريد البيت، فأتى

(١) ن. م ٥/٥٧٣.
(٢) ابن الأثير: «ومسير».
(٣) ابن الأثير: «قال ابن الزبير: ماله قاتله الله!».
(٤) ابن الأثير: «أولهم».

البيت فاستقبل الحجر، ثم طاف بالبيت أسبوعاً، ثمّ صلى ركعتين عند الحِجْر، ثمّ جلس، فما لبث أن مرّ به رجال من معارفه من أهل الطائف وغيرهم من أهل الحجاز، فجلسوا إليه، واستبطأ ابن الزبير قيامَه إليه، فقال: ما ترى شأنه لا يأتينا! قلت: لا أدري، وسأعلم لك علمه، فقال: ما شئتَ، وكأن ذلك أعجبه.

قال: فقمتُ فمررتُ به كأنيّ أريد الخروجَ من المسجد، ثمّ التفتُّ إليه، فأقبلت نحوَه ثمّ سلّمت عليه، ثمّ جلست إليه، وأخذت بيده، فقلتُ له: أين كنت؟ وأين بلغت بعدي؟ أبا لطائف كنت؟ فقال لي: كنتُ بالطائف وغير الطائف، وعَمَس[1] عليّ أمرَه، فملتُ إليه، فناجَيْته، فقلت له: مِثْلُك يغيب عن مِثْلِ ما قد اجتمع عليه أهلُ الشرف وبيوتاتِ العرب من قريش والأنصار وثقيف! لم يبق أهلُ بيت ولا قبيلة إلا وقد جاء زعيمُهم وعميدُهم فبايع هذا الرجل، فعجباً لك ولرأيك ألا تكون أتيتَه فبايعته، وأخذتَ بحظِّك من هذا الأمر! فقال لي: وما رأيتَني؟ أتيتُه العامَ الماضي، فأشرت عليه بالرأي، فطوى أمرَه دوني[2]، وإني لما رأيته استغنى عنِّي أحببت أن أرِيَه أنِّي مستغن عنه، إنه والله لهو أحوجُ إليّ مني إليه؛ فقلت له: إنك كلمتَه بالذي كلمته وهو ظاهر في المسجد، وهذا الكلام لا ينبغي أن يكون إلا والستور دونه مُرخاة والأبواب دونه مُغلَّقة، القَه الليلةَ إن شئتَ وأنا معك؛ فقال لي: فإنيّ فاعل إذا صلَّينا العَتَمة أتيناه، واتَّعدْنا الحِجْر.

قال: فنهضتُ من عنده، فخرجت ثم رجعتُ إلى ابن الزبير، فأخبرتُ بما كان من قولي وقوله، فسرّ بذلك، فلما صلينا العتَمة، التقَيْنا بالحِجْر، ثمّ خرجنا حتى أتينا منزلَ ابن الزبير، فاستأذَنَّا عليه، فأذن لنا، فقلت: أخلِّيكما؟ فقالا جميعاً: لا سِرَّ دونك. فجلستُ، فإذا ابن الزبير قد أخذ بيَدِه، فصافَحه ورحّب به، فسأله عن حاله وأهل بيته، وسكَتَا جميعاً غيرَ طويل.

(١) عمس عليه الأمر: خلطه ولبسه ولم يبينه.

(٢) ابن الأثير: «فكتم عني خبره».

فقال له المختار وأنا أسمع بعد أن تبدّأ في أوّل منطقه، فحَمِد اللّهَ وأثنى عليه ثمّ قال: إنه لا خيرَ في الإكثار من المنطق، ولا في التقصير عن الحاجة، إني قد جئتك لأبايعَك على ألاّ تقضيَ الأمورَ دوني، وعلى أن أكونَ في أوّل مَنْ تأذَن له، وإذا ظهرت استعنتَ بي على أفضل عملك. فقال له ابن الزبير: أبايعك على كتاب الله وسنّة نبيِّه ﷺ؛ فقال: وشرّ غلماني أنت مبايعه على كتاب الله وسنة نبيه ﷺ، ما لي في هذا الأمر من الحظّ ما ليس لأقصى الخلق منك؛ لا والله لا أبايعك أبداً إلا على هذه الخصال.

قال عبَّاس بن سهل: فالتقمتُ أذنَ ابن الزبير، فقلت له: اشترِ منه دينَه حتى ترى من رأيك؛ فقال له ابن الزبير: فرنّ لكما سألتَه، فبسط يدَه فبايعه، ومَكث معه حتى شاهد الحِصارَ الأوّل حين قدم الحصين بن نمير السَّكونيّ مكة؛ فقاتل في ذلك اليوم، فكان من أحسن الناس يومئذٍ بلاءً، وأعظمهم غَناءً. فلما قُتل المنذر بن الزبير والمسور بن مَخْرَمَة ومصعب بن عبد الرحمن بن عوف الزهريّ، نادى المختار: يا أهل الإسلام، إليّ إليّ! أنا ابن أبي عُبيد بن مسعود، وأنا ابن الكُرّار لا الفُرّار، أنا ابن المُقدِمين غير المُحجمين؛ إليّ يا أهلَ الحِفاظ وحُماةَ الأوتار. فحمِيَ الناسُ يومئذٍ. وأبلى وقاتل قتالاً حَسَناً.

ثم أقام مع ابن الزبير في ذلك الحِصار حتى كان يوم أحرِق البيت، فإنه أحرق يوم السبت لثلاث مضَين من شهر ربيع الأوّل سنة أربع وستين، فقاتل المختار يومئذٍ في عصابة معه نحو من ثلثمائة أحسنَ قتال قاتَله أحدٌ من الناس، إنْ كان ليَقاتل حتى يتبلَّد، ثم يجلس ويحيط به أصحابه، فإذا استراح نهض فقاتل، فما كان يتوجَّه نحو طائفة من أهل الشام إلاّ ضارَبَهم حتى يكشفَهم[1].

٦ ـ **قال أبو مخنف: فحدّثني أبو يوسف محمد بن ثابط، عن عبّاس بن سهل بن سعد، قال:** تولّى قتال أهل الشام يوم تحريق الكعبة عبدُ الله بن مطيع وأنا والمختار، قال: فما كان فينا يومئذٍ رجلٌ أحسن بلاءً من المختار.

---

(١) الطبري ٥/ ٥٧٣ ـ ٥٧٦.

قال: وقاتل قبل أن يطّلع أهلُ الشام على موت يزيدَ بن معاوية بيوم قتالاً شديداً، وذلك يوم الأحد لخمس عشرةَ ليلة مضتْ من ربيع الآخر سنة أربع وستين، وكان أهلُ الشام قد رَجوْا أن يَظفروا بنا، وأخذوا علينا سِكك مكّة.

قال: وخرج ابن الزبير، فبايَعَه رجالٌ كثير على الموت؛ قال: فخرجتُ في عصابة معي أقاتل في جانب، والمختار في عصابة أخرى يقاتل في جُمّيعةٍ من أهل اليمامة في جانب، وهم خوارج، وإنما قاتلوا ليدفعوا عن البيت. فهم في جانب، وعبد الله بن المطيع في جانب.

قال: فشدَّ أهل الشام عليّ، فحازوني في أصحابي حتى اجتمعتُ أنا والمختار وأصحابه في مكان واحد، فلم أكن أصنع شيئاً إلا صنع مثله، ولا يصنع شيئاً إلا تكلفتُ أن أصنع مِثلَه، فما رأيتُ أشدَّ منه قطّ؛ قال: فإنا لنقاتل إذ شدّت علينا رجال وخيل من خيل أهل الشام، فاضطرّوني وإياه في نحو من سبعين رجلاً من أهل الصبر إلى جانب دار من دُور أهل مكة، فقاتلهم المختارُ يومئذٍ، وأخذ يقول رجل لرجل:

لا وألــــتْ نـــفـــسُ امـــرىءٍ يـــفـــرُّ

قال: فخرج المختار، وخرجتُ معه، فقلت: ليخرجْ منكم إليّ رجل فخرج إليّ رجل وإليه رجل آخر، فمشيت إلى صاحبي فأقتُله، ومشى المختار إلى صاحبه فقتله، ثم صِحْنا بأصحابنا، وشدَدْنا عليهم، فوالله لضَربناهم حتى أخرجناهم من السِّكك كلها، ثم رجعنا إلى صاحبيْنا اللَّذَين قتْلنا. قال: فإذا الذي قتلتُ رجلٌ أحمرُ شديدُ الحمرة كأنه روميّ، وإذا الذي قتل المختار رجل أسودُ شديدُ السواد، فقال لي المختار: تعلّمْ والله إنّي لأظن قتيلَينا هذَيْن عبدَين؛ ولو أنّ هذين قَتَلاَنا لفُجع بنا عشائرنا ومَن يرجونا، وما هذان وكلبان من الكلاب عندي إلا سواء، ولا أخرج بعد يومي هذا لرجل أبداً إلا لرجل أعرفه؛ فقلت له: وأنا والله لا أخرج إلا لرجل أعرِفه.

وأقام المختار مع ابن الزبير حتى هلك يزيدُ بنُ معاوية، وانقضى الحصار، ورجع أهلُ الشام إلى الشام، واصطَلحْ أهل الكوفة على عامر بن مسعود، بعد هلك يزيد يصلي بهم حتى يجتمع الناس على إمام يرضَوْنه،

فلم يلبث عامر إلا شهراً حتى بعث ببَيعته وبَيعة أهل الكوفة إلى ابن الزبير، وأقام المختار مع ابن الزبير خمسةَ أشهر بعد مَهلِك يزيدَ وأيّاماً[1].

٧ ـ **قال أبو مخنف: فحدّثني عبد الملك بن نوفل بن مساحق**، عن سعيد بن عمرو بن سعيد بن العاص، قال: والله إني لمع عبد الله بن الزبير ومعه عبد الله بن صَفْوان بن أميّة بن خلف. ونحن نطوف بالبيت، إذ نظر ابن الزبير فإذا هو بالمختار. فقال لابن صفوان: انظر إليه؛ فوالله لَهو أحذَرُ من ذئب قد أطافت به السباع قال: فمضى ومضينا معه، فلما قضينا طوافَنا وصلّينا الركعتين بعد الطواف لحقنا المختار، فقال لابن صفوان: ما الذي ذكرني به ابن الزبير؟ قال: فكَتمَه. وقال: لم يَذكُرك إلا بخير؛ قال: بلى وربِّ هذه البنيّة إن كنتُ لمن شأنكما، أما والله ليخطّنّ في أثَرى أو لأقدَنّها عليه سَعْراً. فأقام معه خمسةَ أشهر، فلما رآه لا يستعمله جعل لا يقدم عليه أحدٌ من الكوفة إلا سأله عن حال الناس وهيئتهم[2].

قال أبو مخنف: فحدّثني عطية بن الحارث أبو رَوْق الهمدانيّ، أنّ هانىء بن أبي حيَّة الوادعي قدم مكة يريد عُمرةَ رمضان، فسأله المختار عن حاله وحال الناس بالكوفة وهيئتهم؛ فأخبره عنهم بصلاح واتّساق على طاعة ابن الزبير، إلا أن طائفة من الناس إليهم عدد أهل المصر لو كان لهم رجل يجمعهم على رأيهم أكل بهم الأرض إلى يوم ما؛ فقال له المختار: أنا أبو إسحاق أنا والله لهم! أنا أجمعهم على مَرِّ الحقّ، وأنفى[3] بهم ركبان الباطل، وأقتُل بهم كلّ جبَّار عنيد؛ فقال له هانىء بن أبي حيّة: وَيْحك يابن أبي عبيد! إن استطعتّ ألاّ تُوضِع في الضلال ليكن صاحبهم غيرُك. فإن صاحب الفتنة أقربُ شيء أجلاً، وأسوأ الناس عملاً؛ فقال له المختار: إني لا أدعو إلى الفتنة إنما أدعو إلى الهدى والجماعة، ثم وثب فخرج وركب رَواحلَه، فأقبل نحو الكوفة حتى إذا كان بالقَرْعاء لقيه سلمة بن مرثَد أخو بنت مرثد القابضيّ من هَمْدان ـ وكان من أشجع العرب، وكان ناسكاً ـ فلما التقيا تصافحا وتساءَلا، فخبره المختار؛ ثم قال لسلمة

---

(١) الطبري ٥/٥٧٦ ـ ٥٧٧.

(٢) ن.م ٥/٥٧٧.

(٣) ابن الأثير: «وألقى».

بن مرثد: حدّثني عن الناس بالكوفة؛ قال: هم كغنم ضلّ راعِيها؛ فقال المختار بن أبي عبيد: أنا الذي أحسِن رِعايتَهَا. وأبلِّغ نهايتَها؛ فقال له سلمة: اتق اللّهَ واعلم أنك ميت ومبعوث، ومحاسب ومجزيٌّ بعَملك إنْ خيراً فخيرٌ وإنْ شرًّا فشرّ. ثمّ افترقا. وأقبل المختار حتى انتهى إلى بحر الحِيرة يومَ الجمعة. فنزل فاغتسل فيه، وادّهن دُهناً يسيراً، ولبس ثيابه وعتمّ. وتقلّد سيفه، ثمّ ركب راحلتَه فمرّ بمسجد السَّكون وجبَّانة كِنْدة؛ لا يمرّ بمجلس إلا سلَّم على أهله، وقال: أبشروا بالنّصر والفلج، أتاكم ما تحبّون، وأقبل حتى مرّ بمسجد بني ذُهل وبني حُجْر، فلم يجد ثَمَّ أحداً، ووجد الناس قد راحوا إلى الجمعة. فأقبل حتى مرّ ببنى بدّاء، فوجد عبيدةَ بنَ عمرو البَدّيّ من كِنْدة، فسلم عليه، ثم قال: أبشر بالنصر واليُسر والفلج، إنك أبا عمرو على رأي حَسَن، لن يَدَعَ اللّهُ لك معه مأثمَاً إلا غفره، ولا ذنباً إلا سَتَره ـ قال: وكان عبيدة من أشجع الناس وأشعرِهم، وأشدِّهم حبًّا لِعليَّ رضي الله عنه. وكان لا يصبر عنِ الشراب ـ فلما قال له المختار هذا القول قال له عبيدة: بشّرك الله بخير إنك قد بشّرتنا، فهل أنت مفسرٌ لنا؟ قال: نعم، فالقنِي في الرّحل الليلةَ ثمّ مضى[1].

٨ ـ **قال أبو مخنف: فحدّثني فُضَيل بن خَديج**، عن عبيدة بن عمرو قال: قال لي المختار هذه المقالة، ثم قال لي: القني في الرّحل، وبلِّغ أهلَ مسجدِكم هذا عنِّي أنهم قومٌ أخذ الله ميثاقَهم على طاعته، يقتلون المُحِلّين، ويطلبون بدماء أولاد النبيّين، ويهديهم للنور المبين، ثم مضى فقال لي: كيف الطريق إلى بني هند؟ فقلت له: أنظرني أدلّك، فدعوتُ بفَرَسي وقد أسرِج لي فركبتُه؛ قال: ومضيت معه إلى بني هند، فقال: دُلّني على منزل إسماعيل بن كَثير. قال: فمضيتُ به إلى منزله، فاستخرجته. فحيّاه ورحّب به، وصافحه بشَّره، وقال له: القَنِي أنتَ وأخوك الليلة وأبو عمرو فإني قد أتيتكم بكل ما تحبّون؛ قال: ثمّ مضى ومضينا معه حتى مرّ بمسجد جُهَينة الباطنة، ثم مضى إلى باب الفيل، فأناخ راحلتَه، ثم دخل المسجد واستَشرف له الناس، وقالوا: هذا المختار قد قَدِم، فقام المختار

---

(١) الطبري ٥/٥٧٧ ـ ٥٧٩.

إلى جنب سارية من سواري المسجد، فصلَّى عندها حتى أقيمت الصلاة، فصلَّى مع الناس ثمّ ركد إلى سارية أخرى فصّلى ما بين الجمعة والعصر، فلما صلى العصر مع الناس انصرف[١].

٩ ـ **قال أبو مخنف: فحدّثني المجالد بن سعيد،** عن عامر الشعبيّ، أنّ المختار مرّ على حلْقة همدانَ وعليه ثياب السَّفَر، فقال: أبشِروا، فإني قد قدمت عليكم بما يسرّكم، ومضى حتى نزل داره، وهي الدار التي تُدعَى دارَ سلْم بن المسيّب، وكانت الشّيعة تختلف إليها وإليه فيها[٢].

١٠ ـ **قال أبو مخنف: فحدّثني فُضَيل بن خَدِيج،** عن عبيد بن عمرو، وإسماعيل بن كثير من بني هند. قالا: أتيناه من الليل كما وعَدَنا، فلما دخلنا عليه وجلسنا ساءَلَنا عن أمر الناس وعن حال الشيعة، فقلنا له: إنّ الشيعة قد اجتمعت لسليمان بن صُرَد الخُزاعيّ، وإنه لن يلبثَ إلا يسيراً حتى يخرج؛ قال: فحمِد الله وأثنَى عليه وصلى على النبيّ ﷺ ثم قال: أما بعد، فإن المهديّ ابن الوصيّ، محمّد بن عليّ، بعثني إليكم أميناً ووزيراً ومنتخباً وأميراً، وأمرني بقتال الملحدِين، والطلب بدماء أهلِ بيته والدفع عن الضّعفاء[٣].

١١ ـ **قال أبو مخنف: قال فضيل بن خَدِيج:** فحدّثني عبيدة بن عمرو وإسماعيل بن كثير، أنهما كانا أوّل خلق الله إجابةً وضرباً على يده، وبايعاه. قال: وأقبل المختار يبعث إلى الشيعة وقد اجتمعت عند سليمانَ بن صُرد. فيقول لهم: إني قد جئتكم من قِبل وليّ الأمر، ومَعِدن الفْضل، ووصيِّ الوصيّ والإمام المهديّ، بأمر فيه الشفاء، وكشفُ الغطاء، وقتل الأعداء، وتمام النَّعماء؛ إنّ سليمان بن صُردَ يرحمنا الله وإيّاه إنما هو عَشَمة من العَشَم[٤] وحفشٌ بال، ليس بذي تجربة للأمور، ولا له علمٌ بالحروب؛ إنما يريد أن يخرجكم فيقتل نفسه ويقتلكم. إني إنما أعمل على مثال قد مُثِّل لي، وأمرٍ قد بُيِّن لي. فيه عزّ وليّكم، وقتل عدوّكم، وشفاء

---

(١) ن.م ٥/٥٧٩.

(٢) ن.م.

(٣) الطبري ٥/٥٧٩ ـ ٥٨٠.

(٤) رجل عشمة: يابس من الهزال.

صدوركم، فاسمعوا مني قولي، وأطيعوا أمري، ثمّ أبشِروا وتباشَروا؛ فإنّي لكم بكل ما تأملون خيرُ زعيم. قال: فوالله ما زال بهذا القول نحوه حتى استمالَ طائفةً من الشيعة، وكانوا يختلفون إليه ويعظِّمونه، وينظرون أمره هذه وعُظمُ[1] الشيعة يومئذٍ ورؤساؤهم مع سليمان بن صُرد، وهو شيخ الشيعة وأسنُّهم، فليس يَعدِلون به أحداً؛ إلاّ أنّ المختار قد استمال منهم طائفةً ليسوا بالكثير، فسليمان بن صُرَد أثقل خلق الله على المختار، وقد اجتمع لابن صُرَد يومئذٍ أمرُه. وهو يريد الخروج والمختار لا يريد أن يتحرّك. ولا أن يهيّج أمراً حتّى ينظر إلى ما يصير إليه أمرُ سليمان. رجاءَ أن يستجمع له أمرُ الشيعة. فيكون أقوَى له على دركِ ما يطلب. فلما خرج سليمان بن صرَد ومضى نحو الجَزيرة قال عمر بن سعد بن أبي وقّاص وشَبَث بن رِبْعِيّ ويزيد[2] بن الحارث بن رُوَيْم لعبد الله بن يزيد الخطميّ وإبرهيم بن محمد بن طلحة بن عبيد الله: إنّ المختار أشدّ عليكم من سليمان بن صُرَد، إن سليمان إنما خرج يقاتل عدوّكم، ويذللهم لكم، وقد خرج عن بلادكم؛ وإنّ المختار إنما يريد أن يثبَ عليكم في مصركم، فسيروا إليه فأوثِقوه في الحديد، وخلِّدوه في السجن حتى يستقيمَ أمرُ الناس، فخرجوا إليه في الناس، فما شعر بشيء حتى أحاطوا به وبداره فاستخرجوه، فلما رأى جماعتهم قال: ما بالُكم! فوالله بُعدَ ما ظفِرتْ أكفكم! قال: فقال إبراهيم بن محمد بن طلحة ابن عبيد الله لعبد الله بن يزيد: شُدّه كتافاً. ومشّه حافياً؛ فقال له عبد الله بن يزيد: سبحان الله! ما كنت لأمشّيه ولا لأحفيه ولا كنتِ لأفعلَ هذا برجل لم يُظهر لنا عداوةً ولا حرباً، إنما أخذناه على الظنّ. فقال له إبراهيم بن محمد: ليس بعُشِّكِ فادْرُجى[3]، ما أنت وما يبلغنا عنك يابن أبي عبيد! فقال له: ما الذي بلغك عني إلا باطلٌ، وأعوذ بالله من غشٍّ كغِشّ أبيك وجدّك!.

قال: قال فُضَيل: فوالله إني لأنظرُ إليه حين أخرج وأسمع هذا القول حين قال له، غير أنّي لا أدري أسمعه منه إبراهيم أم لم يسمعه؛ فسكت

(١) ابن الأثير: «وعظماء».
(٢) ابن الأثير: «وزيد».
(٣) ابن الأثير: «هذا يغشك فأدرني».

حين تكلم به، قال: وأتى المختار ببغلة دهماءَ يركبها، فقال إبراهيم لعبد الله بن يزيد: ألا تشدّ عليه القيود؟ فقال: كفي له بالسجن قيداً[1].

١٢ ـ **وقال أبو مخنف في روايته**: لما اجتمعت الشيعة إلى المختار حمد الله وأثنى عليه ثم قال أمّا بعد فإنّ المهديّ ابن الوصيّ محمد بن عليّ بعثني إليكم أميناً ووزيراً ومنتجباً وأميراً وأمرني بقتال المحلّين والطلب بدماء أهل بيته الطيّبين؛ فكان أوّل من بايعه عبيدة بن عمرو، وقد كانت الشيعة مجتمعة لسليمان بن صُرَد الخُزاعي فجعل يثبطها عنه ويقول هذا رجل عَشَمة هامةُ اليوم أو غدٍ وإنّما يريد أن يقتلكم ونفسَه فإنه لا علم له بالحروب وسياسة الأَمور حتى مال إليه كثير منهم، وكان ابن الزبير قد جعل مكان عامر بن مسعود على صلاة الكوفة وحربها عبد الله ابن يزيد الأنصاري ثم أحد بني خَطمة وعلى الخراج إبراهيم الأعرج ابن محمد بن طلحة بن عبيد الله فأتاهما عمر بن سعد بن أبي وقّاص ويزيد بن الحارث بن يزيد ابن رُوَيم الشيباني وشَبَث بن رِبْعِيّ الرياحي فقالوا لهما إنّ سليمان بن صُرَد يريد قتال أعدائكما وإنّ المختار يريد الوثوب بكما في مصركما والإفساد عليكما فأخذاه فحبساه وقيّداه.

فكان يقول في السجن أما وربَ البحار، والنخل والأشجار. والمَهامِهِ والقِفار، والملائكة الأبرار، والمُصطفَيْنَ الأخيار، لأقتلنّ كلّ جبَار. بكلّ لَدْنٍ خطّار. ومهَنَّدٍ بتَار. في جموع من الأنصار. ليسوا بميل أغمار. ولا عُزْلٍ أشرار. حتى إذا أقمتُ عَمودَ الدين. ورَأَيْتُ صَدْعَ المسلمين. وشفيت غليل صدور المؤمنين. وأدْرَكْتُ ثأر أبناء النبيّين. لم يكثر عليّ فراق الدنيا ولم أحفل بالموت إذا أتى. وكان يسجْع بعد خروج ابن صُرَد إلى الجزيرة فيقول عُدّوا لغُزيَكم أكثر من عَشْر. وأقلّ من شهر. فليأتينّكم نبأ هِتْر. وطعن نتْر. وضرب هَبْر. وقتل جَم. وأمر قد حَمّ. فمن لها يومئذٍ أنا لها[2].

١٣ ـ **قال أبو مخنف**: وأما يحيى بن أبي عيسى فحدّثني أنه قال:

---

(١) الطبري ٥/ ٥٨٠ ـ ٥٨١.

(٢) أنساب الأشراف ٥/ ٢١٨ ـ ٢١٩.

دخلت إليه مع حميد بن مسلم الأزديّ نزوره ونتعاهده، فرأيته مقيّداً؛ قال: فسمعتُه يقول: أما وربّ البحار، والنخيل والأشجار، والمَهامِه والقفار، والملائكة الأبرار، والمصطفَين الأخيار، لأقتلنّ كلَّ جبّار، بكلّ لَدْن خَطّار، ومهنَّدٍ بَتّار، في جُموع من الأنصار، ليسوا بِميل[1] أغمار[2]، ولا بُعْزل أشرار. حتى إذا أَقَمتُ عَمودَ الدين، ورأيْتُ شَعْب صَدْع المسلمين، وشفيتُ غليلَ صدور المؤمنين، وأدركتُ بثأر النبيِّين، ولم يكبُر عليّ زوال الدنيا ولم أحفل بالموت إذا أتى.

قال: فكان إذا أتيناه وهو في السجن ردّد علينا هذا القول حتى خرج منه؛ قال: وكان يتشجَّع لأصحابه بعدما خرج ابن صُرَد[3].

[ثورة المختار بن أبي عُبَيد الثقفي]

١٤ ـ ذكر هشام بن محمد، عن أبي مخنف، أن فُضَيل بن خَدِيج، حدّثه عن عُبيدة بن عمرو وإسماعيل بن كثير من بني هند؛ أنّ أصحاب سليمان بن صُرَد لمَّا قدموا كتب إليهم المختار:

أمَّا بعد؛ فإنّ الله أعظم لكم الأجر، وحطّ عنكم الوِزْر، بمفارقة القاسطين، وجهاد المُحلّين؛ إنّكم لم تنفقوا نفقة، ولم تقطعوا عقبة، ولم تخطوا خَطْوة إلا رفع الله لكم بها درجة، وكتب لكم بها حسنة، إلى ما لا يحصيه إلا الله من التضعيف؛ فأبشروا فإنّي لو قد خرجت إليكم قد جرّدت فيما بين المشرق والمغرب في عدوكم السيف بإذن الله، فجعلتُهم بإذن الله رُكاماً؛ وقتلتُهم فذًّا وتؤاماً؛ فرَّحب الله بمن قارب منكم واهتدى؛ ولا يبعد الله إلا مَنْ عصى وأبى؛ والسلام يا أهل الهدى.

فجاءهم بهذا الكتاب سَيحان بن عمرو، من بني ليث من عبد القيس قد أدخله في قلنسوته فيما بين الظّهارة والبِطانةِ؛ فأتى بالكتاب رفاعة بن شدّاد والمُثنَّى بن مُخَرّبة العبديّ وسعد بن حُذيفة بن اليَمان ويزيد بن أنس

---

(١) ميل: جمع أميل؛ وهو الذي لا رمح معه.

(٢) الأغمار: جمع غمرَ، بضم فسكون؛ وهو الذي لا تجربة له بالأمور.

(٣) الطبري ٥/٥٨١ ـ ٥٨٢.

وأحمرَ بن شُمَيْط الأحمسيّ وعبد الله بن شدّاد البَجلِيّ وعبد الله بن كامل؛ فقرأ عليهم الكتاب؛ فبعثوا إليه ابن كامل؛ فقالوا: قل له: قد قرأنا الكتاب؛ ونحن حيث يسرّك؛ فإن شئت أن نأتيَك حتى نخرجك فعلنا. فأتاه، فدخل عليه السجن؛ فأخبره بما أرسِل إليه به؛ فسُرّ باجتماع الشيعة له؛ وقال لهم: لا تريدوا هذا؛ فإني أخرج في أيَّامي هذه.

قال: وكان المختار قد بعث غلاماً يُدْعى زِربيًّا إلى عبد الله بن عمر بن الخطّاب، وكتب إليه:

أمَّا بعد: فإني قد حُبست مظلوماً، وظنّ بي الولاةُ ظنوناً كاذبة؛ فاكتب فيّ يرحمك الله إلى هذين السَّالميْن كتاباً لطيفاً؛ عسى الله أن يخلّصني من أيديهما بلطْفك وبركتك ويُمنك؛ والسلام عليك.

فكتب إليهما عبد الله بن عمر:

أمَّا بعد؛ فقد علمتُما الَّذي بيني وبين المختار بن أبي عبيد من الصِّهر، والَّذي بيني وبينكما من الودّ؛ فأقسمت عليكما بحقّ ما بيني وبينكما لَمّا خَلْيتما سبيله حين تنظران في كتابي هذا، والسلام عليكما ورحمة الله.

فلمَّا أتى عبدَ الله بن يزيد وإبراهيمَ بن محمد بن طلحة كتابُ عبد الله بن عمر دعوا للمختار بكُفَلاء يضمنونه بنفسه، فأتاه أناس من أصحابه كثير، فقال يزيد بن الحارث بن يزيد بن رُؤيْم لعبد الله بن يزيد: ما تصنع بضمان هؤلاء كلّهم! ضمّنه عشرة منهم أشرافاً معروفين، ودْع سائرهم. ففعل ذلك، فلما ضمِنوه، دعا به عبد الله بن يزيد وإبراهيم بن محمد بن طلحة فحلَّفاه بالله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة الرحمن الرحيم؛ لا يبغيهما غائلة، ولا يخرج عليهما ما كان لهما سلطان؛ فإن هو فعل فعليه ألف بَدَنة ينحرها لدى رِتاج الكعبة؛ ومماليكُه كلّهم ذكَرُهم وأنثاهم أحرارٌ، فحلف لهما بذلك، ثم خرج فجاء داره فنزلها[1].

١٥ ـ **قال أبو مخنف: فحدّثني يحيى بن أبي عيسى**، عن حُميد بن

---

(١) الطبري ٦/٧ ـ ٩.

مسلم، قال: سمعت المختار بعد ذلك يقول: قاتلهم الله! ما أحمقهم حين يَرَوْن أنّي أفِي لهم بأيمانهم هذه! أمَّا حلِفي لهم بالله؛ فإنه ينبغي لي إذا حلفت على يمين فرأيت ما هو خير منها أن أدَع ما حلفت عليه وآتي الذي هو خير؛ وأكفّر يمين، وخروجي عليهم خير من كفِّي عنهم؛ وأكفّر يميني؛ وأمَّا هَدْى ألف بَدَنة فهو أهْوَن عليّ من بصقة؛ وما ثمنُ ألف بدنة فيهولَني! وأمَّا عتق مماليكي فوالله لوددت أنه قد استتبّ لي أمري، ثمّ لم أملك مملوكاً أبداً.

قال: ولمَّا نزل المختار دارَه عند خروجه من السِّجن، اختلف إليه الشيعة واجتمعت عليه؛ واتَّفق رأيها على الرضا به، وكان الذي يبايع له الناس وهو في السِّجن خمسة نفر: السَّائب بن مالك الأشعريّ، ويزيد بن أنس، وأحمر بن شُمَيط، ورفاعة بن شدّاد الفِتْيانيّ. وعبد الله بن شداد الجُشَميّ. قال: فلم تزل أصحابه يكثُرون، وأمره يقوَى ويشتدُّ حتَّى عزل ابنُ الزبير عبدَ الله بن يزيد وإبراهيمَ ابن محمد بن طلحة، وبعث عبد الله بن مُطيع على عملهما إلى الكوفة[1].

١٦ ـ **قال أبو مخنف: فحدّثني الصّقْعب بن زهير،** عن عمر بن عبد الرحمن ابن الحارث بن هشام، قال: دَعا ابن الزبير عبدَ الله بن مطيع أخا بني عديّ بن كعب والحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة المخزوميّ؛ فبعث عبد الله بن مطيع على الكوفة، وبعث الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة على البصرة. قال: فبلغ ذلك بَحِيرَ بن رَيْسان الحميريّ؛ فلقيهما، فقال لهما: يا هذان؛ إن القمر الليلة بالناطح[2]، فلا تسيرا. فأمَّا ابنُ أبي ربيعة؛ فأطاعه؛ فأقام يسيرا ثم شخص إلى عمله فسلم؛ وأمَّا عبد الله بن مطيع فقال له: وهل نطلب إلا النّطح! قال: فلقي والله نطحاً وبَطْحاً، قال: يقول عمر: والبلاء موكَّل بالقول.

قال عمر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام: بلغ عبد الملك بن مروان أنّ ابن الزبير بعث عمالاً على البلاد؛ فقال: مَنْ بعث على البصرة؟

---

(١) ن.م ٦/٩.

(٢) الناطح والنطح: من منازل القمر مما يتشاءم به.

فقيل: بعث عليها الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة؛ قال: لا حُرَّ بوادي عوف، بعث عوفاً وجلس! ثم قال: مَنْ بعث على الكوفة؟ قالوا: عبد الله بن مطيع، قال: حازم وكثيراً ما يسقط، وشجاع وما يكره أن يفرّ، قال: مَنْ بعث على المدينة؟ قالوا: بعث أخاه مُصعب بن الزبير، قال: ذاك الليث النَّهْد، وهو رجل أهل بيته[1].

١٧ ـ **قال هشام: قال أبو مخنف**: وقدِم عبد الله بن مُطيع الكوفة في رمضان سنة خمس وستين يوم الخميس لخمس بقِين من شهر رمضان، فقال لعبد الله بن يزيد: إنْ أحببت أن تقيم معي أحسنتُ صحبتَك، وأكرمت مثواك؛ وإن لحقتَ بأمير المؤمنين عبدِ الله بن الزبير فبك عليه كرامة، وعلى مَنْ قبله من المسلمين. وقال لإبراهيم بن محمد بن طلحة: الحقْ بأمير المؤمنين؛ فخرج إبراهيم حتى قدم المدينة، وكسر على ابن الزبير الخراج وقال: إنَّما كانت فتنة. فكفّ عنه ابن الزبير.

قال: وأقام ابن مطيع على الكوفة عن الصّلاة والخراج؛ وبعث على شُرطته إياس بن مضارب العجليّ، وأمره أن يُحسن السيرة والشدّة على المريب[2].

١٨ ـ **قال أبو مخنف**: فحدّثني حَصِيرة بن عبد الله بن الحارث بن دريد الأزديّ ـ وكان قد أدرك ذلك الزمان، وشهد قتل مُصْعب بن الزبير ـ قال: إني لشاهد المسجد حيث قدم عبد الله بن مطيع، فصِعد المنبر، فحمِد الله وأثنى عليه، وقال: أمَّا بعد، فإنّ أمير المؤمنين عبد الله بن الزبير بعثني على مصركم وثغوركم، وأمرني بجباية فيئكم؛ وألاّ أحمل فضل فيئكم عنكم إلا برضاً منكم، ووصيَّةِ عمر بن الخطاب التي أوصى بها عند وفاته، ويسيرة عثمان بن عفان التي سار بها في المسلمين؛ فاتقوا الله واستقيموا ولا تختلفوا، وخذوا على أيدي سفهائكم؛ وإلا تفعلوا فلوموا أنفسكم ولا تلوموني؛ فوالله لأوقعنّ بالسقيم العاصي؛ ولأقيمنّ دَرْء[3] الأصعر

---

(١) الطبري ٦/ ٦٥ ـ ٦٦.

(٢) ن.م ٦/ ٦٦.

(٣) الدرء: الميل والعرج.

المرتاب. فقام إليه السائب بن مالك الأشعريّ، فقال: أمَّا أمر ابن الزبير إيّاك ألاّ تُحمل فضل فيئنا عنَّا إلا برضانا فإنا نشهدك أنَّا لا نرضي أن تحمل فضل فيئنا عنّا؛ وألاّ يقسم إلا فينا؛ وألا يُسار فينا إلا بسيرة عليّ بن أبي طالب التي سار بها في بلادنا هذه حتى هلك رحمة الله عليه، ولا حجةَ لنا في سيرة عثمان في فيئنا ولا في أنفسنا؛ فإنها إنما كانت أثَرةً وهوًى، ولا في سيرة عمر بن الخطاب في فيئنا؛ وإن كانت أهون السيرتين علينا ضرًّا؛ وقد كان لا يألو النَّاس خيراً. فقال يزيد بن أنس: صدق السائب بن مالك وبَرَّ، رأيُنا مثل رأيه، وقولنا مثل قوله. فقال ابن مطيع: نسير فيكم بكلّ سيرة أحببتموها وهويتموها ثم نزل. فقال: يزيد بن أنس الأسديّ: ذهبتّ بفضلها يا سائب؛ لا يعدمْك المسلمون! أما والله لقد قمتُ وإني لأريد أن أقوم فأقول له نحواً من مقالتك، وما أحبّ أن الله ولّى الردّ عليه رجلاً من أهل المِصْر ليس من شيعتنا.

وجاء إياس بن مضارب إلى ابن مُطيع، فقال له: إنّ السائب بن مالك من رءوس أصحاب المختار، ولست آمنُ المختار؛ فابعث إليه فليأتك، فإذا جاءك فاحبّسه في سجنك حتى يستقيم أمر الناس؛ فإن عيوني قد أتتني فخبَّرَتْني أنّ أمره قد استجمع له وكأنه قد وثب بالمِصر. قال: فبعث إليه ابن مُطيع زائدةَ بن قُدامة وحُسين بن عبد الله البُرْسُميّ من هَمْدان. فدخلا عليه، فقالا أجب الأمير، فدعا بثيابه وأمر بإسراج دابَّته، وتحشحش[1] للذهاب معهما؛ فلما رأى زائدةُ بن قدامة ذلك قرأ قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾[2]، ففهمها المختار، فجلس ثم ألقى ثيابه عنه، ثمّ قال: ألقوا ليّ القطيفة؛ ما أراني إلاّ قد وُعِكت، إني لأجد قفقفةً شديدة، ثم تمثَّل قول عبد العُزَّى بن صُهَل الأزديّ:

إذا مَا مَعشَرٌ تَركُوا نَدَاهُمْ ... ولم يأتوا الكريهَة لم يُهَابُوا

ارجعا إلى ابن مطيع، فأعلماه حالي التي أنا عليها. فقال له زائدة بن

---

(١) التحشحش: الحركة.

(٢) سورة الأنفال: الآية ٣٠.

قدامة: أمَّا أنا ففاعل؛ [فقال:] وأنت يا أخا همدان فاعذرني عنده فإنه خير لك[1].

١٩ ـ قال أبو مخنف: فحدثني إسماعيل بن نُعيم الهمْدانيّ، عن حسين بن عبد الله، قال: قلت في نفسي: والله إن أنا لم أبلغ عن هذا ما يُرضيه ما أنا بآمن مِن أن يظهر غداً فيهلكني. قال: فقلت له، نعم، أنا أضع عند ابن مطيع عذرك، وأبلغه كلّ ما تحبّ؛ فخرجنا من عنده؛ فإذا أصحابه على بابه، وفي داره منهم جماعة كثيرة. قال: فأقبلنا نحو ابن مطيع، فقلت لزائدة بن قدامة: أما إني قد فهمت قولك حين قرأت تلك الآية؛ وعلمت ما أردتَ بها، وقد علمت أنها هي ثَبّطته عن الخروج معنا بعد ما كان قد لبس ثيابه، وأسرج دابّته؛ وعلمتُ حين تمثَّل البيت الذي تمثَّل إنما أراد يخبرك أنه قد فهم عنك ما أردت أن تُفهمه. وأنه لن يأتيه. قال: فجاحدني أن يكون أراد شيئاً من ذلك؛ فقلت له: لا تحلف؛ فوالله ما كنت لأبلِّغ عنك ولا عنه شيئاً تكرهانه؛ ولقد علمت أنَّك متفق عليه، تجد له ما يجد المرء لابن عمه. فأقبلنا إلى ابن مطيع؛ فأخبرناه بعلَّته وشكواه؛ فصدَّقَنا ولها عنه.

قال: وبعث المختار إلى أصحابه؛ فأخذ يجمعهم في الدُّور حوله، وأراد أن يثِب بالكوفة في المحرّم؛ فجاء رجل من أصحابه من شِبَام[2] ـ وكان عظيمَ الشرف يقال له عبد الرحمن بن شريح ـ فلقي سعيد بن منقذ الثَّوريّ وسِعر بن أبي سِعر الحنفيّ والأسود بن جَرَاد الكنديّ وقدامة بن مالك الجشميّ؛ فاجتمعوا في منزل سِعْر الحنفيّ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:

أمَّا بعد؛ فإنَّ المختار يريد أن يخرج بنا، وقد بايعناه ولا ندري أرسله إلينا ابن الحنفية أم لا؛ فانهضوا بنا إلى ابن الحنفيَّة فلنخبره بما قدم علينا به وبما دّعانا إليه؛ فإنّ رخّص لنا في اتّباعه اتّبعناه؛ وإن نهانا عنه اجتنبناه، فوالله ما ينبغي أن يكون شيءٌ من أمر الدنيا آثَرَ عندنا من سلامة ديننا. فقالوا له: أرشدك الله! فقد أصبت ووفِّقت؛ اخرج بنا إذا شئت.

---

(١) الطبري ٦/ ١٠ ـ ١٢.

(٢) ابن الأثير: «وشبام: حي من همدان».

فأجمع رأيهم على أن يخرجوا من أيَّامهم، فخرجوا، فلحقوا بابن الحنفيَّة؛ وكان إمامَهم عبدُ الرحمن بن شريح، فلمَّا قدموا عليه سألهم عن حال النَّاس فخبَّروه عن حالهم وما هم عليه[(١)].

٢٠ ـ **قال أبو مخنف: فحدّثني خليفة بن ورقاء**، عن الأسود بن جراد الكنديّ قال: قلنا لابن الحنفيَّة؛ إنّ لنا إليك حاجةً؛ قال: فسرّ هي أم علانية؟ قال: قلنا: لا؛ بل سرّ، قال: فرويداً إذاً؛ قال: فمكث قليلاً. ثم تنحَّى جانباً فدعانا فقمنا إليه، فبدأ عبد الرحمن بن شُريح، فتكلَّم، فحمِد الله وأثنى عليه، ثمّ قال: أمّا بعد؛ فإنكم أهل بيت خصَّكم الله بالفضيلة، وشرّفكم بالنبوّة، وعظَّم حقكم على هذه الأمة؛ فلا يجهل حقكم إلا مغبون الرأي، مخسوس النصيب؛ قد أصبِتم بحسين رحمة الله عليه. عظُمت مصيبة اختُصصتم بها، بعدما عم بها المسلمون، وقد قدم علينا المختار بن أبي عبيد يزعم لنا أنه قد جاءنا من تِلقائكم. وقد دعانا إلى كتاب الله وسنة نبيِّه ﷺ؛ والطلب بدماء أهل البيت، والدفع عن الضعفاء؛ فبايعناه على ذلك. ثم إنَّما رأينا أن نأتِيَك فنذكر لك ما دعانا إليه، وندبنا له؛ فإن أمرتَنا باتباعه اتبعناه، وإن نهيتنا عنه اجتنباه.

ثم تكلمنا واحداً واحداً بنحو مما تكلم به صاحبنا؛ وهو يسمع، حتى إذا فرغنا حمِد الله وأثنى عليه، وصلَّى على النبي ﷺ، ثم قال:

أمَّا بعد؛ فأما ما ذكرتم مما خصّصنا الله به من فضل؛ فإن الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم؛ فللّه الحمد! وأمَّا ما ذكرتم من مصيبتنا بحُسين؛ فإنّ ذلك كان في الذكر الحكيم وهي ملحمة كُتبت عليه، وكرامة أهداها الله له، رفع بما كان منها درجات قوم عنده، ووضع بها آخرين، وكان أمر الله مفعولاً، وكان أمر الله قدراً مقدوراً. وأمَّا ما ذكرتم من دعاء مَن دعاكم إلى الطَّلب بدمائنا؛ فوالله لوددت أنّ الله انتصر لنا من عدوّنا بمن شاء من خلقه؛ أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

قال: فخرجنا من عنده، ونحن نقول: قد أذن لنا؛ قد قال: لوددت أنّ الله انتصر لنا من عدوِّنا بمن شاء من خلْقه، ولو كره لقال: لا تفعلوا.

---

(١) الطبري ٦/ ١٢ ـ ١٣.

قال: فجئنا وأناس من الشيعة ينتظرون مقدمنا ممَّن كنَّا قد أعلمناه بمخرَجنا وأطلعناه على ذات أنفسنا؛ ممن كان على رأينا من إخواننا؛ وقد كان بلغ المختارَ مخرجنا، فشقّ ذلك عليه، وخشي أن نأتيَه بأمر يُخذّل الشيعة عنه؛ فكان قد أرادهم على أن ينهض بهم قبل قدومنا؛ فلم يتهيَّأ ذلك له؛ فكان المختار يقول: إن نُفيراً منكم ارتابوا وتحَيَّروا وخابوا؛ فإن هم أصابوا أقبلوا وأنابوا؛ وإن هم كبُوا وهابوا، واعترضوا وانجابوا، فقد ثَبروا وخابوا؛ فلم يكن إلا شهراً وزيادة شيء؛ حتى أقبل القوم على رواحلهم، حتى دخلوا على المختار قبل دخولهم إلى رحالهم، فقال لهم: ما وراءكم؟ فقد فُتِنْتُم وارتبتم، فقالوا له: قد أمِرنا بنصرتك فقال: الله أكبر! أنا أبو إسحاق، اجمعوا إليّ الشيعة، فجمع له منهم مَنْ كان منه قريباً فقال: يا معشَر الشيعة؛ إنَّ نفراً منكم أحبّوا أن يعلموا مصداق ما جئت به، فرحلوا إلى إمام الهدى، والنجيب المرتضى ابن خير من طشى ومشى؛ حاشا النبي المجتبى؛ فسألوه عمَّا قدمت به عليكم؛ فنبَّأهم أني وزيره وظهيره. ورسوله وخليله؛ وأمركم باتباعي وطاعتي فيما دعوتكم إليه من قتال المحلِّين، والطلب بدماء أهل بيت نبيّكم المصطفيْن.

فقام عبد الرحمن بن شريح، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أمَّا بعد يا معشر الشيعة؛ فإنا قد كنا أحببنا أن نستثبت لأنفسنا خاصة ولجميع إخواننا عامة؛ فقدمنا على المهديّ بن عليّ، فسألناه عن حربنا هذه، وعمَّا دعانا إليه المختار منها، فأمرنا بمظاهرته ومؤازرته وإجابته إلى ما دعانا إليه، فأقبلنا طيّبة أنفُسنا، منشرحة صدورنا، قد أذهب الله منها الشكّ والغِلّ والرّيب، واستقامت لنا بصيرتنا في قتال عدوّنا؛ فليبلِّغ ذلك شاهدكم، غائبَكم، واستعدّوا وتأهَّبوا. ثمّ جلس وقمنا رجلاً فرجلاً؛ فتكلَّمنا بنحو من كلامه؛ فاستجمعت له الشيعة وحدَبت عليه[1].

٢١ ـ **قال أبو مخنف: فحدّثني نُمَير بن وَعْلة والمَشرِقيّ، عن عامر الشَّعبي**[2]، قال: كنت أنا وأبي أوّلَ من أجاب المختار. قال: فلما تهيّأ أمرُه ودنا خروجه؛ قال له أحمر بن شُميط ويزيد بن أنس وعبد الله بن

---

(١) الطبري ٦/١٣ ـ ١٥.

(٢) وردت هذه الرواية بشكل موجز جداً في مقتل الخوارزمي ٢/٢٠٨.

كامل وعبد الله بن شدّاد: إنّ أشرافَ أهل الكوفة مجتمعون على قتالك مع ابن مطيع؛ فإن جامعَنا على أمرنا إبراهيمُ بن الأشتر رجوْنا بإذن الله القُوَّة على عدوّنا، وألاّ يضرّنا خلافُ مَنْ خالفنا، فإنه فتى بئيس، وابن رجل شريف بعيد الصّيت؛ وله عشيرة ذات عزّ وعدد. قال لهم المختار: فالقَوْه فادعوه، وأعلموه الذي أمرِنا به من الطَّلَب بدم الحسين وأهل بيته.

قال الشعبيّ: فخرجوا إليه وأنا فيهم، وأبي، فتكلَّم يزيد بن أنس، فقال له: إنَّا قد أتيناك في أمر نعرضه عليك، وندعوك إليه؛ فإن قبلته كان خيراً لك، وإن تركته فقد أدّينا إليك فيه النصيحة؛ ونحن نحبّ أن يكون عندك مستوراً. فقال لهم إبراهيم بن الأشتر: وإنّ مثلي لا تُخاف غائلته ولا سعايتُه؛ ولا التقرّب إلى سلطانه باغتياب الناس، إنما أولئك الصغارُ الأخطار الدّقاق همماً. فقال له: إنَّما ندعوك إلى أمر قد أجمع عليه رأي الملإ من الشيعة؛ إلى كتاب الله وسنَّة نبيِّه ﷺ، والطَّلب بدماء أهل البيت، وقتال المحلِّين، والدفع عن الضعفاء. قال: ثم تكلم أحمر بن شميط، فقال له: إني لك ناصح، ولحظّك محبّ، وإنّ أباك قد هلك وهو سيّد [الناس]، وفيك منه إن رعيتَ حقّ الله خَلَفٌ؛ قد دعوناك إلى أمر إن أجبْتَنا إليه عادت لك منزله أبيك في النَّاس، وأحييت من ذلك أمراً قد مات؛ إنما يكفي مثلكَ اليسيرُ حتى تبلغ الغاية التي لا مذهب وراءها، إنه قد بنى لك أوَ لك مفتَخراً. وأقبل القوم كلّهم عليه يدعونه إلى أمرهم ويرغّبونه فيه. فقال لهم إبراهيم ابن الأشتر: فإني قد أجبتكم إلى ما دعوتموني إليه من الطلب بدم الحسين وأهل بيته، على أن تولّوني الأمر، فقالوا: أنت لذلك أهل؛ ولكن ليس إلى ذلك سبيل؛ هذا المختار قد جاءنا من قِبَل المهديّ؛ وهو الرسول والمأمور بالقتال؛ وقد أمرِنا بطاعته. فسكت عنهم ابن الأشتر ولم يجبْهم. فانصرفنا من عنده إلى المختار فأخبرناه بما ردّ علينا؛ قال: فغبَر ثلاثاً؛ ثم إنّ المختار دعا بضعةَ عشر رجلاً من وجوه أصحابه ـ قال الشعبيّ: أنا وأبي فيهم ـ قال: فسار بنا ومضى أمامنا يقُدّ بنا بيوت الكوفة قدًّا لاَ ندري أين يريد؛ حتى وقف على باب إبراهيم بن الأشتر؛ فاستأذنَّا عليه فأذن لنا، وألقيت لنا وسائدُ؛ فجلسنا عليها وجلس المختار معه على فراشه؛ فقال المختار:

الحمد لله، وأشهد أن لا إله إلا الله، وصلَّى الله على محمّد، والسَّلام عليه، أمَّا بعد، فإن هذا كتاب إليك من المهديّ محمد بن أمير المؤمنين الوصيّ؛ وهو خير أهل الأرض اليوم، وابن خير أهل الأرض كلّها قبل اليوم بعد أنبياء الله ورسله؛ وهو يسألك أن تنصرنا وتؤازرنا، فإن فعلت اغتبطت، وإن لم تفعل فهذا الكتاب حجَّة عليك، وسيغني الله المهديّ محمداً وأولياءه عنك.

قال الشعبيّ: وكان المختار قد دفع الكتاب إليّ حين خرج من منزله؛ فلما قضى كلامه قال لي: ادفع الكتاب إليه، فدفعته إليه، فدعا بالمصباح وفضّ خاتمه، وقرأه فإذا هو:

بسم الله الرحمن الرحيم. من محمد المهديّ إلى إبراهيم بن مالك الأشتر، سلامٌ عليك؛ فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو؛ أما بعد فإني قد بعثت إليكم بوزيري وأميني ونجِيِّي الذي ارتضيته لنفسي، وقد أمرته بقتال عدوّي والطلب بدماء أهل بيتي؛ فانهضْ معه بنفسك وعشيرتك ومَنْ أطاعك؛ فإنك إن نصرتَني وأجبت دعوتي وساعدت وزيري كانت لك عندي بذلك فضيلة؛ ولك بذلك أعنَّة الخيل وكلّ جيش غازٍ. وكلّ مصر ومنبر وثغر ظهْرتَ عليه فيما بين الكوفة وأقصى بلاد أهل الشام، عليّ الوفاء بذلك على عهد الله؛ فإن فعلت ذلك نلتَ به عندَ الله أفضل الكرامة، وإن أبيت هلكت هلاكاً لا تستقيله أبداً، والسلام عليك.

فلما قضى إبراهيمُ قراءة الكتاب، قال: لقد كتب إليّ ابنُ الحنفيَّة؛ وقد كتبتُ إليه قبل اليوم؛ فما كان يكتب إليّ إلا باسمه واسم أبيه، قال له المختار إنّ ذلك زمان وهذا زمان، قال إبراهيم: فمِنْ يعلم أن هذا كتاب ابن الحنفيَّة إليّ؟ فقال له: يزيد بن أنس وأحمر بن شميط وعبد الله بن كامل وجماعتهم ـ قال الشعبيّ: إلاّ أنا وأبي ـ فقالوا: نشهد أنّ هذا كتاب محمد بن عليّ إليك، فتأخر إبراهيم عند ذلك عن صدر الفراش فأجلس المختار عليه، فقال: ابسط يدك أبايعْك؛ فبسط المختار يده فبايعه إبراهيم، ودعا لنا بفاكهة، فأصبنا منها؛ ودعا لنا بشراب من عسل فشربنا ثم نهضنا؛ وخرج معنا ابنُ الأشتر؛ فركب مع المختار حتى دخل رحله؛ فلما رجع إبراهيم منصرفاً أخذ بيدي، فقال: انصرف بنا يا شعبيّ، قال: فانصرفت

معه ومضى بي حتى دخل بي رحله، فقال: يا شعبيّ، إني قد حفظت أنَّك لم تشهد أنت ولا أبوك؛ أفترَى هؤلاء شهدوا على حقّ؟ قال: قلت له: قد شهدوا على ما رأيت وهم سادة القرّاء ومشيخة المصّر وفرسان العرب، ولا أرى مثل هؤلاء يقولون إلا حقًّا. قال: فقلت له هذه المقالة؛ وأنا والله لهم على شهادتهم متَهَمٌ؛ غيرَ أني يعجبني الخروج وأنا أرى رأي القوم؛ وأحبّ تمام ذلك الأمر؛ فلم أطلعه على ما في نفسي من ذلك؛ فقال لي ابن الأشتر: اكتبْ لي أسماءهم فإني ليس كلَّهم أعرف. ودعا بصحيفة ودواة، وكتب فيها:

بسم الله الرحمن الرحيم؛ هذا ما شهد عليه السائب بن مالك الأشعريّ، ويزيد بن أنس الأسديّ وأحمر بن شميط الأحمسيّ ومالك بن عمرو النهديّ؛ حتى أتى على أسماء القوم؛ ثم كتب: شهدوا أن محمد بن عليّ كتب إلى إبراهيم بن الأشتر يأمره بمؤازرة المختار ومظاهرته على قتال المحلِّين، والطلب بدماء أهل البيت، وشهد على هؤلاء النَّفر الذين شهدوا على هذه الشهادة شَراحيل بن عبد ـ وهو أبو عامر الشعبيّ الفقيه ـ وعبد الرحمن بن عبد الله النَّخعيّ، وعامر بن شَراحِيل الشعبيّ. فقلت له: ما تصنع بهذا رحمك الله؟ فقال: دعْه يكون. قال: ودعا إبراهيم عشيرته وإخوانه ومَنْ أطاعه، وأقبل يختلف إلى المختار[1].

٢٢ ـ **قال هشام بن محمد: قال أبو مخنف**: حدثني يحيى بن أبي عيسى الأزديّ، قال: كان حُميد بن مسلم الأزدي صديقاً لإبراهيم بن الأشتر؛ وكان يختلف إليه؛ ويذهب به معه؛ وكان إبراهيم يروح في كلّ عشية عند المساء، فيأتي المختار، فيمكث عنده حتى تصوّب النجوم، ثم ينصرف؛ فمكثوا بذلك يدبّرون أمورهم؛ حتى اجتمع رأيهم على أن يخرجوا ليلة الخميس لأربع عشرة من ربيع الأول سنة ست وستين، ووطّن على ذلك شيعتهم ومن أجابهم. فلما كان عند غروب الشمس، قام إبراهيم بن الأشتر؛ فأذّن؛ ثمّ إنه استقدم، فصلَّى بنا المغرب، ثم خرج بنا بعد المغرب حين قُلت: أخوك أو الذئبُ[2] ـ وهو يريد المختار، ـ فأقبلنا علينا

---

(١) الطبري ٦/ ١٥ ـ ١٨.

(٢) يقال: أخوك أو الذئب: إذا اشتد الظلام.

السلاحُ، وقد أتى إياسُ بن مضارب عبدَ الله بن مطيع فقال: إنّ المختار خارج عليك إحدى الليلتين؛ قال: فخرج إياس في الشُّرَط، فبعث ابنه راشداً إلى الكُنَاسة، وأقبل يسير حولَ السوق في الشُّرَط.

ثم إنّ إياس بن مضارب دخل على ابن مطيع، فقال له: إني قد بعثت ابني إلى الكناسة، فلو بعثتَ في كل جبَّانة بالكوفة عظيمةٍ رجلاً من أصحابك في جماعة من أهل الطاعة؛ هاب المريبُ الخروج عليك. قال: فبعث ابن مطيع عبد الرحمن بن سعيد بن قيس إلى جَبَّانة السَّبيع، وقال: اكفني قومك، لا أوتَينّ من قِبلك، وأحكِم أمر الجبَّانة التي وجّهتك إليها، لا يحدُثنّ بها حَدَث؛ فأولَيك العجز والوهن. وبعث كعب بن أبي كعب الخثعميّ إلى جَبَّانة بشر، وبعث زحْر بن قيس إلى جبَّانة كِنْدة، وبعث شمِر بن ذي الجوشن إلى جبّانة سالم، وبعثَ عبد الرحمن بن مخنف بن سُليم إلى جبَّانة الصائديّين، وبعث يزيد بن الحارث بن رُؤيم أبا حَوْشب إلى جبّانة مراد، وأوصى كلَّ رجل أن يكفيَه قومه، وألاّ يؤتَى من قبَله، وأن يحكم الوجه الذي وجّهه فيه؛ وبعث شَبَث بن رِبْعيّ إلى السَّبَخَة، وقال: إذا سمعت صوت القوم فوجّه نحوهم؛ فكان هؤلاء قد خرجوا يوم الإثنين؛ فنزلوا هذه الجبابين، وخرج إبراهيم بن الأشتر من رَحله بعد المغرب يريد إتيان المختار؛ وقد بلغه أن الجبابين قد حُشيتْ رجالاً، وأن الشّرَط قد أحاطت بالسوق والقصر[1].

٢٣ ـ **قال أبو مخنف: فحدّثني يحيى بن أبي عيسى**، عن حُميد بن مسلم، قال: خرجت مع إبراهيم من منزله بعد المغرب ليلةَ الثلاثاء حتى مررنا بدار عمرو ابن حُريث، ونحن مع ابن الأشتر كتيبةٌ نحوٌ من مائة، علينا الدروع، قد كفرنا[2] عليها الأقبية، ونحو متقلّدو السيوف؛ ليس معنا سلاحٌ إلاّ السيوف في عواتقنا، والدّروع قد سترناها بأقبِيتنا؛ فلمّا مررنا بدار سعيد بن قيس فجُزْناها إلى دار أسامة، قلنا: مُرَّ بنا على دار خالد

---

(١) الطبري ٦/١٨ ـ ١٩.

(٢) كفرنا، أي سترنا.

بن عُرْفُطة، ثم امضِ بنا إلى بَجِيلة، فلنمرّ في دورهم حتى نخرج إلى دار المختار ـ وكان إبراهيم فتًى حَدَثا شجاعاً؛ فكان لا يكره أن يلقاهم ـ فقال: والله لأمرّنّ على دار عمرو بن حريث إلى جانب القصر وسط السوق، ولأرعبنّ به عدوّنا ولأرِينَّهم هوانهم علينا. قال: فأخذنا على باب الفيل على دار ابن هبَّار؛ ثم أخذ ذات اليمين على دار عمرو بن حريث؛ حتى إذا جاوزها ألفينا إياس بن مضارب في الشُّرَط مظهرين السلاح. فقال لنا: مَنْ أنتم؟ ما أنتم؟ فقال له إبراهيم: أنا إبراهيم بن الأشتر، فقال له ابن مضارب: ما هذا الجمع معك؟ وما تريد؟ والله إنّ أمرك لمريب! وقد بلغني أنك تمرّ كلّ عشية ها هنا. وما أنا بتاركك حتى آتي بك الأمير فيرى فيك رأيه. فقال إبراهيم: لا أبا لغيرك! خلِّ سبيلَنا، فقال: كلاّ والله لا أفعل ـ ومع إياس بن مضارب رجل من هَمْدان، يقال له أبو قطن، كان يكون مع إمرة الشَرْطة فهم يكرمونه ويؤثرونه، وكان لابن الأشتر صديقاً ـ فقال له ابن الأشتر: يا أبا قَطن، ادنُ مني ـ ومع أبي قَطَن رمح له طويل ـ؛ فدنا منه أبو قَطَن؛ ومعه الرمح؛ وهو يرى أن ابن الأشتر يطلب إليه أن يشفع له إلى ابن مضارب ليخلّيَ سبيله؛ فقال إبراهيم ـ وتناول الرّمح من يده: إنّ رمحَك هذا لطويل فحمل به إبراهيم على ابن مضارب، فطعنه في ثُغْرة نحره فصرعه، وقال لرجل من قومه: انزل [عليه]، فاحتزّ رأسه، فنزل إليه فاحتزّ رأسه، وتفرّق أصحابه ورجعوا إلى ابن مطيع. فبعث ابن مطيع ابنَه راشدَ بن إياس مكان أبيه على الشّرْطة، وبعث مكان راشد بن إياس إلى الكُناسة تلك الليلة سُوَيد بن عبد الرحمن المِنْقَرِيّ أبا القعقاع بن سُويد. وأقبل إبراهيم بن الأشتر إلى المختار ليلةَ الأربعاء، فدخل عليه فقال له إبراهيم: إنَّا اتّعدنا للخروج للقابلة ليلة الخميس، وقد حدث أمرٌ لا بدّ من الخروج الليلة، قال المختار: ما هو؟ قال: عرض لي إياس بن مضارب في الطريق ليحبسني بزعمه، فقتلته؛ وهذا رأسه مع أصحابي على الباب. فقال المختار: فبشّرك الله بخير! فهذا طير صالح، وهذا أوّل الفتح إن شاء الله. ثم قال المختار: قم يا سعيد بن منقذ، فأشعل في الهراديّ[1] النيران ثم ارفعها

---

(١) في اللسان: «الهردية: قصبات تضم ملوية بطاقات الكرم، تحمل عليها قضبانه».

للمسلمين، وقم أنت يا عبد الله بن شدّاد؛ فناد: «يا منصور أمتْ»؛ وقم أنت يا سفيان بن ليل، وأنت يا قدامة بن مالك، فناد: يا لثارات الحسين! ثم قال المختار: عليّ بدرعي وسلاحي، فأتِيَ به: فأخذ يلبس سلاحه ويَقول:

قَدْ عَلِمَتْ بَيْضاءُ حَسناءُ الطَّلَلْ   واضِحَةُ الخَدَّينِ عَجْزاءُ الكَفَلْ
أنـي غـداةَ الـرَّوْعِ مِـقْـدامٌ بَـطَـلْ[1]

ثم إنّ إبراهيم قال للمختار: إنّ هؤلاء الرءوس الَّذين وضعهم ابن مطيع في الجبابين يمنعون إخوانَنا أن يأتونا، ويضيِّقون عليهم؛ فلو أني خرجت بمن معي من أصحابي حتى آتيَ قومي؛ فيأتيني كلّ مَنْ قد بايعني من قومي، ثم سرت بهم في نواحي الكوفة. ودعوت بشعارنا؛ فخرج إليّ مَن أراد الخروج إلينا، ومَنْ قدر على إتيانك من الناس؛ فمن أتاك حبسته عندك إلى مَنْ معك ولم تفرّقهم؛ فإن عوجلت فأتِيت كان معكَ من تمتنع به؛ وأنا لو قد فرغت من هذا الأمر عجلت إليك في الخيل والرجال. قال له. إمّالا[2] فاعجل وإيّاك أن تسير إلى أميرهم تقاتله، ولا تقاتل أحداً وأنت تستطيع ألاّ تقاتل، واحفظ ما أوصيتك به إلا أن يبدأك أحد بقتال. فخرج إبراهيم بن الأشتر من عنده في الكتيبة الَّتي أقبل فيها؛ حتى أتى قومَه، واجتمع إليه جلّ مَنّ كان بايعه وأجابه. ثم إنَّه سار بهم في سِكك الكوفة طويلاً من الليل؛ وهو في ذلك يتجنَّب السكك الَّتي فيها الأمراء، فجاء إلى الَّذين معهم الجماعات الَّذين وضع ابن مطيع في الجبابين وأفواه الطّرق العظام، حتَّى انتهى إلى مسجد السَّكون، وعجلت إليه خيلٌ من خيل زَحْر بن قيس الجُعفيّ ليس لهم قائد ولا عليهم أمير. فشدّ عليهم إبراهيمُ بن الأشتر وأصحابه، فكشفوهم حتَّى دخلوا جبَّانة كِندة، فقال إبراهيم: مَن صاحب الخيل في جبَّانة كندة؟ فشدّ إبراهيم وأصحابُه عليهم، وهو يقول: اللهمّ إنك تعلم أنا غضبنا لأهل بيت نبيّك، وثُرْنا لهم، فانصرنا عليهم،

---

(١) في مقتل الخوارزمي ٢/ ٢١٠: عن أبي مخنف: إنه تمثّل بقول مروان بن الحكم:

قد علمت بيضاء حسناء الكلل   واضحة الخدّين عجزاء الكفل
إني غداة الروع مقدام بطل   لا عاجز فيها ولا وغد فشل

(٢) إما لا، أي كنت لا تفعل بغير ذلك.

وتمّم لنا دعوتَنا؛ حتَّى انتهى إليهم هو وأصحابُه، فخالطوهم وكَشفُوهم فقيل له: وَحْرُ بن قيس؛ فقال: انصرفوا بنا عنهم، فركب بعضُهم بعضاً كلَّما لقيَهم زقاق دخلَ منهم طائفةٌ، فانصَرَفُوا يسيرون.

ثم خرج إبراهيم يسير حتَّى انتهى إلى جبَّانة أثَيْر، فوقف فيها طويلاً، ونادى أصحابه بشعارهم، فبلغ سُوَيد بن عبد الرحمن المنقريّ مكانهم في جبَّانة أثَير، فرجا أن يصيبَهم فيحظَى بذلك عند بن مطيع، فلم يشعر ابن الأشتر إلا وهم معه في الجبَّانة، فلمَّا رأى ذلك ابن الأشتر قال لأصحابه: يا شُرطةَ الله، انزِلوا فإنكم أولَى بالنَّصر من الله من هؤلاء الفسَّاق الَّذين خاضوا دماءَ أهلِ بيت رسول الله ﷺ. فنزلوا. ثم شدّ عليهم إبراهيم، فضربهم حتَّى أخرجهم من الصَّحراء، وولَّوا منهزمين يَركَب بعضهم بعضاً، وهم يتلاوَمون، فقال قائل منهم: إنّ هذا الأمر يراد؛ ما يلقوْن لنا جماعة إلاّ هزموهم! فلم يزل يَهزِمهم حتَّى أدخَلَهم الكُناسةَ. وقال أصحاب إبراهيم لإبراهيم: اتّبعهم واغتنِم ما قد دَخَلهم من الرّعب، فقد علم الله إلى مَن ندعو وما نطلب، وإلى مَن يدعون وما يطلبون! قال: لا، ولكن سِيروا بنا إلى صاحبنا حتَّى يؤمّن الله بنا وحشتَه، ونكون من أمره على عِلم، ويعلم هو أيضاً ما كان من عَنائنا، فيزداد هو وأصحابه قوّة وبصيرةً إلى قواهم وبصيرتهم، مع أني لا آمن أن يكون قد أتِيَ.

فأقبل إبراهيمُ في أصحابه حتَّى مرّ بمسجد الأشعث، فوقفَ به ساعة، ثمّ مضى حتَّى أتى دار المختار، فوجد الأصواتَ عالية، والقومَ يقتتلون، وقد جاء شَبَث بن رِبعي من قِبَل السبَخة، فعبّى له المختار يزيد بن أنس، وجاء حجّار ابن أبجر العجليّ، فجعل المختار في وجهه أحمر بن شميط، فالناس يقتتلون، وجاء إبراهيم من قِبل القصر، فبلغ حجَّاراً وأصحابه أنّ إبراهيم قد جاءهم من ورائهم، فتفرّقوا قبل أن يأتيَهم إبراهيم، وذهبوا في الأزقَّة والسكَك، وجاء قيس ابن طَهْفة في قريب من مائة رجل من بني نَهْد من أصحاب المختار، فحمل على شَبث بن رِبعيّ وهو يقاتل يزيد بنَ أنس، فخلَّى لهم الطريق حتَّى اجتمعوا جميعاً. ثمّ إن شَبَث بن رِبعيّ ترك لهم السكَّة، وأقبل حتَّى لقي ابن مطيع، فقال: ابعث إلى أمراء الجَبَابِين فمرهم فليأتوكَ، فاجمعْ إليك

جميعَ الناس، ثمّ انهد إلى هؤلاء القوم فقاتِلهم وابعث إليهم من تثق به فليكفك قتالهم، فإنّ أمرَ القوم قد قَوِي، وقد خرج المختار وظهر، واجتمع له أمرُه. فلمَّا بلغ ذلك المختار من مشورة شَبَث بن رِبْعِيّ على ابن مطيع خرج المختار في جماعة من أصحابه حتَّى نزل في ظهر دَيْر هند ممَّا يلي بُسْتان زائدة في السَّبَخة.

قال: وخرج أبو عثمان النّهديّ فنادى في شاكر وهم مجتمعون في دورهم، يخافون أن يظهروا في الميدان لقُرْب كعب بن أبي كعب الخثعميّ منهم، وكان كعب في جبَّانة بشر، فلمَّا بلغه أن شاكراً تخرج جاء يسير حتى نزل بالميْدان، وأخذ عليهم بأفواه سِكَكهم وطُرُقِهم. قال: فلمَّا أتاهم أبو عثمان النَّهديّ في عصابة من أصحابه، في عصابة من أصحابه، نادى: يا لَثَارات الحسين! يا منصورُ أمِت! يأيّها الحَيّ المهتدون، ألا إنّ أمير آل محمَّد ووزيرَهم. قد خرج فنزل ديرَ هند، وبعثني إليكم داعياً ومبشراً، فاخرجوا إليه يرحمكم الله! قال: فخرجوا من الدّور يتداعَوْن: يا لَثَارات الحسين! ثم ضاربوا كعب بن أبي كعب حتَّى خلَّى لهم الطريق، فأقبلوا إلى المختار حتَّى نزلوا معه في عسكره، وخرج عبد الله بن قراد الخثعميّ في جماعة من خثعم نحو المائتين حتَّى لحق بالمختار، فنزلوا معه في عسكره، وقد كان عرض له كعب بن أبي كعب فصافَّه، فلمَّا عرفهم ورأى أنَّهم قومُه خلَّى عنهم، ولم يقاتلْهم.

وخرجتْ شِبَام من آخر ليلتهم فاجتمعوا إلى جبَّانة مراد، فلمَّا بلغ ذلك عبد الرحمن بن سعيد بن قيس بعث إليهم: إن كنتم تريدون اللّحاق بالمختار فلا تمرُّوا على جبَّانة السَّبيع، فلَحِقوا بالمختار، فتوافَى إلى المختار ثلاثة آلاف وثمانمائة من اثني عشر ألفاً كانوا بايعوه، فاستجمعوا له قبل انفجار الفجر، فأصبح قد فرغ من تعبيته[1].

٢٤ ـ **قال أبو مخنف**: فحدّثني الوالبيّ قال: خرجتُ أنا وحميد بن مسلم، والنعمان بن أبي الجَعْد إلى المختار ليلةَ خرج، فأتيناه في داره،

---

(١) الطبري ٦/ ١٩ ـ ٢٣، والرواية مختصرة جداً عن أبي مخنف في مقتل الخوارزمي ٢/ ٢٠٩ ـ ٢١٢.

وخرجْنا معه إلى معسكره؛ قال: فوالله ما انفَجَر الفجر حتى فرغ من تعبيته؛ فلمَّا أصبح استقدم، فصلَّى بنا الغداةَ بغلَس، ثم قرأ «والنازعات» و «عبس وتولَّى»، قال: فما سمعنا إماماً أمَّ قوماً أفصحَ لهجةً منه[1].

٢٥ ـ **قال أبو مخنف**: حدّثني حَصِيرة بن عبد الله، أنّ ابنَ مطيع بعث إلى أهل الجبابين، فأمرهم أن ينضمُّوا إلى المسجد، وقال لراشد بن إياس بن مضارب: نادِ في الناس فليأتوا المسجد، فنادى المنادي: ألا برئتْ الذّمّة من رجل لم يحضر المسجد الليلة! فتوافَى النَّاس في المسجد، فلمَّا اجتمعوا بعث ابن مطيع شَبَث بن رِبْعيّ في نحو من ثلاثة آلاف إلى المختار، وبعث راشد بن إياس في أربعة آلاف من الشُّرَط[2].

٢٦ ـ **قال أبو مخنف: فحدّثني أبُو الصَّلْت التيميّ** عن أبي سعيد الصّيْقل قال: لما صلَّى المختار الغداةَ ثم انصرف سَمعْنَا أصواتاً مرتفعة فيما بين بني سُلَيم وسكَّة البريد، فقال المختار: مَنْ يعلم لنا علم هؤلاء ما هم؟ فقلت له: أنا أصلحك الله! فقال المختار: إمَّا لا[3] فألق سلاحك وانطلق حتى تدخل فيهم كأنك نظّار، ثم تأتيني بخبرهم. قال: ففعلتُ، فلمَّا دنوت منهم إذَا مؤذنهم يقيم، فجئت حتَّى دنوتُ منهم فإذا شَبَث بن رِبعيّ معه خيل عظيمة، وعلى خيله شَيْبان بن حُرَيث الضبيّ، وهو في الرجّالة معه منهم كثرة، فلما أقام مؤذنهم تقدّم فصلَّى بأصحابه، فقرأ: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾[4]، فقلت في نفسي: أما والله إني لأرجو أن يزلزل الله بكم، وقرأ: ﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا﴾[5]، فقال أناس من أصحابه: لو كنت قرأت سورتين هما أطول من هَاتين شيئاً! فقال شَبَث: ترون الدّيْلم قد نزلت بساحتكم، وأنتم تقولون: لو قرأت سورة «البقرة» و «آل عمران»! قال: وكانوا ثلاثة آلاف، قال: فأقبلت سريعاً حتى أتيت المختارَ فأخبرته بخبر شَبَث وأصحابه، وأتاه معي ساعة أتيته سِعْر بن أبي سعر الحنفيّ يركض من

(١) الطبري ٦/ ٢٣، مقتل الخوارزمي ٢/ ٢١٢.
(٢) الطبري ٦/ ٢٣.
(٣) إما لا، أي إن كنت لا تفعل غير ذلك.
(٤) سورة الزلزلة: الآية ١.
(٥) سورة العاديات: الآية ١.

قِبَل مراد، وكان ممَّن بايع المختار فلم يقدر على الخروج معه ليلة خرج مخافة الحرس، فلمَّا أصبح أقبل على فرسه، فمرّ بجبَّانة مراد؛ وفيها راشد بن إياس، فقالوا: كما أنت! ومن أنْت؟ فراكضهم حتى جاء المختار، فأخبره خبر راشد، وأخبرته أنا خبر شَبث، قال: فسرّحَ إبراهيم بن الأشتر قبَلَ راشد بن إياس في تسعمائة ـ ويقال ستمائة فارس وستمائة راجل ـ وبعث نعيم بن هبيرة أخا مَصْقلة بن هبيرة في ثلثمائة فارس وستمائة راجل، وقال لهما: امضيا حتى تلقيَا عدوّكما، فإذا لقيتماهم فانزلا في الرجال وعجلا الفَرَاغ وابدآهم بالإقدام، ولا تستهدفا لهم؛ فإنهم أكثر منكم، ولا ترجعا إليّ حتى تظهرا أو تُقتلا. فتوجَّه إبراهيم إلى راشد، وقدّم المختارُ يزيد ابن أنس في موضع مسجد شَبَث في تسعمائة أمامه. وتوجَّه نعيم بن هبيرة قبَل شَبث[١].

٢٧ ـ **قال أبو مخنف**: قال أبو سعيد الصيقل: كنت أنا فيمن توجَّه مع نُعيم بن هبيرة إلى شَبَث ومعي سِعر بن أبي سعر الحنفيّ، فلما انتهينا إليه قاتلناه قتالاً شديداً، فجعل نعيم بن هبيرة سعر بن أبي سِعر الحنفيّ على الخيل، ومشى هو في الرجال فقاتلهم حتى أشرقت الشمس وانبسطت، فضربناهم حتى أدخلناهم البيوت؛ ثم إنّ شَبَث بن رِبعيّ ناداهم: يا حماة السوء! بئْس فرسان الحقائق أنتم! أمِنْ عبيدكم تهربون! قال: فثابت إليه منهم جماعة فشد علينا وقد تفرّقنا فهزمَنا، وصبر نعيم بن هبيرة فقتِل، ونزل سعر فأسِر وأسِرت أنا وخليد مولى حسان بن محدوج، فقال شبث لخليد ـ وكان وسيماً جسيماً: مَن أنت؟ فقال: خليد مولى حسان بن محدوج الذهلي، فقال له شَبث: يا بن المَتْكاء، تركت بيع الصِّحناة[٢] بالكُناسة وكان جزاء من أعتقك أنْ تعدوَ عليه بسيفك تضرب رقابه! اضربوا عنقه، فقُتِل، ورأى سعراً الحنفي فعَرَفه، فقال: أخو بني حنيفة؟ فقال له: نعم؛ فقال: وَيْحَك! ما أردتَ إلى اتّباع هذه السَّبئيَّة! قبح الله رأيك، دعوا ذَا. فقلتُ في نفسي: قَتَل المولَى وتَرَك العربيّ؛ إن

---

(١) الطبري ٦/ ٢٣ ـ ٢٤.

(٢) المتكاء من النساء: هي التي لم تخفض، وهو من السب عندهم. وفي اللسان: «الصحناء بالكسر: إدام يتخذ من السمك، بمد ويقصر، والصحناة أخص منه».

علم والله إني مولى قتلني. فلمَّا عُرِضت عليه قال: من أنت؟ فقلت: من بني تيم الله؛ قال: أعربيّ أنت أو مولًى؟ فقلت: لا بل عربيّ، أنا من آل زياد بن خَصَفة، فقال: بخ بخ! ذكرتَ الشريفَ المعروف، الحقْ بأهلك. قال: فأقبلتُ حتَّى انتهيت إلى الحمراء، وكانت لي في قتال القوم بصيرة، فجئت حتى انتهيت إلى المختار؛ وقلت في نفسي: والله لآتين أصحابي فلأواسينَّهم بنفسي، فقبح الله العيشَ بعدَهم! قال: فأتيتُهم وقد سبقني إليهم سِعر الحنفيّ، وأقبلتْ إليه خيلُ شَبَث، وجاءه قتْل نُعَيم ابن هُبَيرة، فدخل من ذلك أصحاب المختار أمرٌ كبير؛ قال: فدنوتُ من المختار، فأخبرتُه بالذي كان من أمري، فقال لي: اسكتْ، فليس هذا بمكان الحديث. وجاء شَبَث حتَّى أحاط بالمختار وبيزيد بن أنس وبعث ابن مطيع يزيدَ ابن الحارث ابن رؤيم في ألفين من قبَل سكَّة لحّام جرير، فَوقَفوا في أفواه تلك السكك، ووَلَّى المختارُ يزيد بن أنس خيلَه، وخرج هو في الرَّجالة[1].

٢٨ ـ **قال أبو مخنف**: فحدّثني الحارث بن كعب الوالبيّ؛ والبة الأزد، قال: حملتْ علينا خيل شَبَث بن رِبْعًى حملتين، فما يزول منَّا رجل من مكانه، فقال يزيد بن أنس لنا: يا معشر الشّيعة، قد كنتم تُقتَلون وتُقطَّع أيديكم وأرجلكم، وتسمَل أعينكم، وتُرفَعون على جُذوع النخل في حُبّ أهل بيت نبيّكم؛ وأنتم مقيمون في بيوتكم، وطاعة عدوّكم، فما ظَنُّكم بهؤلاء القوم إن ظهروا عليكم اليوم! إذاً والله لا يَدعَون منكم عيناً تَطرف، وليقتُلنَّكم صَبْراً ولترونّ منهم في أولادكم وأزواجكم وأموالكم ما الموْتُ خيرٌ منه، والله لا يُنجيكم منهم إلاّ الصدق والصبر، والطعن الصائب في أعينهم، والضرب الدَّراك[2] على هامهم. فتيسَّروا للشَّدّةِ، وتهيئوا للحَمْلة، فإذ حرّكت رايتي مرّتين فاحملوا. قال الحارث: فتهيَّأنا وتيسَّرنا، وجثَوْنا على الرُّكَب، وانتظرنا أمره[3].

٢٩ ـ **قال أبو مخنف**: وحدّثني فضيل بن خديج الكنديّ أنّ إبراهيم

---

(١) الطبري ٦/ ٢٤ ـ ٢٦.
(٢) الطعن الدارك: المتتابع.
(٣) الطبري ٦/ ٢٦.

بن الأشتر كان حين توجَّه إلى راشد بن إياس، مضى حتَّى لقيه في مراد، فإذا معه أربعةُ آلاف، فقال إبراهيم لأصحابه: لا يهولنَّكم كثرةُ هؤلاء، فوالله لرُبّ رجل خيرٌ من عشرة. ولرُبّ فِئة قَليلة قَدْ غَلَبْت فِئةً كثيرةً بإذْن الله واللّهُ مَعَ الصَّابرين، ثم قال: يا خُزيمة بن نصر، سرْ إليهم في الخيل. ونزل هو يمشي في الرّجال، ورايتُه مع مُزاحم بن طُفيل، فأخذ إبراهيم يقول له: ازدَلِف برايتك، امِضِ بها قُدُماً قُدُماً. واقتتل الناسُ، فاشتدّ قتالهم، وبصُر خزيمة بن نصر العبسيّ براشد بن إياس، فحمل عليه فطعنه، فَقَتَله، ثمّ نادى: قتلتُ راشداً وربِّ الكعبة. وانهزم أصحابُ راشد، وأقبل إبراهيمُ بن الأشتر وخزيمة بن نصر ومَن كان معهم بعد قتل راشد نحو المختار، وبعث النعمانُ بن أبي الجعْد يبشّر المختار بالفتح عليه وبقتل راشد، فلمَّا أن جاءهم البشير بذلك كبَّروا، واشتدّت أنفسُهم، ودخل أصحاب ابن مطيع الفَشَل، وسرّح ابن مطيع حسَّان بن فائد بن بكير العبسيّ في جيش كثيف نحو من ألفين. فاعترض إبراهيمَ بن الأشتر فُوَيقَ الحمراء ليردّه عَمّن في السبخة من أصحاب ابن مطيع، فقَدّم إبراهيمُ خزيمة بن نصر إلى حسَّان ابن فائد في الليل، ومشى إبراهيم نحوه في الرجال. فقال:

والله ما اطَّعَنَّا برمح، ولا اضطرَبْنا بسيف، حتَّى انهزموا. وتَخلَّف حسان بن فائد في أخرَيات الناس يَحمِيهم، وحمل عليه خزيمة بن نصر، فلمَّا رآه عرفه، فقال له: يا حسَّان بن فائد، أما والله لولا القرابة لعرفت أني سألتمس قتلَك بجهدي، ولكن النّجاءَ، فَعثَر بحسَّانَ فرسُه فوقَ، فقال: تعساً لك؛ أبا عبد الله! وابتدره الناس فأحاطوا به، فضارَبَهم ساعةً بسيفه، فناداه خزيمة بن نصر، قال: إنَّك آمن يا أبا عبد الله، لا تقتل نفسَكَ، وجاء حتَّى وقف عليه ونَهنَه الناسَ عنه، ومرّ به إبراهيم، فقال له خزيمة هذا ابن عمِّي وقد آمنته؛ فقال له إبراهيم: أحسنتَ، فأمر خزية بطلب فرسه حتَّى أتِيَ به، فَحَمَلَه عليه، وقال: الحق بأهلِك.

قال: وأقبل إبراهيم نحوَ المختار، وشبَث محيط بالمختار ويزيد بن أنس، فلمَّا رآه يزيد بن الحارث وهو على أفواه سِكَك الكوفة الَّتي تلي السَّبَخة، وإبراهيم مقبل نحو شبَث، أقبل نحوَه ليصدّه عن شبَث وأصحابه، فبعث إبراهيم طائفةً من أصحابه مع خزيمة بن نصر، فقال: أَغْنِ عنا يزيدَ

بن الحارث، وصَمَد هو في بقيَّة أصحابه نحو شَبَث بن رِبْعيّ[1].

٣٠ ـ **قال أبو مخنف**: فحدّثني الحارث بن كعب أنَّ إبراهيم لمَّا أقبل نحونا رأيْنا شبَثاً وأصحابَه ينكُصون وراءهم رُوَيداً رويداً، فلمَّا دنا إبراهيمُ من شبث وأصحابه، حمل عليهم، وأمرنا يزيد بن أنس بالْحملة عليهم، فحملنا عليهم، فانكشفوا حتَّى انتهَوا إلى أبياتِ الكوفة، وحمل خزيمةُ بن نصر على يزيد بن الحارث بن رؤيم فهزمه، وازدحموا على أفواه السِّكَك، وقد كان يزيد بن الحارث وضع راميةً على أفواه السكك فوق البيوت، أقبل المختارُ في جماعة الناس إلى يزيد بن الحارث، فلمَّا انتهى أصحابُ المختار إلى أفواه السكك رَمْته تلك الرامية بالنّبل، فصدّوهم عن دخول الكوفة من ذلك الوجه، ورجع الناس من السَّبَخة منهزمين إلى ابن مطيع، وجاءه قتلُ راشد بن إياس، فأسقِط في يده[2].

٣١ ـ **قال أبو مخنف**: فحدّثني يحيى بن هانىء، قال: قال عمرو بن الحجاج الزُّبيديّ لابن مطيع: أيُّها الرجل لا يُسْقَط في خَلَدك، ولا تُلْقِ بيَدِكَ، اُخرُج إلى الناس فاندبهم إلى عدوّك فاغزهم، فإنّ الناس كثير عددُهم، وكلهم معك إلا هذه الطَّاغية الَّتي خرجتْ على الناس، والله مخزيها ومُهلِكُها، وأنا أوّل مُنتدَب، فاندب معي طائفة، ومع غيري طائفة. قال: فخرج ابن مطيع، فقام في الناس، فحمِد اللّهَ وأثنَى عليه ثم قال: أيُّها الناس، إنّ من أعجب العَجَب عجزكم عن عُصْبة منكم قليل عَددُها، خبيث دينها. ضالّة مُضِلَّة. اخرجوا إليهم فامنعوا منهم حريمَكم وقاتِلوهم عن مِصرِكم، وامنعوا منهم فَيئَكم، وإلا والله ليشارِكَنَّكم في فَيْئكم من لا حقّ له فيه. والله لقد بلَغني أنّ فيهم خمسمائة رجل من محرَّريكم عليهم أميرٌ منهم، وإنما ذهاب عزّكم وسلطانكم وتغير دينكم حين يكثرون. ثم نزل.

قال: ومنعهم يزيدُ بن الحارث أن يدخلوا الكوفة. قال: ومضى المختار من السَّبَخة حتَّى ظهر على الجبَّانة، ثمَّ ارتفع إلى البيوت؛ بيوت

(١) الطبري ٦/ ٢٦ ـ ٢٧.

(٢) الطبري ٦/ ٢٧ ـ ٢٨.

مُزينة وأحمس وبارق، فنزل عند مسجدهم وبيوتهم، وبيوتُهم شاذّةٌ منفردة من بيوت أهل الكوفة، فاستقبلوه بالماء، فسقى أصحابَه، وأبى المختار أن يشرَب. قال: فظنّ أصحابُه أنَّه صائم، وقال أحمر بن هديج من هَمْدان لابن كامل: أترى الأميرَ صائماً؟ فقال له: نعم، هو صائم، فقال له: فلو أنَّه كان في هذا اليوم مفطراً كان أقوى له؛ فقال له إنَّه معصوم، وهو أعلم بما يصنع؛ فقال له: صدقت، أستغفر الله. وقال المختار: نعم مكان المقاتل هذا، فقال له: إبراهيم بن الأشتر: قد هزمهم الله وفَلَّهم، وأدخل الرعبَ قلوبَهم، وتنزل ها هنا! سِرْ بنا؛ فوالله ما دون القصر أحدٌ يمنع، ولا يمتنع كبيرَ امتناع؛ فقال المختار: لِيُقم ها هنا كلّ شيخ ضعيف وذي علَّة، وضعوا ما كان لكم من ثَقَل ومَتاع بهذا الموضع حتَّى تسيروا إلى عدوّنا. ففعلوا، فاستخلف المختار عليهم أبا عثمان النهديّ، وقدّم إبراهيم بن الأشتر أمامه، وعبّى أصحابه على الحال الَّتي كانوا عليها في السَّبَخة.

قال: وبعث عبد الله بن مطيع عمرَو بن الحجَّاج في ألفيْ رجُل، فخرج عليهم من سكَّة الثوريِّين، فبعث المختار إلى إبراهيم أن اطوه ولا تقم عليه. فطواه إبراهيم ودعا المختار يزيدَ بن أنس؛ فأمره أن يصمد لعمرو بن الحجَّاج، فمضى نحوه، وذهب المختار في أثر إبراهيم، فمضَوا جميعاً حتَّى إذا انتهى المختار إلى موضع مصلَّى خالد بن عبد الله وَقَف، وأمرَ إبراهيم أن يمضيَ على وجهه حتَّى يدخل الكوفة من قِبَل الكناسة، فمضي، فخرج إليه من سكَّة ابن محرز، وأقبل شمر بن ذي الجَوْشن في ألفين، فسرّح المختارُ إليه سعيدَ بن منقذ الْهَمْدَانيّ فواقعه، وبعث إلى إبراهيم أن اطوه، وامض على وجهك. فمضَى حتَّى انتهى إلى سكَّة شبث، وإذا نوفل بن مساحق بن عبد الله بن مخرَّمة في نحو من ألفين ـ أو قال: خمسة آلاف. وهو الصحيح ـ وقد أمر ابن مطيع سويدَ بن عبد الرحمن فنادى في الناس: أن الحقوا بابن مساحق. قال: واستخلف شَبَث بن رِبْعيّ على القَصْر، وخرج ابن مطيع حتَّى وقف بالكُناسة[1].

٣٢ ـ **قال أبو مخنف**: حدّثني حَصِيرة بن عبد الله، قال: إني لأنظر

---

(١) الطبري ٦/٢٨ ـ ٢٩.

إلى ابن الأشتر حين أقبل في أصحابه، حتَّى إذا دنا منهم قال لهم: انزِلوا، فنزلوا، فقال: قرّبوا خيولَكم بعضَها إلى بعض، ثمّ امشوا إليهم مصلِتين بالسيوف، ولا يهولنَّكم أن يقال: جاءكم شَبَث بن ربعيّ وآل عتيبة بن النَّهاس وآل الأشعث وآل فلان وآل يزيد بن الحارث... قال: فسَمَّى بيُوتاتٍ من بيوتات أهل الكوفة، ثم قال: إنّ هؤلاء لو قد وجدوا لهم حرّ السيوف قد انصفقوا عن ابن مطيع انصفاق المِعزى عن الذئب. قال حصيرة: فإني لأنظر إليه وإلى أصحابه حين قرّبوا خيولهم وحين أخذ ابن الأشتر أسفل قبائِهِ فرفعه فأدخَلَه في مِنطَقة له حمراء من حواشي البُرود، وقد شدّ بها على القباء، وقد كفَّر بالقباء على الدرع، ثم قال لأصحابه: شدّوا عليهم فدًى لكم عمي وخالي! قال: فوالله ما لبَّثهم أنْ هَزَمهم؛ فركب بعضهم بعضاً على فم السِّكة وازدحموا، وانتهى ابنُ الأشتر إلى ابن مساحق، فأخذ بلِجام دابَّته، ورفع السيفَ عليه، فقال له ابن مساحق: يابن الأشتر، أنشدك الله، أتطلُبُني بثأر! هل بيني وبينك من إحنة! فخلّى ابن الأشتر سبيله، وقال له: اذكُرْها؛ فكان بعد ذلك ابن مساحق يذكرها لابن الأشتر، وأقبلوا يسيرون حتَّى دخلوا الكُناسة في آثار القوم حتَّى دخلوا السوق والمسجد، وحصروا ابن مطيع ثلاثاً[1].

٣٣ ـ **قال أبو مخنف**: وحدّثني النّضر بن صالح أنّ ابن مطيع مكث ثلاثاً، يرْزُق أصحابه في القَصْر حيث حُصر الدقيق، ومعه أشراف الناس، إلا ما كان من عمرو بن حريث، فإنه أتى دارَه ولم يُلزم نفسه الحصارَ، ثمّ خرج حتى نزل البرّ، وجاء المختار حتَّى نزل جانب السوق، وولى حصار القصر إبراهيم بن الأشتر، ويزيد بن أنس، وأحمر بن شُميط، فكان ابن الأشتر ممَّا يلي المسجد وباب القصر، ويزيدُ بن أنس ممَّا يلي بني حذيفة وسكّة دار الرّوميّين، وأحمر بن شُميط ممَّا يلي دار عمارة ودار أبي موسى. فلمَّا اشتدّ الحصار على ابن مطيع وأصحابه كلَّمه الأشراف، فقام إليه شَبَث فقال: أصلح الله الأمير! انْظُر لنفسك ولمن معك، فوالله ما عندَهم غَناء عنك ولا عن أنفسهم. قال ابن مطيع: هاتوا، أشيروا عليّ برأيكم؛ قال

---

(١) الطبري ٦/٢٩ ـ ٣٠.

شَبَث؛ الرّأي أن تأخذ لنفسك من هذا الرجل أماناً ولنا، وتخرج ولا تُهلِك نفسَك ومن معك. قال ابن مطيع: والله إني لأكره أن آخذ منه أماناً والأمور مستقيمة لأمير المؤمنين بالحِجاز كله وبأرض البصرة؛ قال: فتخرج لا يشعر بك أحد حتى تنزل منزلاً بالكوفة عند من تَستنصِحه وتَثِق به، ولا يعلم بمكانك حتَّى تخرج فتلحق بصاحبك؛ فقال لأسماء بن خارجة وعبد الرحمن بن مخنف وعبد الرحمن بن سعيد بن قيس وأشراف أهل الكوفة: ما تروْن في هذا الرأي الذي أشار به عليّ شَبَث؟ فقالوا: ما نرى الرأيَ إلا ما أشار به عليك، قال: فرويداً حتى أمسِي[1].

٣٤ ـ **قال أبو مخنف:** فحدّثني أبو المغلّس الليثيّ، أنّ عبد الله بن عبد الله الليثيّ أشرف على أصحاب المختار من القصر من العشيّ يشتمهم، وينتحي له مالك بن عمرو أبو نمّران النهديّ بسهم، فيمرّ بحلقه، فقطع جلدةً من حلقه فمال فوقع؛ قال: ثم إنّه قام وبرأ بعدُ؛ وقال النَّهديّ حين أصابه: خذها مِن مالك، من فاعل كذا[2].

٣٥ ـ **قال أبو مخنف: وحدّثني النّضر بن صالح،** عن حسَّان بن فائد بن بكير، قال: لمَّا أمْسَينا في القصر في اليوم الثالث، فدعانا ابن مطيع، فذكر الله بما هو أهله، وصلَّى على نبيّه ﷺ وقال: أما بعد، فقد علمت الَّذِين صنعوا هذا منكم مَن هم؛ وقد علمت أنَّما هم أراذِلكم وسفهاؤكم وطَغامُكم وأخسَّاؤكُم، ما عدا الرجل أو الرجلين، وأنّ أشرافكم وأهل الفضل منكم لم يزالوا سامعين مطيعين مناصحين، وأنا مبلغ ذلك صاحبي، ومُعْلمه طاعتكم وجهادكم عدوَّه، حتَّى كنا لله الغالب على أمره، وقد كان من رأيكم وما أشرتم به عليّ ما قد علمتم، وقد رأيت أن أخرج الساعةَ. فقال له شبَث: جزاك الله من أمير خيراً! فقد والله عففت عن أموالنا، وأكرمت أشرافنا، ونصحت لصاحبك، وقضيت الذي عليك، والله ما كنَّا لنفارقَك أبداً إلاّ ونحن منك في إذن، فقال: جزاكم الله خيراً، أخذ امرؤٌ حيث أحبّ، ثم خرج من نحو دروب الروميّين حتى أتى دار أبي موسى، وخلّى القصر، وفتح أصحابُه البابَ، فقالوا: يابن الأشتر، آمنون نحن؟

(١) الطبري ٦/ ٣٠ ـ ٣١.
(٢) الطبري ٦/ ٣١.

قال: أنتم آمنون؛ فخرجوا فبايعوا المختار[1].

٣٦ ـ **قال أبو مخنف: فحدّثني موسى بن عامر العدويّ**؛ من عديّ جهينة ـ وهو أبو الأشعر ـ أنّ المختار جاء حتى دخل القصر، فبات به، وأصبح أشرافُ الناس في المسجد وعلى باب القصر، وخرج المختار فصعد المنبرَ، فحَمِد الله وأثنى عليه، فقال: الحمد لله الَّذي وعد وليَّهُ النصرَ، وعدوَّه الخُسْرَ، وجعله فيه إلى آخر الدهر، وَعْداً مفعولاً، وقضاءً مقضيًّا، وقد خاب من افترى. أيها الناس، إنَّه رُفعت لنا راية، ومُدّت لنا غاية، فقيل لنا في الراية: أن ارفعوها ولا تَضَعوها، وفي الغاية: أن اجْروا إليها ولا تَعدوها، فسمعْنا دعوَة الداعي، ومقالةَ الوَاعي؛ فكم من ناع وناعية، لقتلي في الواعية! وبُعداً لمن طغى وأدبر، وعَصَى وكذّب وتولَّى، ألا فادخلوا أيها الناس فبايعوا بيعة هدى، فلا والَّذي جعل السماءَ سَقْفاً مكفوفاً، والأرضَ فجَاجاً سُبُلا، ما بايعتم بعد بيعة عليّ بن أبي طالب وآل عليّ أهدَى منها.

ثمّ نزل فدَخَل، ودخلنا عليه وأشراف الناس، فبَسَط يدَه، وابتدره الناس فبايعوه، وجعل يقول: تبايعوني على كتاب الله وسنة نبيّه، والطلب بدماء أهل البيت، وجهاد المُحلِّين، والدفع عن الضّعفاء، وقتال مَن قاتلنا، وسلم مَن سالمنا، والوفاء ببيعتنا، لا نقيلكم ولا نستقيلكم؛ فإذا قال الرجل: نعم، بايَعَه. قال: فكأني والله أنظر إلى المنذر بن حسَّان بن ضِرار الضبيّ إذ أتاه حتَّى سلَّم عليه بالإمْرة، ثمّ بايعه وانصرف عنه، فلمَّا خرج من القصر استقبل سعيد بن منقذ الثوريّ في عصابة من الشِّيعة واقفاً عند المصطبة، فلمَّا رأوه ومعه ابنه حيَّان بن المنذر، قال رجل من سفهائهم: هذا والله من رءوس الجبَّارين، فشَدُّوا عليه وعلى ابنه، فقتلوهما، فصاح بهم سعيدُ بن منقذ: لا تَعجَلوا، لا تَعجَلوا حتى ننظر ما رأيُ أميرِكم فيه. قال: وبلغ المختارَ ذلك، فكرهه حتَّى رُئى ذلك في وجهه، وأقبل المختار يمنّي الناسَ، ويستجرّ موّدَتهم وموّدة الأشراف، ويُحسن السيرة جُهدَه.

قال: وجاءه ابن كامل فقال للمختار، أعلمتَ أنّ ابن مطيع في دار أبي موسى؟ فلم يُجبه بشيء، فأعادها عليه ثلاثَ مرّات فلم يُجِب، ثم أعادها فلم يُجِبه، فظنّ ابن كامل أنّ ذلك لا يوافقه، وكان ابن مطيع قبلُ

---

(١) الطبري ٦/٣١ ـ ٣٢.

للمختار صَدِيقاً، فلمَّا أمسى بعث إلى ابن مطيع بمائة ألف درهم، فقال له: تجهَّزْ بهذه واخرج: فإني قد شعرت بمكانك، وقد ظننتُ أنَّه لم يمنعْك من الخروج إلاّ أنَّه ليس في يديك ما يقوْيك على الخروج. وأصاب المختار تسعةَ آلاف ألف في بيت مال الكوفة، فأعطى أصحابه الَّذين قاتل بهم حين حصر ابن مطيع في القصر ـ وهم ثلاثة آلاف وثمانمائة رجل ـ كلّ رجل خمسمائة درهم خمسمائة درهم، وأعطى ستَّة آلاف من أصحابه أتَوْه بعد ما أحاط بالقصر، فأقاموا معه تلك الليلة وتلك الثلاثة الأيَّام حتَّى دخل القصر مائتين مائتين، واستقبل الناس بخير، ومَنَّاهم العدل وحسنَ السيرة، وأدنى الأشرافَ، فكانوا جلساءَه وحُدّاثَه، واستعمل على شُرْطتِه عبد الله بن كامل الشَّاكريّ، وعلى حَرَسه كيسان أبا عَمْرةَ مولى عُرَينة؛ فقام ذات يوم على رأسه، فرأى الأشراف يحدّثونه، ورآه قد أقبل بوجهه وحديثِهِ عليهم، فقال لأبي عَمْرة بعضُ أصحابه من الموالي: أما ترى أبا إسحاق قد أقبل على العرب ما ينظر إلينا! فدعاه المختار فقال له: ما يقول لك أولئك الَّذين رأيتهم يكلِّمونك؟ فقال له ـ وأسرّ إليه: شقّ عليهم أصلحك الله صَرْفَك وجهَك عنهم إلى العرب، فقال له: قُل لهم: لا يشقّنّ ذلك عليكم، فأنتم مني وأنا منكم. ثمّ سكت طويلاً، ثم قرأ: ﴿إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾[1]. قال: فحدّثني أبو الأشعر موسى ابن عامر قال: ما هو إلاّ أن سمعها الموالي منه، فقال بعضهم لبعض: أبشروا، كأنكم والله به قد قَتَلهمْ[2].

٣٧ ـ **قال أبو مخنف**: ثم نادى المختار الصلاة جامعة، فاجتمع الناس في المسجد وخرج المختار من قصر الإمارة إلى المسجد فصعد المنبر، وقال:

الحمد لله الذي وعد وليه بالنصر والظفر، وكتب لعدوه الخسر والخذل والختر، وجعل ذلك إلى آخر الدهر قضاء مقضياً. ووعداً مأتياً، وقولاً مقبولاً، وأمراً مفعولاً، وقد خاب من افترى، أيها الناس أنه قد مدت لنا غاية، ورفعت لنا راية، فقيل لنا في الراية أن أرفعوها ولا تضعوها؛ وفي الغاية إن خذوها ولا تدعوها، فسمعتها دعوة الداعي، وقبلنا قول الراعي،

---

(١) سورة السجدة: ٢٢.

(٢) الطبري ٦/ ٣٢ ـ ٣٣.

فكم من باغ وباغية، قتل في الواغية، ألا بعداً لمن طغى، وجحد وبغى، وأدبر وعصى وكذب وتولى، ألا فهلموا عباد الله إلى بيعة الهدى، ومجاهدة الإعدا، والذب عن السعدا. من آل محمد المصطفى. فأنا المسلط على المحلين. والطالب بدم ابن بنت الرسول الأمين. أما ومنشىء السحاب. شديد العقاب. سريع الحساب. منزل الكتاب. العزيز الوهاب. القدير الغلاب. لأنبش قبر ابن شهاب. المجتري الكذاب. المفتري المرتاب. ولأنفينّ الأحزاب. إلى بلد الأعراب. أما والذي جعلني بصيراً. ونور قلبي تنويراً. لأحرقن بالبصرة دوراً. ولأنبشن بها قبوراً. ولأشفين بها صدوراً. ولأقتلن به جباراً كفوراً. ملعوناً غدوراً. وكفى بالله نصيراً. أما ورب الحرم. والبيت المحرم. والركن المستلم. والمسجد المعظم. ونون والقلم ليرفعن عن قريب لي علم. من الكوفة إلى ذي سلم. من العرب والعجم، ولأتخذن من تميم أكثر الإماء والخدم.

ثم نزل عن المنبر فصلى بالناس ودخل قصر الإمارة فدخل إليه الناس يبايعونه على كتاب الله وسنة رسوله. والطلب بدماء آل محمد ﷺ. وهو يقول: تقاتلون من قاتلنا وتسالمون من سالمنا. والوفاء عليكم ببيعتنا. لا نقيلكم ولا نستقيلكم. حتى بايعه العرب والموالي على ذلك، واتصل المختار إن عبد الله بن مطيع في دار آل أبي موسى الأشعري، فدعا عبد الله بن كامل ليلاً ودفع إليه عشرة آلاف درهم وقال له: ادخل على عبد الله بن مطيع فأقرأه مني السلام وقل له يقول المختار: قد علمت بمكانك وليس مثلي يسيء إلى مثلك، وقد وجهت إليك بما تستعين به على سفرك فخذه والحق بصاحبك فخرج عبد الله بن مطيع في جوف الليل. واستحي أن يصير إلى مكة من حيث عبد الله بن الزبير، فصار إلى البصرة وبها يومئذٍ مصعب بن الزبير من قبل أخيه وخرج عمرو بن الحجاج الزبيدي هارباً إلى البادية لأنه كان ممن شهد قتال الحسين فلا يدري أخسفت به الأرض أم حصبته السماء، ثم نادى المختار: من أغلق بابه فهو آمن إلا من شرك بدم الحسين عليه السلام وأهل بيته وأصحابه[1].

---

(١) مقتل الخوارزمي ٢/٢١٦ ـ ٢١٧.

٣٨ ـ **قال أبو مخنف**: حدّثني حَصِيرة بن عبد الله الأزديّ وفُضَيل بن خَدِيج الكنديّ والنضر بن صالح العبسي، قالوا: أوّل رجل عقد له المختار رايةَ عبدَ الله ابن الحارث أخو الأشتر، عَقَد له على أرمينيّة، وبعث محمَّد بن عمير بن عُطارد على آذربيجان، وبعث عبد الرحمن بن سعيد بن قيس على المَوْصل، وبعث إسحاق بن مسعود على المدائن وأرض جُوخَى، وبعث قُدامة بن أبي عيسى بن ربيعة النصريّ، وهو حليف لثقيف على بِهْقُباذ الأعلى، وبعث محمَّد بن كعب بن قَرَظَة على بهقُباذ الأوسط، وبعث حبيب بن منقذ الثوريّ على بهقبُاذ الأسفل، وبعث سعد بن حذيفة بن اليَمَان على حُلوان، وكان مع سعد بن حذيفة ألفَا فارس بحُلوان. قال: ورزقه ألف درهم في كلّ شهر، وأمره بقتال الأكراد، وبإقامة الطرق، وكتب إلى عمّاله على الجبال يأمرهم أن يحملوا أموال كُوَرهم إلى سعد بن حذيفة بحُلوان. وكان عبد الله بن الزبير قد بعث محمَّد بن الأشعث بن قيس على الموصل، وأمره بمكاتبة ابن مطيع وبالسمع له والطاعة، غير أنّ ابن مطيع لا يقدر على عزله إلا بأمر ابن الزبير، وكان قبل ذلك في إمارة عبد الله بن يزيدَ، وإبراهيم بن محمد منقطعاً بإمارة الموصِل، لا يكاتِب أحداً دون ابنِ الزُّبير.

فلما قدم عليه عبد الرحمن بن سعيد بن قيس من قِبَل المختار أميراً تنحَّى له عن الموصل، وأقبل حتى نزل تَكْريت، وأقام بها مع أناس من أشراف قومه وغيرهم، وهو معتزل ينظر ما يصنع الناس، وإلى ما يصير أمرُهم، ثم شخص إلى المختار فبايع له، ودخل فيما دَخل فيه أهلُ بلدِه[١].

٣٩ ـ **قال أبو مخنف**: وبلغ المختار أن محمد بن الأشعث بتكريت، فدعا ابنه عبد الرحمان بن محمد وقال له: أنت في طاعتي، وأبوك في طاعة ابن الزبير ما الذي يمنعه من المصير إلي والدخول في طاعتي؟ أما والله لقد هممت أن أوجه إليه من يأتيني به قبل ثلاث فافعل به ما أضمره له في قلبي، أو ليس هو من قتلة الحسين؟ أو ليس هو الذي قال للحسين يوم

---

(١) الطبري ٦/ ٣٣ ـ ٣٤.

كربلاء: وأي قرابة بينك وبين محمد فقال له عبد الرحمان: أعز الله الأمير أنا أخرج إليه بإذنك، فآتيك به شاء أو لم يشأ، ولا قوة إلا بالله. فأذن له المختار فخرج حتى قدم تكريت ودخل على أبيه فقال له: ما وراءك يا بني؟ فقال له: ورائي أن هذا الرجل ظهر على الكوفة وسائر البلاد، وقد استوسق له الأمر وأطاعه الناس جميعاً، وقد سأل عنك وذكرك وأخاف أني يبطش بقتلة الحسين، فلم يغادر منهم أحداً، وأنت ممن أساء إلى الحسين، وليس جلوسك هنا بشيء، لأنه ليس معك جيش تمتنع به وأنت بالكوفة أعز منك هنا. فتبسم محمد وقال: يا بني أني قد علمت بأنك لم تأتني وتعرض على هذا الرأي إلا خوفاً من المختار. ثم التفت إلى من كان عنده فقال: إن ابني هذا له نخل بالكوفة علي شاطىء الفرات، وإنما يريد أن أكون بالكوفة حتى يأمن هو في نخله وماله، ولا يضره ما يفعل بأبيه، وأنا لست أبالي بذلك النخل، كان أو لم يكن. ولم يزل عبد الرحمان يلين لأبيه تارة ويشتد تارة، ويرغبه تارة ويخوفه أخرى حتى أجابه إلى ما أراد، وقدم معه الكوفة، ودخل على المختار وسلم عليه؛ فقربه وأدناه ومناه. وجعل المختار يجلس غدوة وعشية فيقضي بين الخصمين بنفسه فإذا أعاقه عائق أمر شريحاً أن يجلس فيقضي، فقال له الناس: أنه عثماني الرأي، وأنه شهد على حجر ابن عدي، وأنه لم يبلغ عن هاني بن عروة ما أرسله به إلى قومه، وأنه كان علي عليه السلام قد عزله عن القضاء فخافهم شريح فتمارض، فجعل المختار مكانه عبد الله بن عتبة بن مسعود فمرض، فجعل مكانه عبد الله بن مالك الطائي[1].

٤٠ ـ **قال أبو مخنف: وحدّثني صلة بن زهير النَّهديّ**، عن مسلم بن عبد الله ابن الضّبابيّ، قال: لمَّا ظهر المختار واستمكن، ونفي ابن مطيع وبعثَ عمَّاله، أقبل يجلس للناس غُدوةً وعشيَّة، فيقضي بين الخصمين، ثمّ قال: والله إنّ لي فيما أزاول وأحاول لشُغْلا عن القضاء بين الناس، قال: فأجلس للناس شُريحاً، وقَضَى بين الناس، ثمّ إنَّه خافهم فَتمارَض، وكانوا يقولون: إنَّه عُثمانيّ، وإنَّه ممَّن شهد على حُجْر بن عديّ، وإنه لم يُبلّغ عن

(١) مقتل الخوارزمي ٢/ ٢١٧ ـ ٢١٨.

هانيء بن عروة ما أرسله به ـ وقد كان عليّ ابن أبي طالب عَزلَه عن القضاء ـ فلمّا أن سمع ذلك ورآهم يذمّونه ويُسنِدون إليه مِثَل هذا القول تَمارَض، وجعل المختارُ مكانه عبدَ الله بن عتبة بن مسعود. ثمَّ إنَّ عبد الله مرض، فجعل مكانَه عبد الله بن مالك الطائيّ قاضياً.

قال مسلم بن عبد الله: وكان عبد الله بن همّام سمع أبا عمرة[1] يذكر الشّيعة وينال من عثمان بن عفَّان، فقنّعه بالسوط، فلما ظهر المختار كان معتزلاً حتّى استأمَنَ له عبدُ الله بن شدّاد، فجاء إلى المختار ذاتَ يوم فقال:

أَلاَ انْتَسأَتْ بالوُدِّ عنك وأَدْبَرَتْ ... مُعَالِنَةً بالهَجْر أُمُّ سَرِيع[2]

وحَمَّلَها وَاشٍ سَعَى غير مُؤتَلٍ ... فأُبْتَ بِهمٍّ في الفؤاد جميع

فَخفِّضْ عليك الشأنَ لا يُرْدِك الهوى ... فليس انتقالُ خَلَّة بِبديع

وفي ليلة المختار ما يُذْهِلُ الفتى ... ويُلهِيهِ عن روْد الشَّباب شَمُوع

دعا بالثَأراتِ الحسين فأقبلتْ ... كتائبُ مِنْ هَمْدانَ بعد هَزِيع

ومِن مذْحِج جاءَ الرئيسُ ابنُ مالك ... يقُودُ جُمُوعاً عُبِّيتْ بِجُمُوع

ومِنْ أَسدٍ وافَى يزيدُ لِنَصْرِهِ ... بكلِّ فتًى حامِي الذِّمارِ منيع

وجاءَ نُعَيْمٌ خيرُ شَيْبانَ كلّها ... بأَمرٍ لدى الهَيجا أَحَدَّ جميع

وما ابن شميط إذ يُحَرِّضُ قومهُ ... هناك بِمَخْذولٍ ولا بمُضِيع

ولا قَيس نَهدٍ لا ولا ابنُ هَوازنٍ ... وكلٌّ أَخو إِخْبَاتةٍ وخُشُوع

وسار أَبو النُّعمانِ لِلّهِ سَعيهُ ... إِلى ابن إياسٍ مُصحِراً لوقوع

بِخَيْل عليها يومَ هَيْجَا دُرُوعُها ... وأُخرى حُسُوراً غيرَ ذاتِ دُرُوع

فكَرَّ الخُيولُ كرةً ثَقِفَتْهُمُ ... وشَدَّ بأُولاَها على ٱبن مُطيع

فَوَلَّى بضربٍ يَشْدَخُ الهام وَقْعُهُ ... وطعنِ غداةَ السِّكتَّينِ وجيع

فحُوصِرَ في دار الإمَارة بائياً ... بِذُلٍّ وإرغام له وخُضوع

فَمَنَّ وزيرُ ٱبن الوصيّ عليهمُ ... وكان لهمْ في ٱلناس خيرَ شفيع

وآبَ الهدى حقًّا إلى مُسْتَقَرِّهِ ... بخيرِ إيابٍ آبَهُ وَرُجُوع

إلى الهاشميّ المهتدِي المهتدَى به ... فنحنُ له من سامعٍ ومطيع

---

(١) صاحب الشرطة.

(٢) الأبيات من ٤ ـ ٧ في الأخبار الطوال ٢٩١.

قال: فلمَّا أنشدها المختارَ قال المختار لأصحابه: قد أثنَى عليكم كما تسمعون، وقد أحسن الثَّناءَ عليكم، فأحسِنوا له الجزاء[1]. ثم قام المختار، فدخل وقال لأصحابه: لا تبرحوا حتَّى أخرج إليكم؛ قال: وقال عبد الله بن شداد الجُشَميّ: يابن همّام: إن لك عندي فرساً ومُطْرَفاً، وقال قيس بن طَهْفة النَّهديّ ـ وكانت عنده الرّباب بنت الأشعث: فإنّ لك عندي فرساً ومُطْرَفاً واستحيا أن يعطيَه صَاحبُه شيئاً لا يعطِي مثله، فقال ليزيد بن أنس: فما تعطيه؟ فقال يزيد: إن كان ثوابَ الله أراد بقوله فما عند الله خيرٌ له، وإنْ كان إنَّما اعتَرَى بهذا القول أموالَنا، فوالله ما في أموالنا ما يسعُه؛ قد كانت بقيتْ من عطائي بقيَّة فقوّيت بها إخواني؛ فقال أحمر بن شُمَيط مبادراً لهم قبل أن يكلّموه: يا بن همّام، إن كنتَ أردت بهذا القول وجهَ الله فاطلب ثوابَك من الله، وإن كنتَ إنَّما اعتريت به رِضَا الناسِ وطلبَ أموالهم، فاكْدِم الجَنْدل؛ فوالله ما مَنْ قال قولاً لغير الله وفي غير ذات الله بأهلٍ أن يُنْحَل، ولا يوصَل؛ فقال له: عضضتَ بأير أبيك! فرفع يزيد بن أنس السوط وقال لابن همام: تقول هذا القولَ يا فاسق! وقال لابن شُمَيط: اضربه بالسيف، فرفع ابن شميط عليه السيف ووثب ووثب أصحابهما يتلفَّتون على ابن همّام. وأخذ بيده إبراهيم بن الأشتر فألقاه وراءه، وقال: أنا له جارٍ، لِمَ تأتون إليه ما أرى! فوالله إنَّه لواصل الولاية، راضٍ بما نحن علي، حَسَن الثناء، فإن أنتم لم تكافئوه بحسن ثنائه، فلا تشتموا عرضَه، ولا تَسفِكوا دَمَه. ووثبتْ مَذْحِج فحالت دونه، وقالوا: أجارَهُ ابن الأشتر، لا واللّهِ لا يُوصَل إليه. قال: وسمع لَغَطهم المختار، فخرج إليهم، وأومأ بيده إليهم، أن اجلسوا، فجلسوا، فقال لهم: إذا قيل لكم خير فاقْبَلوه، وإن قدرتم على مكافأة فافعلوا، وإن لم تقدروا على مكافأة فتنصَّلوا، واتقوا لسانَ الشاعر، فإنّ شرَّه حاضر، وقولَه فاجر، وسعيَه بائر، وهو بكم غداً غادر، فقالوا: أفلا نقتله؟ قال: إنَّا قد آمَنَّاه وأجَرْناه، وقد أجاره أخوكم إبراهيم بن الأشتر، فجلس مع الناس.

قال: ثمّ إنّ إبراهيم قام فانصرف إلى منزله فأعطاه ألفاً وفرساً ومُطرَفاً

---

(١) الطبري ٦/ ٣٤ ـ ٣٦، مقتل الخوارزمي ٢/ ٢٢٥. وفيها الأبيات ٤ ـ ٧، ١١ ـ ١٣، ١٧ ـ ١٨.

فرجع بها وقال: لا والله، لا جاورت هؤلاء أبداً وأقبلتْ هوازنُ وغضبتْ واجتمعتْ في المسجد غضباً لابن همّام، فبعث إليهم المختار فسألهم أن يصفحوا عمَّا اجتمعوا له، ففعلوا، وقال ابن همّام لابن الأشتر يمدحه:

أَطْفأَ عَنّي نَارَ كَلْبَيْنِ أَلَّبا ... عليَّ الكلابَ ذو الفعال ابنُ مالكِ
فتًى حينَ يَلقى الخيلَ يَفْرقُ بينها ... بطعنِ دَراكٍ أو بضربِ مُوَاشِكِ
وقد غَضِبَتْ لي مِنْ هوازنَ عُصبةٌ ... طوالُ الذُّرا فيها عراض المَبَارِك
إذا ابنُ شُمَيط أو يزيد تعرَّضا ... لها وقَعَا في مُسْتَحار المهالك
وَثَبْتُمْ علينا يا مَوالِيَ طَيِّىءٍ ... مع ابن شميط. شَرِّ مَاشٍ ورَاتِكِ[1]
وأَعظم ديَّارٍ على اللّهُ فِرْيَةً ... وما مُفْتَرٍ طاغٍ كآخَرَ نَاسِكِ
فيا عجباً مِنْ أحمسَ ابنةِ أحْمَسٍ ... تَوَثّبُ حوْلي بالقنا والنَّيَازِكِ
كأَنكُمُ في العِزِّ قيسٌ وخثعمٌ ... وهل أَنتمُ إلاَّ لِئَامُ عَوَارِكِ

وأقبل عبد الله بن شدّاد من الغد فجلس في المسجد يقول: علينا توثَّبُ بنو أسد وأحمس! واللّهِ لا نرضى بهذا أبداً. فبلغ ذلك المختار، فبعث إليه فدعاه، ودعا بيزيد بن أنس وبابن شميط، فحَمِد اللّهَ وأثنَى عليه وقال: يابن شدّاد، إنّ الَّذِي فعلتَ نَزْغة من نَزَغات الشيطان، فتُب إلى الله، قال: قد تُبْت، وقال: إنّ هذين أخواك، فأقبِل إليهما، واقبل منهما، وهب لي هذا الأمر؛ قال: فهو لك، وكان ابن همّام قد قال قصيدةً أخرى في أمر المختار، فقال:

أَضحت سُلَيْمَى بَعدَ طولِ عِتابِ ... وتَجَرُّم ونَفادِ غَرْبِ شَبابِ
قد أَزْمَعَت بِصَريمتي وتَجنّبي ... وتهوُّكِ مُذْ ذاك في إعتابِ
لمّا رأيتُ القصر أُغلقَ بابُهُ ... وتوكَّلت هَمْدانُ بالأَسباب
ورأَيتُ أَصحابَ الدَّقيق كأَنَّهم ... حولَ البُيُوت ثعالبُ الأَسراب
ورأيتُ أَبوابَ الأَزِقَّة حولَنا ... دربَت بكلِّ هِرَاوة وذُباب
أَيْقَنتُ أَنَّ خيولَ شيعةِ رَاشِدٍ ... لم يبْق منها فَيْشُ أَيْرِ ذُباب[2]

(١) الرتك: مشية فيها اهتزاز.
(٢) الطبري ٦/٣٦ ـ ٣٨.

[أمر المختار مع قتلة الحسين بالكوفة][1]

٤١ ـ **قال هشام، عن أبي مخنف**: حدّثني موسى بن عامر، أنّ كتاب عبد الرحمن بن سعيد لمّا ورد على المختار بعث إلى يزيد بن أنس فدعاه، فقال له: يا يزيدَ بن أنس، إنّ العالِم ليس كالجاهل، وإن الحق ليس كالباطل، وإني أخبرك خبر من لم يَكذِب ولم يكذَّب، ولم يُخالِف ولم يرتب وإنَّا المؤمنون الميامين، الغالبون المساليم، وإنَّك صاحب الخيل الَّتي تجّر جِعابها، وتضفر أذنابها، حتَّى تُوردها منابتَ الزيتون، غائرةً عيونُها، لاحقةً بطونُها. اخرُج إلى المَوصل حتَّى تنزلَ أدانيها، فإني ممدّك بالرّجال بعد الرّجال. فقال له يزيد بن أنس: سرّحْ معي ثلاثَة آلاف فارس أنتخبُهم، وخَلّني والفرْج الَّذي توجَّهنا إليه، فإن احتجتُ إلى الرّجال فسأكتب إليك؛ قال له المختار: فاخرج فانتخب على اسم الله مَنْ أحببت. فخرج فانتخب ثلاثةَ آلافِ فارس، فجعل على رُبْع المدينة النعمانَ بنَ عوف بن أبي جابر الأزديّ، وعلى رُبْع تميم وهمْدان عاصم بن قيس بن حبيب الهمْدانيّ، وعلى مَذْحج وأسَد ورقاء بن عازب الأسديّ، وعلى رُبْع ربيعة وكندة سِعْر بن أبي سِعْر الحنفيّ.

ثم إنَّه فصل من الكوفة، فخرج وخرج معه المختار والناس يشيّعونه،

---

(١) لما استوسقت الشام بالطاعة لمروان، بعث جيشين أحدهما إلى الحجاز عليه حُبَيْش بن دُلجة القيني ـ والآخر منهما إلى العراق عليهم عبيد الله بن زياد ـ وقد ذكرنا ما كان من أمره وأمر التوّابين من الشيعة بعَين الوَردة ـ وكان مرْوان جعل لعبيد الله بن زياد إذ وجَّهه إلى العراق ما غلب عليه، وأمَرَه أن يَنهَب الكوفة إذا هو ظفر بأهلِها ثلاثاً.

فمرّ بأرض الجزيرة فاحتبس بها وبها قيسُ عَيْلان على طاعة ابن الزبير، وقد كان مروانُ أصاب قيساً يوم مَرْج راهط وهم مع الضحَّاك بن قيس مخالفين على مرْوان، وعلى ابنه عبد الملك من بعده، فلم يزل عبيد الله مشتغلاً بهم عن العراق نحواً من سنة. ثمّ إنَّه أقبل إلى الموصل، فكتب عبد الرحمن بن سعيد بن قيس عاملُ المختار على الموصل إلى المختار:

أما بعد، فإني أخبرك أيها الأمير أنّ عبيد الله بن زياد قد دخل أرضَ الموصل، وقد وجَّه قِبَلي خيلَه ورجالَه، وأني انحزْت إلى تَكْريتَ حتَّى يأتيَني رأيُك وأمرُك، والسلام عليك.

فكتب إليه المختار: أمَّا بعد، فقد بلغني كتابُك، وفهمتُ كلَّ ما ذكرت فيه، فقد أصبتَ بانحيازك إلى تكريت، فلا تبرحَنّ مكانك الَّذي أنت به حتَّى يأتيَك أمري إن شاء الله، والسلام عليك.

فلما بلغ ديرَ أبي موسى ودّعه المختار وانصرف، ثم قال له: إذا لقيتَ عدوّك فلا تُناظرهم، وإذا أمكنتْك الفرصةُ فلا تؤخّرها، وليكن خبرُك في كلّ يوم عندي، وإن احتجت إلى مَدد فاكتب إليّ؛ مع أني مُمِدّك ولو لم تَستمدِد، فإنَّه أشدّ لعَضُدك، وأعزّ لجُنْدك، وأرْعَب لعدوّك. فقال له يزيد بن أنس: لا تمدّني إلاّ بدعائك، فكفي به مَدداً. وقال له الناس: صَحبِكَ اللّه وأدّاك وأيَّدك. وودّعوه. فقال لهم يزيد: سلوا الله لِي الشهادة، وايمُ الله لئن لقيتُهم ففاتني النصرُ لا تُفتْني الشهادة إن شاء الله. فكتب المختار إلى عبد الرحمن بن سعيد بن قيس: أما بعد، فخلّ بين يزيدَ وبين البلاد إن شاء الله، والسلام عليك. فخرج يزيد بن أنس بالناس حتَّى بات بسُورَا، ثم غدا بهم سائراً حتى بات بهم بالمدائن؛ فشكا الناسُ إليه ما دخلهم من شدّة السير عليهم، فأقام بها يوماً وليلة. ثمّ إنَّه اعترض بهم أرض جُوخَى حتَّى خرج بهم في الراذانات، حتَّى قطع بهم إلى أرض الموصل، فنزلت ببنات تلى، وبلغ مكانُه ومنزلُه الّذي نزل به عبيدَ الله بن زياد، فسأل عن عدّتهم، فأخبرتْه عيونُه أنَّه خرج معه من الكوفة ثلاثةُ آلاف فارس، فقال عبيد الله: فأنا أبعث إلى كلّ ألف ألفين، ودعا ربيعة بن المخارق الغنويّ وعبد الله بن حمْلة الخثعميّ، فبعثهما في ثلاثة آلاف ثلاثة آلاف، وبعث ربيعة بن المخارق أوّلاً، ثمّ مكث يوماً، ثمّ بعث خلفه عبد الله بن حمْلة، ثم كتب إليهما: أيّكما سَبَق فهو أمير على صاحبه، وإن انتهينا جميعاً فأكبر كما سِنّا أميرٌ على صاحبه والجماعة. قال: فسبق ربيعة بن المخارق فنزل بيزيد بن أنس وهو ببنات تلى، فخرج إليه يزيد بن أنس وهو مريض مضنًى[1].

٤٢ ـ **قال أبو مخنف: فحدّثني أبو الصلت**، عن أبي سعيد الصَّيْقل، قال: خرج علينا يزيد بن أنس وهو مريض على حمار يمشي معه الرجال يُمسِكونه عن يمينه وعن شماله، بفخذيه وعضديه وجنبيه، فجعل يقف على الأرباع: رُبْع ربع ويقول: يا شرطة الله، اصبروا تُؤجَرُوا، وصابروا عدوّكم تَظفَروا، وقَاتِلوا أولياءَ الشيطان، إنّ كَيْدَ الشيطانِ كان ضَعِيفاً، إنْ هلكتُ

(١) الطبري ٦/ ٣٩ ـ ٤٠.

فأميركم ورقاء بن عازب الأسديّ، فإن هَلَك فأميرُكم عهد الله بن ضَمْرة العذريّ، فإن هلك فأميرُكم عهد الله بن ضَمْرة العذريّ، فإن هلك فأميرُكم سِعْر بن أبي سعر الحنفيّ. قال: وأنا والله فيمن يمشي معه ويُمْسِك بعضده ويده، وإني لأعرف في وجهه أنّ الموت قد نزل به. قال: فجعل يزيدُ بن أنس عبدَ الله بن ضَمْرة العذريّ على ميمنته، وسهَر ابن أبي سعر على ميسرته، وجعل ورقاءَ بن عازب الأسدّي على الخيل، ونزل هو فوُضع بين الرجال على السرير، ثم قال لهم: أبرزوا لهم بالعرَاء، وقدّموني في الرجال، ثم إن شئتم فقاتلوا عن أميركم، وإن شئتم ففرّوا عنه. قال: فأخرجناه في ذي الحجَّة يومَ عرفة سنة ست وستين، فأخذْنا نُمسك أحياناً بظَهْره فيقول: اصنعوا كذا، اصنعوا كذا، وافعلوا كذا، فيأمر بأمره، ثمّ لا يكون بأسرعَ من أن يغلبه الوجعُ فيُوضع هُنَيْهة ويقتتل الناسُ، وذلك عند شفق الصبح قبل شروق الشمس. قال: فحملتْ ميسرتهم على مَيمنِتنا، فاشتدّ قتالُهم، وتَحمِل ميسرتُنا على ميمنتهم فتهزمها، ويَحمِل ورقاء بن عازب الأسديّ في الخيل فَهَزَمهم، فلم يرتفع الضّحى حتَّى هزمناهم، وحَويْنا عسكرهم[1].

٤٣ ـ **قال أبو مخنف:** وحدّثني موسى بن عامر العدَويّ، قال: انتهينا إلى ربيعة بن المخارق صاحبهم، وقد انهزم عنه أصحابه وهو نازل ينادي: يا أولياء الحقِّ، ويا أهلَ السمع والطاعة، إليّ أنا ابن المخارق؛ قال موسى فأمَّا أنا فكنتُ غلاماً حَدَثا، فَهِبْته ووقفتُ، ويعْمِل عليه عبدُ الله بن ورقاءَ الأسديّ وعبد الله بن ضَمْرة العذريّ، فَقَتلاه[2].

٤٤ ـ **قال أبو مخنف:** وحدّثني عَمرو بن مالك أبو كبشة القينيّ؛ قال: كنت غلاماً حين راهقتُ مع أحد عمومتي في ذلك العسكر، فلمَّا نزلنا بعكسر الكوفيّين عبَّأنا ربيعة بن المخراق فأحسنَ التعبئة، جعل على ميمنته ابنَ أخيه، وعلى ميسرته عبدَ ربّه السلميّ، وخرج هو في الخيل والرجال وقال: يا أهلَ الشام، إنَّكم إنَّما تقاتلون العبيد الأبَّاقَ، وقوماً قد تركوا الإسلام وخرجوا منه،

---

(١) الطبري ٦/ ٤٠ ـ ٤١.

(٢) ن.م ٦/٤١.

ليست لهم تقيَّة، ولا ينطقون بالعربيَّة؛ قال: فوالله إن كنت لأحْسِب أنّ ذلك كذلك حتَّى قاتلناهم؛ قال: فوالله ما هو إلاّ أن اقتتل الناس إذا رجلٌ من أهل العراق يعترض الناسَ بسيفه وهو يقول:

بَرِئتُ مِنْ دِينِ المحكِّمينا ... وذَاكَ فينا شَرُّ دينٍ دِينَا

ثمّ إنّ قتالنا وقتالَهم اشتدّ ساعةً من النهار، ثمّ إنَّهم هزمونا حين ارتفع الضحى فقتلوا صاحبَنا، وحَوَوْا عسكَرَنا؛ فخرجنا منهزمين حتَّى تلقَّانا عبدُ الله بن حمْلة على مسيرة ساعة من تلك القرية التي يقال لها بنات تلي، فردَّنا، فأقبلْنا معه حتَّى نزل بيزيد بن أنس، فبتْنا متحارِسين حتَّى أصبحنا فصلَّينا الغداة، ثمّ خرجْنا على تعبئة حَسَنة، فجعل على ميمنته الزبيرَ بن خُزَيمة؛ من خثعم، وعلى ميسرته ابن أقيصر القحافيّ من خثعم، وتقدّم في الخيل والرجال، وذلك يوم الأضحى، فاقتتلنا قتالاً شديداً، ثمّ إنَّهم هزمونا هزيمةً قبيحة، وقتلونا قتالاً ذريعاً، وحوْوا عسكرنا، وأقبلنا حتى انتهينا إلى عبيد الله بن زياد فحدثناه بما لَقِينا(١).

[موت يزيد بن أنس]

٤٥ ـ **قال أبو مخنف**: وحدّثني موسى بن عامر، قال: أقبل إلينا عبدُ الله بن حَمْلة الخثعميّ؛ فاستقبل فَلَّ ربيعة بن المخارق الغنويّ فردَّهم، ثمّ جاءَ حتَّى نزل ببنات تلي، فلمَّا أصبح غادوا وغادينا، فتطاردت الخيلان من أوّل النهار، ثم انصرفوا وانصرفْنا؛ حتَّى إذا صلَّينا الظهر خرجنا فاقتتلنا، ثمّ هزمناهم. قال ونزل عبد الله بن حَمْلة فأخذ ينادي أصحابه: الكَرّة بعد الفرّة، يا أهل السمع والطاعة؛ فحمل عليه عبدُ الله بن قراد الخثعميّ فقَتَله، وحوَيْنا عسكرهم وما فيه، وأتِيَ يزيد ابن أنس بثلثمائة أسير وهو في السوق، أخذ يومىءُ بيده أن اضربوا أعناقَهم، فقُتِلوا من عند آخرهم.

وقال يزيد بن أنس: إنْ هلكتُ فأميركم ورقاء بن عازب الأسدي، فما أمسَى حتَّى مات، فصلَّى عليه ورقاءُ بن عازب ودَفَنَه، فلمَّا رأى ذلك أصحابُه أسقِط في أيديهم، وكَسَر موتُه قلوبَ أصحابه، وأخذوا في دفنه،

---

(١) الطبري ٦/ ٤١ ـ ٤٢.

فقال لهم ورقاء: يا قوم، ماذا ترون؟ إنَّه قد بلغني أنّ عبيد الله بن زياد قد أقبل إلينا في ثمانين ألفاً من أهل الشام، فأخذوا يتسلّلون ويرجعون. ثم إنّ ورقاء دعا رءوسَ الأرباع وفُرسانَ أصحابه فقال لهم: يا هؤلاء، ماذا ترون فيما أخبرتُكم؟ إنَّما أنا رجل منكم، ولست بأفضلكم رأياً، فأشيروا عليَّ، فإنّ ابن زياد قد جاءكم في جُنْد أهل الشام الأعظم، وبجلَّتهم وفُرسانهم وأشرافِهم، ولا أرى لنا ولكم بهم طاقةً على هذه الحال، وقد هلك يزيدُ بنَ أنس أميرنا، وتفرّقت عنَّا طائفة مِنّا، فلو انصرفنا اليومَ من تلقاء أنفسنا قبل أن نلقاهم، وقبلَ أن نَبلُغهم، فَعِلَموا أنّا إنَّما ردَّنا عنهم هلاكُ صاحِبنا، فلا يزالوا لنا هائبين لقَتْلنا منهم أميرهم! ولأنَّا إنَّما نعتلّ لانصرافنا بموت صاحبنا. وإنَّا إن لقيناهم اليوم كنَّا مخاطرين، فإن هُزمنا اليوم لم تنفعْنا هزيمتُنا إيَّاهم من قبل اليوم. قالوا: فإنَّك نعمَّا رأيت، انصرِفْ رحمك الله. فانصرف، فبلغ مُنصَرَفُهم ذلك المختارَ وأهلَ الكوفة، فأرْجف الناسُ، ولم يعلموا كيف كان الأمر أنّ يزيد بن أنس هَلَكَ، وأنّ الناس هُزِموا، فبعث إلى المختار عاملُه على المدائن عيناً له من أنباط السواد فأخبره الخبر، فدعا المختارُ إبراهيمَ بن الأشتر فعَقَد له على سبعة آلاف رجل، ثم قال له: سر حتَّى إذا أنت لقيتَ جيشَ ابن أنس فارددْهم معك، ثمّ سرْ حتَّى تلقى عدوّك فتُناجِزَهُم. فخرج إبراهيم فوَضَع عسكَره بحمَّام أعْيَن[1].

٤٦ ـ **قال أبو مخنف**: فحدّثني أبو زهير النضر بن صالح، قال: لمَّا مات يزيد أنس التقَى أشرافُ الناس بالكوفة فأرْجفوا بالمختار وقالوا: قتِل يزيد بن أنس، ولم يصدّقوا أنَّه مات، وأخذوا يقولون: واللّه لقد تأمَّر علينا هذا الرجل بغير رضاً منَّا، ولقد أدنى مواليَنا، فحمَلهم على الدوابّ، وأعطاهم وأطعَمَهم فيئنا، ولقد عصتْنا عبيدُنا، فحرِب بذلك أيتامنا وأراملنا. فاتَّعدوا منزلَ شَبَث بن ربعيّ وقالوا: نجتمع في منزل شيخنا ـ وكان شبث جاهليًّا إسلاميًّا ـ فاجتمعوا فأتَوا منزَله، فصلَّى بأصحابه، ثمّ تذاكروا هذا النحو من الحديث قال: ولم يكن فيما أحدث المختارُ عليهم شيء هو أعظمُ من أن جعل للموالي الفَيء نصيباً ـ فقال لهم شَبَث: دعوني

---

(١) الطبري ٦/٤٢ ـ ٤٣.

حتى ألقاه؛ فذهب فلقيه، فلم يدعْ شيئاً ممَّا أنكره أصحابُه إلاَّ وقد ذاكَرَه إيَّاه، فأخذ لا يذكر خَصلةً إلاّ قال له المختار: أُرضِيهم في هذه الخَصلة، وآتِي كلَّ شيء أحبّوا؛ قال: فذكر المماليك؛ قال: فأنا أردّ عليهم عبيدَهم، فذكر له الموالي، فقال: عمدتَ إلى موالينا، وهم فيءٌ أفاءَه الله علينا وهذه البلاد جميعاً فأعتقْنا رقابَهم، نأمُلُ الأجرَ في ذلك والثواب والشكر، فلم تَرْض لهم بذلك حتَّى جعلتَهم شركاءَنا في فيئنا، فقال لهم المختار: إنْ أنا تركتُ لكم مواليكم، وجعلتُ فَيْئَكم فيكم، أتقاتلون معي بني أميَّة وابنَ الزبير، وتعطُون على الوفاء بذلك عهدَ الله وميثاقَه، وما أطمئنّ إليه من الأيمان؟ فقال شبَث: ما أدري حتَّى أخرج إلى أصحابي فأذاكرَهم ذلك، فخرج فلم يرجع إلى المختار.

قال: وأجمَعَ رأي أشرافِ أهل الكوفة على قتال المختار[1].

٤٧ ـ **قال أبو مخنف**: فحدّثني قُدامةِ بن حوْشب، قال: جاءَ شَبَث بن رِبْعيْ وشَمِر بن ذي الجَوْشن ومحمَّد بن الأشعث وعبد الرحمن بن سعيد بن قيس حتَّى دخلوا على كعب بن أبي كعب الخثعميّ، فتكلَّم شَبَث، فَحَمِد الله وأثنَى عليه، ثمّ أخبره باجتماع رأيهم على قتال المختار، وسأله أن يجيبهم إلى ذلك، وقال فيما يَعيُب به المختار: إنَّه تأمَّر علينا بغير رِضاً منَّا، وزعم أنَّ ابنَ الحنفيَّة بعثه إلينا، وقد علمْنا أنّ ابن الحنفيَّة لم يفعل، وأطعم والَينا فيئنا. وأخذ عبيدَنا، فحرِب بهم يتامانا وأراملنا، وأظهر هو وَسَبئيَّته البراءةَ من أسلافنا الصالحين. قال: فرحّب بهم كعب بن أبي كعب. وأجابهم إلى ما دَعَوْه إليه[2].

٤٨ ـ **قال أبو مخنف**: حدّثني أبي يحيى بن سعيد أن أشراف أهل الكوفة قد كانوا دخلوا على عبد الرحمن بن مخنف، فدعَوه إلى أن يجيبهم إلى قتال المختار، فقال لهم: يا هؤلاء، إنَّكم إن أبيتم إلاّ أن تخرجوا لم أخذُلْكم، وإن أنتم أطعتموني لم تخرجوا. فقالوا: لِمَ؟ قال: لأني أخاف أن تتفرّقوا وتختلفوا وتتخاذَلوا؛ ومع الرجل والله شجعاؤكم وفرسانكم من

---

(١) الطبري ٦/ ٤٣ ـ ٤٤.

(٢) ن.م ٦/ ٤٤.

أنفسكم؛ أليس معه فلان وفلان! ثمّ معه عبيدُكم ومواليكم، وكلمةُ هؤلاء واحدةٌ، وعبيدكم ومواليكم أشدّ حنَقًا عليكم من عدوّكم، فهو مقاتلكم بشجاعة العرب، وعداوةِ العَجَم، وإن انتظرتموه قليلاً كُفيتموه بقدوم أهلِ الشام، أو بمجيء أهلِ البصرة، فتكونوا قد كُفيتموه، بغيركم، ولم تَجعَلوا بأسَكم بينكم؛ قالوا: نَنْشدُك الله أنْ تخالفنا، وأن تُفسد علينا رأينَا وما قد اجتمعتْ عليه جماعتُنا. قال: فأنا رجلٌ منكم، فإذا شئتم فاخرجو. فسار بعضُهم إلى بعض وقالوا: انتظروا حتى يذهب عنه إبراهيم بن الأشتر؛ قال: فأمهلوا حتى إذا بلغ ابن الأشتر سَابَاطَ، وثَبوا بالمختار. قال: فخرج عبدُ الرحمن بنُ سعيد بن قيس الهمدانيّ في همدانَ في جبَّانة السَّبيع، وخرج زَحْر ابن قيس الجُعْفيّ وإسحاق بن محمَّد بن الأشعث في جبَّانة كِنْدة[1].

٤٩ ـ **قال أبو مخنف**: حدّثني يونس بن أبي إسحاق، أنّ شمر بن ذي الجوشن أتَى أهلَ اليمن فقال لهم: إن اجتمعتم في مكان نجعل فيه مجنّبتين ونقاتل من وجه واحد فأنا صاحبكم، وإلاّ فلا، والله لا أقاتل في مِثْل هذا المكان في سِكك ضيّقة، ونقاتَل من غير وجه. فانصرف إلى جماعةِ قومه في جبانة بني سَلول. قال: ولمَّا خرج رسولُ المختار إلى بن الأشترَ بلغه من يومه عشيَّة، فنادى في الناس: أن ارجعوا إلى الكُوفة، فسار بقيَّة عشيَّته تلك، ثم نزل حين أمسى، فتعشّى أصحابُه، وأراحوا الدوابَّ شيئاً كلا شيء، ثم نادى في الناس، فسار ليلتَه كلَّها، ثم صلَّى الغداة بسُورا، ثمّ سار من يومه فصلَّى العصر على باب الجسر من الغد، ثمّ إنَّه جاء حتى بات ليلَتَه في المسجد ومعه من أصحابه أهل القوّة والجَلَد، حتَّى إذا كان صبيحة اليوم الثالث من مُخَرجهم على المختار، خرج المختارُ إلى المِنبر فصعِدَه[2].

٥٠ ـ **قال أبو مخنف**: فحدّثني أبو جناب الكلبيّ أنّ شَبَث بن رِبْعيّ بعث إليه ابنه عبد المؤمن فقال: إنَّما نحن عشيرتُك، وكفّ يمينك، لا والله

---

(١) الطبري ٦/٤٤ ـ ٤٥.

(٢) الطبري ٦/٤٦ ـ ٤٧.

لا نقاتلك، فثقْ بذلك منّا وكان رأيه قتاله، ولكنَّه كاده. ولمّا أن اجتمع أهلُ اليَمَن بجبّانة السَّبيع حضرتِ الصلاة، فكَرِه كلّ رأس من رءوس أهلِ اليمن أن يتقدّمه صاحبُه، فقال لهم عبد الرحمن بن مخنف: هذا أوّل الاختلاف، قدّموا الرضا فيكم، فإنّ في عشيرتكم سيِّدَ قرّاء أهل المصر، فليصلّ بكم رفاعةُ بن شدّاد الفتيانيّ من بجِيلة، ففعلوا، فلم يزل يصلّي بهم حتَّى كانت الوقعة(١).

٥١ ـ **قال أبو مخنف**: وحدّثني وازع بن السريّ أنّ أنس بن عمرو الأزديّ انطلق فدخل في أهل اليمن، وسمعهم وهم يقولون: إنْ سار المختار إلى إخواننا من مضرَ سرْنا إليهم، وإن سار إلينا ساروا إلينا، فسمِعَها منهم رجل، وأقبل جواداً حتَّى صعد إلى المختار على المنبر، فأخبَره بمقالتهم، فقال: أمّا هم فخُلَقَاء لو سرتُ إلى مضرَ أن يسيروا إليهم، وأمّا أهل اليَمَن فأشهد لئن سرتُ إليهم لا تسير إليهم مضر، فكان بعد ذلك يدعو ذلك الرجلَ ويكرمه. ثم إنّ المختار نزل فعبّأ أصحابَه في السوق ـ والسوق إذ ذاك ليس فيها هذا البناء ـ فقال لإبراهيم بن الأشتر: إلى أيّ الفريقين أحبّ إليك أن تسير؟ فقال: إلى أيّ الفريقين أحببت، فنظر المختار ـ وكان ذا رأي، فكره أن يسير إلى قومه فلا يبالغ في قتالهم ـ فقال: سرْ إلى مضرَ بالكُناسة وعليهم شَبَث بن ربعيّ ومحمَّد بن عمير بن عطارد، وأنا أسير إلى أهل اليَمَن.

قال: ولم يزل المختار يُعرف بشدّة النفس، وقلّة البُقْيا على أهل اليمن وغيرهم إذا ظفر، فسار إبراهيمُ بن الأشتر إلى الكُناسة، وسار المختار إلى جبَّانة السَّبيع، فوقف المختار عند دار عُمَر بن سعد بن أبي وقَّاص، وسرّح بين أيديه أحْمَر بن شُميط البجَليّ ثمّ الأحمسيّ، وسرّح عبد الله بن كامل الشاكريّ، وقال لابن شميط: الزَم هذه السّكّة حتَّى تخرج إلى أهل جبَّانة السَّبيع من بين دُور قومك. وقال لعبد الله بن كامل: الزَم هذه السكَّة حتَّى تخرج على جبَّانة السَّبيع من دار آل الأخنس بن شَرِيق، ودعاهما فأسرّ إليهما أن شِباماً قد بعثتْ تُخبرني أنَّهم قد أتَوا القوم من

---

(١) ن.م ٦/ ٤٧.

ورائهم، فمَضَيا فَسَلكا الطريقين اللَّذين أمرهما بهما، وبلغ أهلَ اليمن مسيرُ هذين الرجلين إليهم، فاقتسموا تَيْنِك السكَّتَين، فأما السكَّة الَّتي في دبر مسجد أحْمس فإنَّه وقف فيها عبدُ الرحمن بنُ سعيد بن قيس الهمْدانيّ وإسحاق بن الأشعث وزَحْر بن قيس، وأمَّا السّكَّة الَّتي تلي الفُراتَ فإنَّه وقف فيها عبدُ الرحمن ابن مخنف، وبشير بن جرير بن عبد الله، وكعب بن أبي كعب. ثم إن القوم اقتتلوا كأشدّ قتال اقْتَتَلَه قوم. ثمّ إنّ أصحابَ أحْمر بن شُمَيط انكشفوا وأصحاب عبد الله ابن كامل أيضاً، فلم يُرَع المختارُ إلاّ وقد جاءه الفَلُّ قد أقبل؛ فقال: ما وراءكم؟ قالوا: هُزِمنا قال: فما فعل أحمر بن شُمَيط؟ قالوا: تركناه قد نزل عند مسجد القصّاص ـ يَعنُون مسجدَ أبي داود في وادعة، وكان يعتاده رجالُ أهل ذلك الزمان يقصّون فيه، وقد نزل معه أناس من أصحابه ـ وقال أصحاب عبد الله: ما ندري ما فعل ابن كامل! فصاح بهم: أن انصرِفوا. ثمّ أقبل بهم حتَّى انتهى إلى دار أبي عبد الله الجُدَليّ، وبعث عبد الله بن قُراد الخثعميّ ـ وكان على أربعمائة رجل من أصحابه ـ فقل: سرْ في أصحابك إلى ابن كامل، فإن يك هلك فأنت مكانه، فقاتِل القومَ بأصحابك وأصحابه، وإن تجده حيًّا صالحاً فسرْ في مائة من أصحابك كلُّهم فارس، وادفع إليه بقيَّة أصحابك، ومرْ بالجدّ معه والمناصحة له، فإنَّهم إنَّما يناصحونني، ومَنَ ناصحني فليبشر، ثمّ امضِ في المائة حتَّى تأتي أهلِ جبَّنة السَّبيع ممَّا يلي حمَّام قَطَن بن عبد الله. فمضى فوجد ابن كامل واقفاً عند حمَّام عمرو بن حُريث معه أناس من أصحابه قد صبروا، وهو يقاتل القومَ، فدفع إليه ثَلثَمائة مِن أصحابه ثمّ مضى حتَّى نزل إلى جبَّانة السَّبيع.

ثم أخذ في تلك السّكك حتَّى انتهى إلى مسجد عبد القيس، فوقف عنده، وقال لأصحابه: ما ترون؟ قالوا: أمْرنا لأمرِكَ تَبع وكلّ من كان معه من حاشد من قومه وهم مائة؛ فقال لهم: والله إني لأحبّ أن يَظهَر المختار، ووالله إني لكارهٌ أن يَهلِك أشرافُ عشيرتي اليوم، ووالله لأن أموتَ أحبّ إليّ من أن يَحلّ بهم الهلاك على يديّ، ولكن قِفوا قليلاً فإني قد سمعتُ شِباماً يزعمون أنَّهم سيأتونهم من ورائهم، فلعلّ شِباماً تكون هي تفعل ذلك، ونُعافَى نحن منه. قال له أصحابه: فرأيَكَ، فثبت كما هو عند مسجد عبد القيس، وبعث المختارُ مالكَ بن عمرو النهديّ في مائتي رجل ـ

وكان من أشدّ الناس بأساً ـ وبعث عبد الله بن شريك لنهديّ في مائتي فارس إلى أحمَر بن شميط، وثبت مكانَه، فانتهوا إليه وقد علاه القوم وكَثَروه، فاقتتلوا عند ذلك كأشدّ القتال، ومضى ابن الأشتر حتَّى لقي شَبَث ابن رِبْعيّ، وأناساً معه من مضر كثيراً، وفيهم حسَّان بن فائد العبسيّ، فقال لهم إبراهيم: وَيْحَكُم! انصرفوا، فوالله ما أحبّ أن يصاب أحد من مُضَر على يديّ، فلا تُهْلكوا أنفسكم، فأبوْا، فقاتلوه فهزمهم، واحتُمل حسَّان بن فائد إلى أهله، فمات حين أدخِل إليهم، وقد كان وهو على فراشه قبل موته أفاقَ إفاقةً فقال: أما والله ما كنت أحبّ أن أعيشَ من جراحتي هذه، وما كنت أحبّ أن تكون منيتي إلا بطعنةِ رمح، أو بضربةٍ بالسيف؛ فلم يتكلَّم بعدها كلمةً حتَّى مات. وجاءت البشرى إلى المختار مِن قِبَل إبراهيم بهزيمة مضرَ، فبعث المختار البشرَى مِن قِبَله إلى أحمر بن شُميط وإلى ابن كامل، فالنَّاس على أحوالهم كل أهل سكَّة منهم قد أغْنتْ ما يليها.

قال: فاجتمعت شِبَام وقد رأسوا عليهم أبا القلوص، وقد أجمعوا واجتمعوا بأن يأتوا أهلَ اليمن من ورائهم، فقال بعهضم لبعض: أما والله لو جعلتم جِدَّكُم هذا على من خالفكم من غيركم لكان أصْوَب، فسِيروا إلى مضرَ أو إلى ربيعة فقاتلوهم ـ وشيخُهم أبو القلوص ساكت لا يتكلَّم ـ فقالوا: يا أبا القلوص، ما رأيك؟ فقال: قال الله جلّ ثناؤه: ﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلۡكُفَّارِ وَلۡيَجِدُواْ فِيكُمۡ غِلۡظَةٗ﴾[1] قوموا؛ فقاموا؛ فمشى بهم قيس رمحين أو ثلاثة ثم قال لهم: اجلسوا فجلسوا، ثمَّ مشى بهم أنفس من ذلك شيئاً، ثم قعد بهم، ثم قال لهم: قوموا، ثمّ مشى بهم الثالثة أنفس من ذلك شيئاً، ثم قعد بهم، فقالوا له: يا أبا القَلوص، والله إنك عندنا لأشجع العرب، فما يَحمِلك على الَّذي تصنع! قال: إنّ المجرّب ليس كمن لم يجرّب، إني أردت أن ترجع إليكم أفئدتُكم، وأن توطّنوا على القتال أنفسَكم، وكرهتُ أن أقْحِمكم على القتال وأنتم على حالِ دَهَش؛ قالوا: أنت أبصَر بما صنعت.

فلمّا خرجوا إلى جبانة السَّبيع استقبلهم على فم السكَّة الأعسر الشاكريّ، فحمل عليه الجُندعيّ وأبو الزبير بن كريب فصرعاه، ودخلا

---

(١) سورة التوبة: الآية ١٢٣.

الجبَّانة، ودخل الناسُ الجبَّانة في آثارهم، وهم ينادُون: يا لثَارات الحسين! فأجابهم أصحابُ ابن شميط يَا لثَارات الحسين! فسمعها يزيدُ بن عمير بن ذي مُرَّان من هَمْدانَ فقال: يا لثَارات عثمان! فقال لهم رفاعة بن شدّاد: ما لنا ولِعثمان! لا أقاتِل مع قوم يبغون دمَ عثمان، فقال له أناس من قومه: جئتَ بنا وأطعناك، حتَّى إذا رأينا قومَنا تأخذهم السيوف قلت: اصِرفوا ودَعُوهم! فَعَطَف عليهم وهو يقول:

أَنَا ابنُ شدَّادٍ عَلَى دِينِ علِي　　　لستُ لعثمانَ بنِ أَرْوَى بِوَلِي
لأَصلِينَّ اليومَ فِيمَن يصْطَلِي　　　بِحرِّ نارِ الحَرب غيرِ مُؤتلِ

فقاتَل حتى قُتل، وقتل يزيد بن عُمير بن ذي مُرَّان، وقُتل النعمان بن صُهْبان، الجرميّ ثمّ الراسبيّ ـ وكان ناسكاً ـ ورفاعةُ بن شدّاد بن عَوْسجة الفِتيانيّ عند حمَّام المَهْبذانِ الَّذي بالسَّبَخة ـ وكان ناسكاً ـ وقتِل الفرات بن زَحْر بن قيس الجْعفيّ، وارتثّ زَحْر بن قيس، وقتِل عبد الرحمن بن سعيد بن قيس، وقتل عمر ابن مخنف، وقاتل عبدُ الرحمن بن مخنف حتَّى اُرتُثّ، وحملتْه الرّجال على أيديها وما يَشعر، وقاتل حوله رجالٌ من الأزْد، فقال حُمَيد بن مسلم:

لأَضْرِبَنَّ عن أَبي حَكِيمِ　　　مُفارِق الأَعْبُدِ والصَّمِيمِ

وقال سُراقة بن مِرْداس البارقيّ:

يا نَفْسُ إلاَّ تَصْبِرِي تُلِيمِي　　　لاَ تَتولَّيْ عن أَبي حكِيمِ[1]

واستُخرج من دور الوادعيّين خمسَمائة أسير، فأُتِي بهم المختار مكتَّفين، فأخذ رجل من بني نَهْد وهو من رؤساء أصحاب المختار يقال له: عبد الله بن شريك، لا يخلو بعربيّ إلاّ خلَّى سبيله، فَرَفَع ذلك إلى المختار دِرْهم مولًى لبني نَهد، فقال له المختار: أعرضوهم عليّ، وانظروا كلّ من شهد منهم قتل الحسين فأعلموني به، فأخذوا لا يُمَرّ عليه برجل قد شهد قتل الحسين إلا قيل له: هذا ممَّن شهد قتله، فيقدّمه فيضرب عنقه، حتَّى قتل منهم قبل أن يخرج مائتين وثمانيةً وأربعين قتيلاً، وأخذ أصحابه كلَّما

(١) ديوانه ١٠٥.

رأوا رجلاً قد كان يؤذيهم أو يماريهم أو يضرّبهم خَلوْا به فَقتلُوه حتَّى قُتل ناس كثير منهم وما يشعر بهم المختار، فأُخبر بذلك المختار بعدُ، فدعَا بمَنْ بقي من الأسارى فأعتَقهم، وأخذ عليهم المواثيقَ ألاّ يجامِعوا عليه عدوًّا، ولا يبغوه ولا أصحابه غائلة إلا سُرَاقَة بن مرداس البارقيّ، فإنَّه أمر به أن يُساقَ معه إلى المسجد. قال: ونادى منادِي المختار: إنَّه من أغلق بابه فهو آمن، إلا رجلاً شَرَك في دم آل محمَّد ﷺ[1].

٥٢ ـ **قال أبو مخنف: حدّثني المجالد بن سعيد**، عن عامر الشعبي، أن يزيد ابن الحارث بن يزيد بن رؤيم وحجَّار بن أبجر بعثا رسلاً لهما، فقالا لهم: كونوا من أهل اليمن قريباً، فإن رأيتموهم قد ظهروا فأيّكم سبق إلينا فليقل صَرَفان، وإن كانوا هُزِموا فليقل جُمْزان، فلما هُزِم أهل اليمن أتتْهم رسلهم، فقال لهم أوّلُ من انتهى إليهم: جُمْزان، فقام الرجلان فقالا لقومهما: انصرِفوا إلى بيوتكم، فانصرَفوا، وخرج عمرو بن الحجَّاج الزُّبيديّ ـ وكان ممَّن شهد قتل الحسين ـ فركب راحلتَه، ثمّ ذهب عليها، فأخذ طريقَ شَرافِ وواقصة، فلم يُرَ حتَّى الساعة، ولا يُدرَى أرضٌ بخَسَته، أم سماءٌ حصَبَتْهُ! وأمَّا فُرات بن زَحْر بن قيس فإنه لمَّا قُتل بعثت عائشةُ بنت خليفة بن عبد الله الجُعفيَّة ـ وكانت امرأةَ الحسين بن عليّ ـ إلى المختار تسأله أن يأذن لها أن تواريَ جسده، ففعل؛ فدفنتْه[2].

[شمر بن ذي الجوشن]

٥٣ ـ **قال أبو مخنف: فحدّثني يونس بن أبي إسحاق**، عن مسلم بن عبد الله الضّبابيّ، قال: تَبعنا زرْبي غلامُ المختار، فَلِحقنَا وقد خرجنا من الكوفة على خيول لنا ضُمَّر، فأقبل يتمطَّر به[3] فرسُه، فلَّما دنا منَّا قال لنا شمِر: اركضوا وتباعدوا عنّي لعلّ العبد يطمع فيّ؛ قال: فركَضْنا، فأمعنَّا، وطمع العبد في شمِر، وأخذ شمر ما يستطرد له، حتَّى إذا انقطع من أصحابه حمل عليه شمِر فدقَّ ظهره، وأتى المختار فأخبر بذلك، فقال: بأساً لزربيّ، أما لو

---

(١) الطبري ٦/ ٤٧ ـ ٥١.

(٢) الطبري ٦/ ٥٢.

(٣) يتمطر به: يسرع.

يستشيرُني ما أمرْته أن يَخرُج لأبي السابغة[1].

٥٤ ـ **قال أبو مخنف: حدّثني أبو محمَّد الهَمْدانيّ**، عن مسلم بن عبد الله الضّبابيّ، قال: لمَّا خرج شمر بن ذي الجَوْشن وأنا معه حين هزمنا المختار، وقتل أهل اليمن بجبَّانة السَّبيع، ووجَّه غلامَه زربيًّا في طلب شمر، وكان مَن قتل شمر إيَّاه ما كان، مضى شمر حتَّى ينزَل ساتِيدَمَا، ثمّ مضى حتَّى ينزل إلى جانب قرية يقال لها الكلتانيَّة على شاطىء نهر، إلى جانب تلّ، ثمّ أرسل إلى تلك القرية فأخذ منها عِلْجاً فضربه، ثمّ قال: النّجاء بكتابي هذا إلى المصعَب بن الزبير وكتب عنوانه: للأمير المصعب بن الزبير من شمِر بن ذي الجوشن. قال: فَمَضَى العِلْج حتَّى يدخل قريةً فيها بيوت، وفيها أبو عَمْرة، وقد كان المختار بعثَه في تلك الأيَّام إلى تلك القرية لتكون مَسْلحة فيما بينه وبين أهل البصرة، فلقي ذلك العِلْج عِلْجا من تلك القرية، فأقبل يشكو إليه ما لقي من شمر، فإنَّه لقائم معه يكلمه إذ مر به رجل من أصحاب أبي عمرة، فرأى الكتابَ مع العِلج، وعنوانه: لمصعب من شمر، فسألوا العلجَ عن مكانه الَّذي هو به، فأخبَرَهم، فإذا ليس بينهم وبينه إلاّ ثلاثة فراسخ. قال: فأقبلوا يسيرون إليه[2].

٥٥ ـ **قال أبو مخنف**: فحدّثني مسلم بن عبد الله، قال: وأنا والله مع شَمِر تِلك الليلَة، فقلنا: لو أنَّك ارتحلتَ بنا من هذا المكان فإنَّا نتخوّف به! فقال: أوَ كلّ هذا فَرَقا من الكذَّاب! والله لا أتحوّل منه ثلاثَة أيَّام، ملأ الله قلوبَكم رُعْباً! قال: وكان بذلك المكان الذي كنَّا فيه دبًى كثير، فوالله إني لَبيْن اليَقْظانِ والنائم، إذْ سمعتُ وَقْعَ حوافر الخيل، فقلت في نفسي: هذا صوتُ الدَّبى، ثمّ إني سمعته أشدّ من ذلك، فانتبهتُ ومسحتُ عينيّ، وقلت: لا والله، ما هذا بالدَّبَى. قال: وذهبتُ لأقمَ، فإذا أنا بهم قد أشرفوا علينا من التَّلّ، فكبَّروا، ثمّ أحاطوا بأبياتنا، وخرجْنا تشتدّ على أرجُلنا، وتركنا خيلنا. قال: فأمُرّ على شمِر، وإنَّه لمتَّزر ببُرد محقق[3] ـ وكان أبرَصَ ـ فكأني أنظر إلى بياض كشحيه من فوق البُرْد، فإنَّه لَيطاعنهم

---

(١) ن.م.

(٢) الطبري ٦/ ٥٢ ـ ٥٣.

(٣) برد محقق: محكم النسج.

بالرمح، قد أعجَلوه أن يلبس سلاحَه وثيابَه، فمضينا وتركناه. قال: فما هو إلاّ أن أمعنتُ ساعةً، إذسمعتُ: الله أكبر، قتل اللّهُ الخبيث[1]!.

٥٦ ـ **قال أبو مخنف: حدّثني المشرقيّ،** عن عبد الرحمن بن عبيد أبي الكنود، قال: أنا والله صاحب الكتاب الَّذي رأيته مع العِلْج. وأتيتُ به أبا عَمرة وأنا قتلت شَمِراً؛ قال: قلت: هل سمعتَه يقول شيئاً ليلتئذ؟ قال: نعم، خرج علينا فطاعَنَنا برمحه ساعةً، ثم ألقَى رمْحَه، ثمّ دخل بيته فأخذ سيفَه، ثمّ خرج علينا وهو يقول:

نَـبَّـهْـتُـمُ لَـيْـثَ عَـرِيـنٍ بَـاسِـلاَ   جَـهْـمـاً مُـحَـيَّـاهُ يَـدُقُّ الـكـاهِـلاَ
لـم يُـرَ يَـوْمـاً عَـن عَـدُوٍّ نـاكِـلاَ   إلاَّ كَـذَا مُـقَـاتِـلاً أو قـاتِـلاَ
يُـبْـرِحُـهُـمْ ضَـرْبـاً ويُـرْوِي الـعـامِـلاَ[2]

٥٧ ـ **[قال أبو مخنف]:** ودعا المختار بعبد الرحمن بن عبيد الهمداني وقال له: بلغني عن شمر بن ذي الجوشن الضبابي أنه خرج من الكوفة في نفر من غلمانه ومن تبعه هارباً، فأخرج أنت في طلبه فلعلك تأتيني به حياً أو برأسه، فإني لا أعرف في قتلة الحسين أعتى منه ولا أشد بغضاً لأهل البيت، وضم إليه عشرة من أبطال أصحابه، وقال له ولهم: أنشدكم الله إلا أقررتم عيني بقتله، وشقيتم غليلي بذله، فلقد أكمدني بفعله. فخرج عبد الرحمن في أصحابه العشرة يسألون عنه، فقيل أنه قد نزل في جنب قرية على شاطىء الفرات يقال لها الكلتانية ومعه قوم قد صحبوه من قتلة الحسين وهم آمنون مطمئنون، فرحل عبد الرحمن بهم إليه، فلما أشرف عليه علم أن الخيل خيل المختار، فوثب قائماً يتأملهم فنظروا إليه وعرفوه، فكبروا وأحاطوا به وبأصحابه، وكان شمر متزراً بمنديل وكان أبرص، والبرص على سائر جسده، فكأنه ثوب ملمع، فأخذ رمحه ودنا من أصحاب المختار وحمل عليهم وهو يقول:

نـبـهـتـم لـيـثـا هـزبـراً بـاسـلا   جـهـمـا مـحـيـاه يـدق الـكـاهـلا
لـم يـكـن يـومـاً عـن عـدونـا كـلا   إلا كـذا مـقـتـلا أو قـاتـلا

(١) ن.م ٦/٥٣.
(٢) الطبري ٦/٥٣ ـ ٥٤.

فتقدم إليه عبد الرحمن بن عبيد وهو يقول:

يا أيها الغادر وابن الغادر — وقاتل الحسين ذي المفاخر
ابن النبي الطيب العناصر — وابن الوصي الطاهر ابن الطاهر
منيت منشيعته بثائر — يطعن في الضلوع والحناجر
اشجع من ليث عرين خادر — فابشر بخزي وبموت حاضر

ثم طعنه عبد الرحمن في نحره فسقط قتيلاً، فنزل إليه واحتز نحره وقتل أصحابه جميعاً، وأخذ أموالهم وأسلحتهم ودوابهم وجاء برأسه ورؤوس أصحابه إلى المختار، فلما نظر المختار إليه خرساً جداً؛ وقال: يا عبد الرحمن أقر الله عينك رسول الله في الجنة. ثم أمر برأس الشمر فنصب في رحبة الحذائين إزاء المسجد الجامع، فمثل به الصبيان برمي الحجارة والقذارة، وأمر المختار لعبد الرحمن بعشرة آلاف دينار وولاه حلوان[1].

٥٨ ـ **قال أبو مخنف**، عن يونس بن أبي إسحاق: ولمَّا خرج المختار من جَبّانة السَّبِيع، وأقبل إلى القصر، أخذ سُراقةُ بن مِرْداس يناديه بأعلى صوته:

امننْ عليَّ اليَوْمَ يا خَيْرَ مَعَدْ — وخَيْرَ مَنْ حَلَّ بِشِحْرٍ والجَنَدْ[2]
وخَيْرَ من حَيَّا وَلبَّى وَسَجَدْ

فبعث به المختار إلى السجن، فحبسه ليلةً، ثمّ أرسل إليه من الغد فأخرَجه، فدعا سراقة، فأقبَل إلى المختار وهو يقول:

ألا أبلغْ أبا إسْحاقَ أنّا — نَزوْنا نَزوةً كانت علينا[3]
خَرَجْنَا لاَ نَرى الضعَفاءَ شيئاً — وكانَ خُرُوجُنا بَطراً وحَيْنَا
نراهُمْ في مصافِّهم قليلاً — وهم مثلُ الدَّبى حين التَقَينا
برَزْنا إذ رَأَيناهُمْ فلما — رأينا القومَ قد برزُوا إلينا
لقِينَا منْهُمُ ضَرْباً طِلَحْفاً[4] — وطَعْناً صائباً حتَّى انثنَيْنا

---

(١) مقتل الخوارزمي ٢/٢٣٦ ـ ٢٣٧.
(٢) ديوانه ٧٤.
(٣) ديوانه ٧٦، ٧٧.
(٤) ضرباً طلحفاً، أي شديداً وجيعاً.

نـصِـرْتَ عــلــى عَـدُوِّك كُـلَّ يـوم   بـكـلِّ كـتِـيـبَـةٍ تَـنْـعَـى حُـسَـيْـنَـا
كـنـصْـرِ مُـحَـمَّـدٍ فـي يـوم بَـدْرٍ   ويـوم الـشِّـعْـبِ إذ لاقـى حُـنَـيْـنَـا
فَـأَسْـجِـحْ إذْ مَـلَـكْـتَ فـلـو مـلَـكـنـا   لـجُـرْنـا فـي الـحـكـومـة واعـتَـدَيـنـا
تَـقَـبَّـلْ تـوبَـةً مـنّـي فـإنّـي   سـأشـكـرُ إنْ جـعـلـتَ الـنَّـقْـدَ ديـنـا

قال: فلمَّا انتهى إلى المختار، قال له: أصلحَك الله أيها الأمير! سُراقةُ بن مِرداس يَحلف بالله الَّذي لا إله إلاّ هو لقد رأى الملائكةَ تُقاتِل على الخيول البُلْق بين السماء والأرض؛ فقال له المختار: فاصعد المِنبَر فأعلِم ذلك المسلمين؛ فصَعِد فأخبَرهم بذلك ثمّ نزل، فخلا به المختار، فقال: إني قد علمت أنَّك لم تر الملائكة، وإنَّما أردتَ ما قد عرفتُ ألاّ أقتلك، فاذهب عني حيث أحببت، لا تُفسِد عليّ أصحابي[1].

٥٩ ـ **قال أبو مخنف: فحدّثني الحجّاج بن عليّ البارقي** عن سراقة بن مرداس، قال: ما كنت في أيمان حلفت بها قطّ أشدّ اجتهاداً ولا مبالغةً في الكذب منّي في أيماني هذه الَّتي حلفتُ لهم بها أني قد رأيت الملائكة معهم تُقاتِل. فخلَّا سبيله. فهرب، فلحق بعبد الرحمن بن مخنف عند المصعب بن الزبير بالبصرة، وخرج أشرافُ أهل الكوفة والوجوه. فلَحِقوا بمصعب بن الزبير بالبصرة، وخرج سُراقة بن مرداس من الكوفة وهو يقول:

ألاَ أبــلِــغْ أبــا إســحــاقَ أنّــي   رأيـتُ الـبُـلْـقَ دُهْـمـاً مُـصْـمـتَـاتِ[2]
كـفَـرْتُ بـوَحْـيِـكـمْ وجـعـلـت نَـذْراً   عـلـيَّ قِـتـالَـكـمْ حـتَّـى الـمـمَـاتِ
أُرِي عَـيْـنَـيَّ مـا لـم تُـبـصـراهُ   كـلانـا عـالـمٌ بـالـتُّـرَّهـاتِ
إذا قـالـوا أقـول لـهـم كَـذَبْـتُـمْ   وإن خـرجـوا لـبِـسْـتُ لـهـم أداتـي[3]

٦٠ ـ **قال أبو مخنف**: حدّثني عمير بن زياد أن عبد الرحمن بن سعيد بن قيس الهمْدانيّ قال يومَ جبَّانة السبيع: ويحكم! من هؤلاء الَّذِينَ أتَوْنا من ورائنا؟ قيل له: شِبَام؛ فقال: يا عجبا! يقاتلني بقَوْمي من لاَ قومَ له[4].

---

(١) الطبري ٦/ ٥٤ ـ ٥٥، مقتل الخوارزمي ٢/ ٢١٥ ـ ٢١٦.
(٢) ديوانه ٧٨.
(٣) الطبري ٦/ ٥٤ ـ ٥٥.
(٤) الطبري ٦/ ٥٦.

٦١ ـ **قال أبو مخنف**: وحدّثني أبو روق أنّ شُرحبيل بن ذي بُقلان من الناعطيِّين قُتِل يومئذ، وكان من بيوتات هَمْدان، فقال يومئذ قبل أن يُقتَل: يا لها قتلةً، ما أضلّ مقتولها! قِتال مع غير إمام، وقتالٌ على غير نيَّة، وتعجيلُ فراقِ الأحبَّة، ولو قتلناهم إذاً لم نسلم منهم، إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون! أما والله ما خرجْتُ إلاّ مواسياً لقومي بنفسي مَخافَة أن يُضطهَدوا؛ وايم الله ما نجوْتُ من ذلك ولا أُنجُوا، ولا أغنَيْت عنهم ولا أُغنُوا. قال: ويرميه رجل من الفائشيِّين من هَمْدانَ يقال له أحمر بن هديج بسَهم فيقتله.

قال: واختصَم في عبد الرحمن بن سعيد بن قيس الهمدانيّ نفرٌ ثلاثة: سِعْر ابن أبي سعر الخنفيّ، وأبو الزبير الشِّباميّ: ورجل آخر؛ فقال سِعْر: طعنته طعنة، وقال أبو الزبير: لكن ضربتُه أنا عشرَ ضَرَبات أو أكثر، وقال لي ابنه: يا أبا الزبير، أتقتل عبد الرحمن بن سعيد سيّد قومكِ! فقلت: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾[1]. فقال المختار: كلّكم محسن. وانجلَت الوَقعة عن سبعمائة وثمانين قتيلاً من قومه[2].

٦٢ ـ **قال أبو مخنف**: حدّثني النَّضْر بن صالح أنَّ القتل إذ ذاك كان استَحرّ في أهل اليمن، وأن مُضَر أصيب منهم بالكُناسة بضعة عشر رجلاً، ثمّ مضوا حتَّى مرّوا بربيعة، فرجع حجَّار بن أبجَر، ويزيد بن الحارث بن رؤيم وشدّاد بن المنذر ـ أخو حضين ـ وعكرمة بن ربعيّ. فانصرف جميع هؤلاء إلى رحالهم، وعطف عليهم عكرمة فقاتلهم قتالاً شديداً، ثمّ انصرف عنهم وقد خرج، فجاء حتَّى دخل منزلَه. فقيل له: قد مرّت خيلٌ في ناحية الحيّ؛ فخرج فأراد أن يثب من حائط داره إلى دار أخرى إلى جانبه فلم يستطع حتَّى حمَلَه غلام له. وكانت وقعة جبَّانة السَّبيع يومَ الأربعاء لستّ ليال بقِين من ذي الحجَّة سنة ستّ وستّين.

---

(١) سورة المجادلة: الآية ٢٢.

(٢) ن.م.

[انتقام المختار من قاتلي الحسين]

قال: وخرج أشرافُ الناس فلَحِقوا بالبَصرة. وتجرّد المختارُ لقتَلةِ الحسين فقال: ما من ديننا تركُ قوم قتلوا الحسينَ يمشون أحياء في الدّنيا آمنين؛ بئس ناصرُ آل محمَّد أنا إذاً في الدنيا! أنا إذاً الكذّاب كما سمَّوْني. ، فإني بالله أستعين عليهم، الحمد لله الَّذي جعلني سيفاً ضربهم به، ورمحاً طعَنَهم به، وطالب وترهم، والقائم بحقّهم؛ إنَّه كان حَقًّا على الله أن يَقْتُل من قَتَلهم، وأن يذلّ من جهل حقَّهم، فسمّوهم لي ثمّ اتّبِعوهم حتَّى تُفنوهُم[1].

٦٣ ـ **قال أبو مخنف**: فحدّثني موسى بن عامر أنّ المختار قال لهم: اطلُبوا لي قَتَلَةَ الحسين، فإنَّه لا يَسُوغ ليَ الطعامُ والشرابُ حتَّى أطهّر الأرضَ منهم، وأنفي المُصِرّ منهم[2].

[عبد الله بن أُسيد الجهني، مالك بن النسير البدي، حمل بن مالك المحاربي]

٦٤ ـ **قال أبو مخنف**: وحدّثني مالك بن أعيَن الجُهَنيّ أنّ عبد الله بن دباس، وهو الَّذي قَتَل محمّد بن عمَّار بن ياسر الَّذِي قال الشاعر:

قَتِيل ابنِ دَبَّاسٍ أصابَ قَذَالَهُ

هو الَّذِي دلّ المختار على نفر ممَّن قَتَل الحسينَ، منهم عبد الله بن أسيد بن النَّزّال الجُهَنيّ من حُرَقة، ومالك بن النُّسير البدّيّ، وحَمَل بن مالك المحاربيّ؛ فبعث إليهم المختار أبا نِمْران مالك بن عمرو النَّهديّ ـ وكان من رُؤساء أصحاب المختار ـ فأتاهم وهمْ بالقادسيَّة، فأخذهم فأقبل بهم حتَّى أدخلهم عليه عِشاء، فقال لهم المختار: يا أعداء الله وأعداءَ كتابه وأعداءَ رسولهِ وآلِ رسولهِ، أين الحسينُ بنُ عليّ؟ أدّوا إليّ الحسينَ، قتلتم من أُمِرتُم بالصّلاة عليه في الصلاة، فقالوا: رحمك الله! بُعثنا ونحن كارهون، فامننْ علينا واستبقنا، قال المختار: فهلاّ مننتم على الحسين ابن

---

(١) الطبري ٦/٥٦ ـ ٥٧.

(٢) الطبري ٦/٥٧، مقتل الخوارزمي ٢/٢٠ ـ ٢١.

بنت نبيِّكم واستبقيتموه وسَقَيْتموه! ثم قال المختار للبدِّيّ: أنت صاحبُ بُرنُسه؟ فقال له عبد الله بن كامل: نعم، هو هو؛ فقال المختار، اقطعوا يدَيْ هذا ورِجْلَيه، ودَعُوه فليضطرب حتَّى يموت، ففُعل ذلك به وتُرك، فلم يزل يَنزِف الدمَ حتَّى مات، وأمر بالآخرين فقُدّما، فقتل عبدُ الله بن كامل عبدَ الله الجهنيّ، وقتل سعرُ بن أبي سعر، حَمَل بن مالك المحاربيّ(١).

[أسماء بن خارجة الفزاري]

٦٥ ـ **[قال أبو مخنف]**: ثم عزم المختار على هدم دار أسماء بن خارجة الفزاري وإحراقها لأنه عمل في قتل مسلم بن عقيل، فجعل يقول:

«أما ورب السماء والماء، ورب الضياء والظلماء، لتنزلنَّ نار من السماء، حمراء، دهماء سحماء... الخ»(٢).

[شعر لعبد الله بن الزبير الأسدي]

٦٦ ـ **أخبرني أحمد بن عيسى العجلي بالكوفة قال: حدّثنا سليمان بن الربيع البرجمي قال: حدّثنا مُضَرُ بنُ مُزاحم، عن عمرو بن سعد، عن أبي مِخنَف، عن عبد الرحمن بن عبيد بن أبي الكَنُود، وأخبرني الحسن بن علي قال: حدّثنا الحارث بن محمد قال: حدّثنا ابن سعد عن الواقدي، وذكر بعض ذلك ابنُ الأعرابي في روايته عن المفضَّل، وقد دخل حديث بعضهم في حديث الآخرين**، أن المختار بن أبي عبيد خطب الناس يوماً على المنبر فقال: «لَتنزلنّ نار من السماء، تسوقها ريح حالكة دَهْماء، حتى تحرق دار أسماء وآلَ أسماء» وكان لأسماء بن خارجة بالكوفة ذكرٌ قبيح عند الشيعة، يعدّونه في قَتَلة الحسين عليه السلام، لِمَا كان من معاونته عبيدَ الله بنَ زياد على هانيء بن عُرْوة المُراديِّ حتى قتل، وحركتِهِ في نُصْرته على مسلم بن عقيل بن أبي طالب، وقد ذكر ذلك شاعرُهم فقال:

أيركب أسماءُ الهماليجَ آمِناً وقد طلبتْه مَذْحِجٌ بقتيلِ(٣)

---

(١) الطبري ٦/ ٥٧ ـ ٥٨، مقتل الخوارزمي ٢/ ٢٢٣ ـ ٢٢٤.

(٢) مقتل الخوارزمي ٢/ ٢٢٤.

(٣) الهماليج: جمع هملاج، والهملاج من البراذين: الحسن السير. وبنو مراد: قبيلة هانيء بن عروة بطن من مذحج، فهم بنو مراد بن مالك بن مذحج بن أدد... من بني كهلان.

يعني بالقتيل هانئَ بنَ عروة المُراديّ، وكان المختار يحتال ويدبِّر في قتله من غير أن يُغضب قيساً فتنصره، فبلغ أسماء قول المختار فيه، فقال: أوَقد سَجَع بي أبو إسحاق! لا قَرارَ على زَأْرٍ من الأسد[1]، وهب إلى الشام، فأمر المختار بطلبه ففاتَه، فأمر بهدم داره، فما تقدّم عليها مضريّ بتةً لموضع أسماء وجلالةِ قدرهِ في قيس، فتولَّت ربيعةُ واليمنُ هدمَها، وكانت بنو تَيْم الله وعبد القيس مع رجل من بني عجل كان على شرطة المختار، فقال في ذلك عبد الله بن الزَّبير:

تأوَّبَ عينَ ابنِ الزَّبيرِ سُهودُها	ووَلَّى على ما قد عراها هُجودُها[2]
كأنّ سواد العين أبطَنَ نحلةً	وعاوَدَها مما تَذكَّرُ عِيدُها[3]
مخصَّرةً من نحل جَيْحانَ صعبةً	لَوَى بجناحيها وليدٌ يَصِيدها[4]
من الليل وَهْناً، أو شَظِيَّةَ سُنبلٍ	أذاعت به الأرواحُ يُذرَى حَصيدها[5]
إذا طُرِفت أذرَتْ دموعاً كأنها	نَثِيرُ جُمانٍ بانَ عنها فَريدها[6]
وبتُّ كأنّ الصدرَ فيه ذُبالةٌ	شَبَا حرَّها القِنديل، ذاكٍ وَقُودها[7]
فقلتُ أناجي النفسَ بيني وبينها	كذاك الليالي نحسُها وسُعودُها
فلا تجزعي مما ألمّ فإنني	أرى سَنةً لم يَبقَ إلاّ شَريدها[8]
أتاني وعُرْضُ الشامِ بيني وبينها	أحاديثُ والأنباءُ ينَمِي بعيدُها[9]

---

(١) أخذه من قول النابغة الذبياني في النعمان بن المنذر من قصيدته المشهورة:

أنبئت أن أبا قابوس أوعدني	ولا قرار على زأر من الأسد

(٢) تأوّبها سهودها، أي راجعها وعاودها. والهجود: اللّوم، وعلى هنا بمعنى اللام.

(٣) تذكر، أي تتذكر. والعيد: ما اعتادك من هم أو مرض أو حزن.

(٤) كشح مخصر: دقيق، ورجل مخصر: ضامر الخصر. جيحان: نهر بالمصيصة في الشام. والوليد: الصبي.

(٥) من الليل وهنا: متعلق بقوله: وعاودها، أو شظية: عطف على نحلة. والشظية: كل فلقة من شيء. أذاع بالشيء: ذهب به. والأرواح: جمع ريح. ذرته الريح وأذرته: أطارته.

(٦) طرفت عينه: أصيبت بشيء فدمعت، أذرت العين الدمع: صبته. نثير: منثور. الجمان: اللؤلؤ. الفريد والفريدة: الجوهرة النفيسة.

(٧) الذبالة: الفتيلة، شبا النار شبواً: أوقدها كشبّها. والمعنى: زاد القنديل في حرّها بما يمدّها به من الزيت. ذكت النار: اشتدّ لهبها.

(٨) السنة: العام، والجدب، والقحط.

(٩) ينمى: ينتشر ويرتفع.

بـأنّ أبـا حَـسـانَ تـهـدِم دارَه ... لُكَيزُ سَعت فُسَّاقُها وعَبيدها[1]

جزَتْ مُضَراً عنّي الجوازِي بفعلها ... ولا أصبحتْ إلاّ بشرَّ جُدودها[2]

فما خيرُكم؟ لا سيِّداً تنصرونه ... ولا خائفاً إن جاء يوماً طريدُها[3]

أخذلانَه في كلّ يومِ كَريهةٍ ... ومسألة ما إن ينادَى وليدُها[4]

لأمِّكم الوَيْلاتُ أنَّى أُتيتُمُ ... جماعات أقوام كثيرٍ عديدها

فيَالَيتكم مِن بعد خذلانِكُمْ له ... جَوارٍ على الأعناق منها عُقودُها

ألم تغضبوا تَبًّا لكم إذ سَطَتْ بكم ... مجُوسُ القُرى في داركم ويَهودُها[5]!

تركتمْ أبا حسّان تُهدَم دارُه ... مشيَّدةً أبوابُها وحديدها

يهدِّمها العِجليّ فيكمْ بشُرْطة ... كما نَبَّ في شِبْل التُّيوس عَتُودُها[6]

لعمري لقد لفَّ اليهوديُّ ثوبَه ... على غَدرة شنعاءَ باق نَشِيدها[7]

فلو كان من قحطانَ أسماء شمَّرت ... كتائب من قحطانَ صُعْرٌ خدودُها[8]

ففي رجب أو غُرَّةِ الشهر بعده ... تزورُكم حُمْرُ المنايا وسُودها

ثمانون ألفا دِينُ عثمانَ دينُهم ... كتائبُ فيها جَبْرَئيل يقودُها

فمن عاش منكم عاش عبدا ومن يمت ... ففي النار سُقياه هناك صَدِيدها[9]

---

(١) لكيز: قبيلة من ربيعة، وهو لكيز بن أقصى بن عبد القيس.

(٢) يقال: جزتك عني الجوازي، أي جزتك جوازي أفعالك، والجوازي: جمع جازية، وهي الجزاء، مصدر على فاعلة، جدود: جمع جد بالفتح، وهو الحظ، يدعو عليها البخس الجدّ وتعس الحظ.

(٣) ولا خائفاً، أي ولا تؤمنون الطريد إن جاء يوماً خائفاً.

(٤) أخذلانه...: أي أمذهبكم خذلانه، أو أترون خذلانه؟ ومسألة، أي وفي كل مسألة، ويقال في المثل: هم في أمر لا ينادي وليده، قال ابن سيده: أصله كأن شدّة أصابتهم حتى كانت الأم تنسى وليدها فلا تناديه ولا تذكره مما هي فيه، ثم صار مثلاً لكل شدة، وقيل: أصله من الغارة، أي تذهل الأم عن ابنها أن تناديه وتضمه، ولكنها تهرب عنه، وقيل: هو أمر جليل شديد لا ينادى فيه الوليد ولكن تنادى فيه الجلة، وقيل يقال في الخير والشر، أي اشتغلوا به حتى لو مدّ الوليد يده إلى أعز الأشياء لا ينادي عليه زجراً.

(٥) تبّاً لكم، أي ألزمكم الله هلاكاً وخسراناً.

(٦) نب التيس: صاح عند الهياج. العتود من أولاد المعز: ما رعى وقوى وأتى عليه حول.

(٧) النشيد: الصوت.

(٨) صعر خدودها، أي قد أمالت خدودها كبراً.

(٩) الأغاني ١٤/٢٢٨ ـ ٢٣١.

[بحدل بن سليم الكلبي]

٦٧ ـ **[قال أبو مخنف]**: ثم أتي برجل يقال له بحدل بن سليم الكلبي وأدخل على المختار فقيل له: أيها الأمير هذا بحدل الذي أخذ خاتم الحسين وقطع أصبعه. فقال المختار اقطعوا يديه ورجليه وذروه يتشحط بدمه ففعل به ذلك. وجيء ذلك اليوم بستة نفر وهم الذين نهبوا مال الحسين، فأمر بهم فسلخت جلودهم وهم أحياء[١].

[زياد بن مالك، عمران بن خالد، عبد الرحمن بن أبي خشكارة البجلي، عبد الله بن موسى الخولاني]

٦٨ ـ **قال أبو مخنف: وحدّثني أبو الصّلت التَّيميّ، قال**: حدّثني أبو سعيد الصّيْقل أنّ المختار دُلّ على رجال من قَتَلة الحسين، دَلّه عليهم سِعْر الحنفيّ؛ قال: فبعث المختارُ عبدَ الله بنَ كامل، فخرجنا معه حتَّى مرّ ببني ضُبيعة، فأخذ منهم رجلاً يقال له زياد بن مالك؛ قال: ثمّ مضى إلى عَنزَة فأخذ منهم رجلاً يقال له عِمْران بن خالد. قال: ثمّ بعثني في رجال معه يقال لهم الدّبابة إلى دار في الحمراء، فيها عبد الرحمن بن أبي خُشْكارة البَجَليّ وعبد الله بن قيس الخَوْلانيّ، فجئنا بهم حتى أدخلناهم عليه، فقال لهم: يا قتلة الصالحين، وقَتَلة سيّد شباب أهل الجنَّة، ألا تَرَوْن الله قد أقاد منكم اليومَ! لقد جاءكم الوَرْس، بيوم نَحْس ـ وكانوا قد أصابوا من الوَرْس الَّذي كان مع الحسين ـ أخرجوهم إلى السوق فضرَبوا رقابَهم. ففُعل ذلك بهم، فهؤلاء أربعة نفر[٢].

[عبد الله وعبد الرحمن ابنا صلخب، عبد الله بن وهب بن عمرو]

٦٩ ـ **قال أبو مخنف: وحدّثني سليمان بن أبي راشد**، عن حميد بن مسلم، قال: جاءنا السَّائب بنُ مالك الأشعريّ في خيل المختار، فخرجتْ نحوَ عبد القيس، وخرج عبد الله وعبدُ الرحمن ابنا صَلْخب[٣] في أثَري،

---

(١) مقتل الخوارزمي ٢/ ٢٢٠.

(٢) الطبري ٦/ ٥٨، مقتل الخوارزمي ٢/ ٢١.

(٣) ابن الأثير: «صلحب».

وشُغلوا بالاحتباس عليهما عنّي، فنجوت وأخذوهما، ثمّ مضوا بهما حتّى مرّوا على منزل رجل يقال له عبد الله بنُ وهب بن عمرو ابن عمّ أعشى هَمْدانَ من بني عبد، فأخذوه، فانتهوْا بهم إلى المختار، فأمر بهم فقُتِلوا في السوق، فهؤلاء ثلاثة. فقال حُمَيد بن مسلم في ذلك حيث نجا منهم:

أَلَـمْ تـرَنِـي عـلـى دهـشٍ نَـجـوْتُ ولـم أكـدْ أنـجُـو
رجـاءُ الـلَّـهِ أنْـقـذَنِـي ولـم أكُ غـيْـرَهُ أرْجـو[1]

[عثمان بن خالد، بشر بن سوط]

٧٠ ـ **قال أبو مخنف**: حدّثني موسى بن عامر العدويّ من جُهينة ـ وقد عرف ذلك الحديث شهمُ بن عبد الرحمن الجُهَنيّ ـ قال: بعث المختارُ عبدَ الله بن كامل إلى عثمانَ بن خالد بن أسيرَ الدُّهمانيّ من جُهَينة، وإلى أبي أسماءَ بشْر بن سَوْط القابضيّ ـ وكانا ممَّن شَهِدا قتلَ الحسين، وكانا اشتركا في دم عبد الرّحمن بن عَقِيل بن أبي طالب وفي سلَبه ـ فأحاط عبدُ الله بنُ كامل عند العصر بمسجد بني دُهمان، ثم قال: عليّ مثل خطايا بني دُهمان منذ يوم خُلقوا إلى يوم يُبعَثون إن لم أوتَ بعثمانَ بنُ خالد بن أسير، إن لم أضرب أعناقكم من عند آخركم. فقلنا له: أمهلْنا نطلبه، فخرجوا مع الخيل في طلبه، فوجدوهما جالسَين في الجبَّانة ـ وكانا يريدان أن يخرجا إلى الجزيرة ـ فأتِيَ بهما عبدُ الله بنُ كامل، فقال: الحمد لله الَّذي كفى المؤمنين القتالَ، لو لم يجدوا هذا مع هذا عنَّانا إلى منزله في طلبه، فالحمد لله الَّذي حيّنك حتَّى أمكَن منك. فخرج بهما حتَّى إذا كان في موضع بئر الجعد ضربَ أعناقَهما، ثمّ رجع فأخبر المختارَ خبرَهما، فأمره أن يرجع إليهما فيحرقَهما بالنار، وقال: لا يُدفنان حتَّى يُحرَقا. فهذان رجلان، فقال أعشى همْدان[2] يرثي عثمانَ الجُهنيّ:

يا عَيْن بكَى فَتَى الفِتيانِ عُثمانَا لا يَبْعـدَنَّ الـفَتَـى مـن آلِ دُهْـمـانَـا
واذْكـرْ فتًى مـاجِـداً حُـلواً شَـمـائـلُـهُ مـا مِـثْـلُـهُ فـارسٌ فـي آلِ هَـمْـدَانَـا

(١) الطبري ٦/٥٨ ـ ٥٩.
(٢) اسمه عبد الرحمن بن عبد الله، وهمدان بالدال الساكنة من قبائل كهلان باليمن، وانظر المؤتلف والمختلف ١٢.

[خولي بن يزيد الأصبحي]

قال موسى بنُ عامر: وبعث معاذ بن هانىء بن عديّ الكنديّ، ابن أخي حُجْر، وبعث أبا عمرة صاحب حَرَسه، فساروا حتَّى أحاطوا بدار خَوْلِي بن يزيد الأصبحيّ وهو صاحبُ رأس الحسين الَّذِي جاء به، فاختبأ في مخرجه، فأمر معاذٌ أبا عَمْرَةَ أن يطلبَه في الدار، فخرجتْ امرأتهُ إليهم، فقالوا لها: أين زوجُكِ؟ فقالت: لا أدري أين هو ـ وأشارت بيدها إلى المخرج، فدخلوا فوجدوه قد وضع على رأسه قَوْصَرَّةً، فأخرجوه، وكان المختار يسير بالكوفة. ثمّ إنَّه أقبل في أثر أصحابِهِ وقد بعث أبو عَمرةَ إليه رسولاً، فاستقبل المختار الرسولَ عند دار بلال، ومعه ابنُ كامل، فأخبَرَه الخبر، فأقبل المختار نحوَهم، فاستقبل به، فردّده حتَّى قتله إلى جانب أهله، ثمّ دعا بنار فحرّقه بها، ثم لم يبرح حتَّى عاد رماداً، ثمّ انصرف عنه. وكانت امرأته من حَضْرَمَوْت يقال لها العَيُوف بنت مالك بن نَهار بن عَقْرَب، وكانت نصبتْ له العداوة حين جاءَ برأس الحسين[1].

[عمر بن سعد بن أبي وقاص وابنه حفص]

٧١ ـ **قال أبو مخنف**: وحدّثني موسى بن عامر أبو الأشعر أنّ المختار قال ذات يوم وهو يحدّث جلساءَه: لأقتلنّ غداً رجلاً عظيمَ القَدَمين، غائرَ العينين، مشرفَ الحاجبين، يسرّ مَقتلُه المؤمنين والملائكة المقرّبين. قال: وكان الهيثم بن الأسوَد النَّخعيّ عند المختار حين سمع هذه المقالة، فوقع في نفسه أنّ الَّذِي يريد عمر بن سعد بن أبي وقَّاص، فلمَّا رجع إلى منزله دعا ابنه العُريان فقال: إلقَ ابن سعد الليلةَ فخَبِّره بكذا وكذا، وقل له: خذ حِذْرَك، فإنَّه لا يريد غيرَك. قال: فأتاه فاستخلاه، ثمّ حدّثه الحديث. فقال له عمر بن سعد: جزى الله أباك والإخاءَ خيراً! كيف يريد هذا بي بعد الَّذِي أعطاني من العهود والمواثيق! وكان المختار أوَّل ما ظهر أحسنَ شيء سيرةً وتألّفاً للناس، وكان عبد الله بن جَعْدة بنِ هبيرة أكرمَ خَلْق الله على المختار لقرابته بعليّ، فكلَّم عمرُ بنُ سعد عبد الله بن جعدة وقال له: إني لا آمَن هذا الرجل ـ يعني المختار ـ فخُذْ لي منه أماناً،

---

(١) الطبري ٦/٥٩ ـ ٦٠، مقتل الخوارزمي ٢/٢١٩.

ففعل؛ قال: فأنا رأيتُ أمانَه وقرَأتُه وهو:

بسم الله الرحمن الرحيم. هذا أمانٌ من المختار بن أبي عبيد لعمرَ بنِ سعد بن أبي وقَّاص، إنَّك آمن بأمان الله على نفسك ومالِك وأهلِك وأهل بيتك وولدِك، لا تؤاخَذُ بحَدَث كانَ منك قديماً ما سمعتَ وأطعتَ ولزمتَ رَحْلك وأهلَك ومِصرَك، فمن لقيَ عمرَ بنَ سعد من شُرْطة الله وشيعةِ آل محمَّد ومن غيرهم من الناس، فلا يعرض له إلّا بخير. شهد السائبُ بن مالك وأحمرُ بن شميط وعبدُ الله بنُ شدّاد وعبدُ الله بنُ كامل. وجعلَ المختارُ على نفسه عهدَ الله وميثاقَه ليَفِيَنَّ لعمرَ بن سعد بما أعطاه من الأمان، إلّا أن يُحدِث حَدَثاً، وأشهَدَ اللَّهَ على نفسه، وكَفَى بالله شهيداً.

قال: فكان أبو جعفر محمَّد بن عليّ يقول: أمَّا أمانُ المختار لعمر بن سعد: إلاّ أن يُحدِث حَدَثاً، فإنه كان يريد به إذا دخل الخلاء فأحْدث.

قال: فلمَّا جاءه العُريان بهذا خرج من تحت ليلته حتَّى أتى حمَّامه، ثم قال في نفسه: أنزِل داري، فرجع فعبر الرَّوْحاءَ، ثمّ أتَى دارَه غُدوَةً، وقد أتى حمَّامَه، فأخبر مولًى له بما كان من أمانه وبما أريد به، فقال له مولاه: وأيّ حَدَث أعظمُ ممَّا صنعتَ! إنَّك تركت رَحلك وأهْلَك وأقبلتَ إلى ها هنا، ارجع إلى رحلك، لا تجعلن للرجل عليك سبيلاً. فرجع إلى منزله، وأتى المختارَ بانطلاقه، فقال: كلاّ إنّ في عنقه سلسلةً ستردّه، لو جَهَد أن ينطلق ما استطاع. قال: وأصبح المختارُ فبعث إليه أبا عمرةَ، وأمَرَه أن يأتيه به، فجاءه حتَّى دخل عليه فقال: أجِب الأميرَ، فقام عمر: فعثر في جُبَّة له، ويضربه أبو عَمْرة بسيفه، فقتله، وجاء برأسه في أسفل قَبائه حتَّى وضعَه بين يدَي المختار، فقا المختار لابنه حفص بن عمرَ بن سعد وهو جالس عنده: أتعرف هذا الرّأس؟ فاسترجع وقال: نعم، ولا خير في العيش بعدَه، قال له المختار: صدقت، فإنَّك لا تعيش بعده، فأمر به فقُتِل، وإذا رأسُه مع رأس أبيه. ثمّ إنّ المختار قال: هذا بحُسَين وهذا بعليّ بن حسين، ولا سَواء، واللَّهِ لو قتلتُ به ثلاثة أرباع قريش ما وَفَوا أنمُلةً من أنامله؛ فقالت حُميدَة بنت عمَر بنِ سعد تَبكِي أباها:

لـو كـان غـيـرُ أخـي قَـسِـيٍّ غـرَّهُ ... أو غـيـرُ ذي يَـمَـنٍ وغـيـرُ الأعْـجَـم
سَخَّى بنفسي ذاكَ شيْئاً فاعلمُوا ... عـنـه ومـا الـبَـطْـرِيـق مِـثْـلُ الألأَمِ

أعْطَى ابن سعدٍ في الصَّحيفة وابنَه   عـهـداً يـلـيـنُ لـه جَـنَـاحُ الأَرقـمِ

فلمَّا قَتل المختارُ عمرَ بن سعد وابنه بعث برأسَيْهما مع مسافر بن سعيد بن نِمْران الناعطيّ وظَبْيان بن عمارة التميميّ، حتَّى قَدِمَا بهما على محمَّد بن الحنفيَّة، وكتب إلى ابن الحنفيّة في ذلك بكتاب[1].

٧٢ ـ **قال أبو مخنف**: وحدثني موسى بن عامر، قال: إنَّما كان هيَّج المختار على قتل عمرَ بن سعد أنّ يزيدَ بن شراحيلَ الأنصاريّ أتى محمَّد بن الحنفيَّة، فسلَّم عليه؛ فجرى الحديثُ إلى أن تذاكروا المختارَ وخروجَه وما يدعو إليه من الطلب بدماء أهلِ البيت، فقال محمَّد بنُ الحنفيَّة: على أهون رسله يزعم أنَّه لنا شيعة، وقَتَلة الحسين جلساؤه على الكراسيّ يحدّثونه! قال: فوعاها الآخر منه، فلما قدم الكوفة أتاه فسلَّم عليه، فسأله المختار: هل لقيتَ المهديّ؟ فقال له: نعم، فقال: ما قال لك وما ذكَرَك؟ قال: فخبّره الخبر. قال: فما لبَّث المختارُ عمرَ بنَ سعد وابنه أن قَتَلهما، ثمّ بعث برأسيهما إلى ابن الحنفيّة مع الرسولين اللّذَين سمَّينا، وكتب معهما إلى ابن الحنفيَّة:

بسم الله الرّحمن الرّحيم. للمهديّ محمَّد بن عليّ من المختار بن أبي عُبَيد. سلام عليك يأيُّها المهديّ، فإني أحمَد إليك الله الّذِي لا إله إلا هو، أمَّا بعد: فإنَّ الله بَعثَني نِقمَةً على أعدائكم، فهم بين قتيل وأسير، وطريد وشريد. فالحمد لله الّذِي قتل قاتليكم، ونصر مؤازِرِيكم. وقد بعثتُ إليك برأس عمَر بن سعد وابنه، وقد قتلنا من شَرَكَ في دم الحسين وأهل بيته ـ رحمةُ الله عليهم ـ كلّ من قَدَرْنا عليه، ولن يُعجزِ الله من يقي، ولست بمُنْجم عنهم حتَّى لا يبلغني أنّ على أديم الأرضِ منهم أرمِيًّا[2]. فاكتب إليّ أيها المهديّ برأيك أتَّبعه وأكون عليه، والسلام عليك أيها المهديّ ورحمة الله وبركاته.

---

(١) الطبري ٦/ ٦٠ ـ ٦٢.

(٢) إرميا، أي أحداً، يقال: ما بالدار إرميا، أي أحد.

[حكيم بن طفيل الطائي]

ثمّ إنّ المختار بعث عبدَ الله بنَ كامل إلى حكيم بن طُفَيل الطائيّ السنْبِسِيّ ـ وقد كان أصاب صلب العبَّاس بن عليّ، ورَمَى حسيناً بسَهْم، فكان يقول: تعلَّق سهمي بسِرْباله وما ضرّه ـ فأتاه عبدُ الله بنُ كامل، فأخَذهُ ثمّ أقبل به، وذهب أهلُه فاستغاثُوا بعديّ بن حاتم، فلَحِقِهم في الطَّريق، فكلَّم عبد الله بن كامل فيه، فقال: ما إليّ من أمره شيء، إنَّما ذلك إلى الأمير المختار. قال: فإني آتيه؛ قال: فأتِهِ راشداً. فمضى عديّ نحوَ المختار، وكان المختار قد شفَّعه في نفر من قومه أصابهم يومَ جَبَّانة السَّبيع، لم يكونوا نَطَقوا بشيء من أمر الحسين ولا أهل بيته، فقالت الشيعة لابن كامل: إنَّا نخاف أن يشفِّع الأمير عديّ بن حاتم في هذا الخبيث، وله من الذنب ما قد علمت، فدعْنا نَقتُله. قال: شأنكم به، فلما انتهَوْا به إلى دار العَنَزِيِّين وهو مكتوف نَصَبوه غَرَضاً، ثم قالوا له: سلبتَ ابن عليّ ثيابَه، والله لنَسلبنّ ثيابَك وأنتَ حيّ تنظُر! فنزعوا ثيابَه، ثمّ قالوا له: رَمَيْتَ حسيناً، واتّخذته غَرَضاً لنَبْلك، وقلت: تعلّق سهمِي بسِرْبالِه ولم يضرّه، وايمُ الله لنرمينَّك كما رميته بنبال ما تعلَّق بك منها أجزاك. قال: فرَمَوْه رشْقاً واحداً، فوقعتْ به منهم نبالٌ كثيرة فخرّ ميّتاً[1].

٧٣ ـ **قال أبو مخنف**: فحدّثني أبو الجارود[2]، عمَّن رآه قتيلاً كأنَّه قُنفُذ لِمَا فيه من كثرة النَّبل: ودخل عديّ بن حاتم على المختار فأجلَسَه معه على مجلسه، فأخبره عديّ عمَّا جاء له، فقال له المختار: أتستحلّ يا أبا طَريف أن تَطلُب فيّ قَتلَة الحسين! قال: إنه مكذوب عليه أصلحك الله! قال: إذاً ندَعه لك قال: فلم يكن بأسرع من أن دخل ابن كامل فقال له المختار: ما فَعَل الرجل؟ قال: قتلتْه الشيعة: قال: وما أعجَلَك إلى قتله قبل أن تأتيَني به وهو لا يسرّه أنَّه لم يقتله ـ وهذا عديّ قد جاء فيه، وهو أهلٌ أن يُشفَّع ويؤتى ما سرّه! قال: غلبتْني واللَّهِ الشيعة، قال له عديّ: كذبتَ يا عدوَّ الله، ولكنْ ظننْتَ أنّ من هو خيرٌ منك سيشفّعني فِيه،

(١) الطبري ٦/ ٦٢ ـ ٦٣، مقتل الخوارزمي ٢/ ٢٢٠.

(٢) هو زياد بن زياد، الذي تسمى باسمه فرقة الجارودية.

فبادرتَني فقتلتَه، ولم يكن خطر يدفعك عمّا صنعت. قال: فاسحَنْفر[1] إليه ابن كامل بالشّتيمة، فوضع المختار إصبَعه على فيه، يأمر ابن كامل بالسكوت والكفّ عن عديّ، فقام عديّ راضياً عن المختار ساخطاً على ابن كامل، يشكوه عند من لقى من قومه.

[مرّة بن منقذ العبدي]

وبعث المختار إلى قاتل عليّ بن الحسين، عبدَ الله بن كامل، وهو رجلٌ من عبد القيس يقال له مُرّة بن مُنْقذ بن النعمان العبديّ وكان شجاعاً، فأتاه ابنُ كامل فأحاط بداره، فخرج إليهم وبيَدِه الرّمح، وهو على فرس جواد، فطعن عبيد الله بن ناجية الشِّباميّ، فصرَعَه ولم يضرّه. قال: ويضربه ابن كامل بالسيف فيتّقيه بيده اليسرى، فأسرع فيها السيف، وتمطّرت به الفرس[2]، فأفلت ولحق بمصعب، وشُلّت يده بعد ذلك.

[زيد بن رقاد]

وبعث المختارُ أيضاً عبدَ الله الشاكريّ إلى رجل من جَنْب يقال له زيدُ بن رُقاد، كان يقول: لقد رميتُ فتًى منهم بسهم وإنَّه لواضِع كفَّه على جبهته يتَّقى النبلَ فأثبتُّ كفَّه في جبهته، فما استطاع أن يزيل كفَّه عن جَبهته[3].

٧٤ ـ **قال أبو مخنف**: فحدّثني أبو عبد الأعلى الزُّبيديّ أنّ ذلك الفتى عبد الله بن مسلم بن عَقيل، وأنّه قال حيث أثبت كفَّه في جبهته: اللّهمَّ إنّهم استقلّونا واستذلّونا، اللّهمّ فاقتلهم كما قَتَلونا، وأذلَّهم كما استذلّونا. ثمّ إنّه رمى الغلامَ بسهَم آخَرَ فقَتلَه، فكان يقول: جئتُه ميّتاً فنزعتُ سهمي الّذِي قتلتُه به من جَوْفه، فلم أزَل أُنضِنِض السَّهم[4] من

---

(١) في اللسان يقال: اسحنفر الرجل في خطبته: إذا مضى واتسع في كلامه.

(٢) في مقتل الخوارزمي ٢/ ٢٣٥: «إن ابن كامل قال لأصحابه: لا تضربوه بسيف ولا تطعنوه برمح، ولكن ارشقوه بالسهام كما رمى ابن عم رسول الله، فرشقوه حتى سقط، فأمر عبد الله بنار فأحرقوه بها وهو حي».

(٣) الطبري ٦/ ٦٣ ـ ٦٤.

(٤) نضنض السهم: إذا حركه.

جبهته حتَّى نَزْعته، وبقَي النَّصل في جبهته مُثبتَاً ما قدرتُ على نزعه.

قال: فلمَّا أتى ابن كامل دارَه أحاط بها، واقتحم الرجالُ عليه، فخرج مصلتاً بسيفه ـ وكان شجاعاً ـ فقال ابن كامل: لا تضربوه بسيف، ولا تَطعنَوه برمح. ولكن ارموه بالنبل، وارجموه بالحجارة، ففعلوا ذلك به، فسقط، فقال ابن كامل: إن كان به رَمَق فأخرِجوه، فأخرَجوه وبه رَمَق، فدعا بنار فحرّقه بها وهو حيّ لم تخرج رُوحُه[1].

[سنان بن أنس]

وطلب المختار سنان بن أنس الَّذِي كان يدّعي قَتْلَ الحسين، فَوَجده قد هَرَب إلى البَصرة، فهدّم داره.

[عبد الله بن عقبة الغنوي]

وطلب المختارُ عبدَ الله بن عُقْبة الغَنَويّ فوجده قد هَرَب، ولحق بالجزيرة، فهدم داره، وكان ذلك الغَنَويّ قد قتل منهمْ غلاماً.

[حرملة بن كاهل الأسدي]

وقتل رجلٌ آخرُ من بني أسد يقال له حَرْملة بن كاهل رجلاً من آل الحسين، ففيهما يقول ابن أبي عَقِب اللَّيثيّ:

وعِنـدَ غَـنِـيٍّ قـطْـرَةٌ مـن دِمـائـنـا ... وفـي أَسَـدٍ أُخـرَى تُـعَـدُّ وتُـذكَـرُ

[عبد الله بن عروة الخثعمي]

وطلب رجلاً من خَثْعَم يقال له عبد الله بن عروة الخثعميّ ـ كان يقول: رميت فيهم باثنَي عشر سهماً ضَيْعَةً ـ ففاته ولَحِق بمصعب، فَهَدّم دارَه.

[عمرو بن صبيح]

وطلب رجلاً من صُداء يقال له عَمْرو بن صُبَيح، وكان يقول: لقد

---

(١) الطبري ٦/ ٦٤ ـ ٦٥، مقتل الخوارزمي ٢/ ٢٣٥.

طعنتُ بعضَهُم وجرحتُ فيهم وما قتلت منهمْ أحداً، فأتِيَ ليلاً وهو على سَطْحه وهو لا يشعر بعد ما هدأت العيون، وسيفُه تحت رأسه، فأخذوه أخْذاً، وأخذوا سيفَه، فقال: قبحك الله سيفاً، ما أقرَبك وأبعَدَك! فجيء به إلى المختار، فحَبَسه معه في القصر، فلمَّا أن أصبح أذِنَ لأصحابه، وقيل: لِيدخلْ من شاء أن يَدخُل، ودخل الناس، وجيء به مقيَّداً، فقال: أما واللَّهِ يا معشر الكَفَرة الفَجَرة أن لو بِيَدِي سيفي لَعلمتم أني بنصل السيف غير رَعِش ولا رِعْديد، ما يسرّني إذا كانت منيّتي قَتْلاً أنَّه قتلني من الخلق أحد غيركم. لقد علمتُ أنَّكم شرار خلقِ الله، غيرَ أني وددتُ أنّ بيدي سيفاً أضرب به فيكم ساعة، ثمّ رفع يدَه فلطم عينَ ابن كامل وهو إلى جنبه، فضحك ابن كامل، ثمّ أخذ بيده وأمسكها، ثم قال: إنَّه يزعم أنَّه قد جرح في آل محمد وطعن، فَمُرْنا بأمرك فيه، فقال المختار: عليّ بالرماح، فأتِيَ بها، فقال: اطعَنوه حتَّى يموت، فطُعِن بالرماح حتَّى مات[1].

[بنو أبي زرعة بن مسعود الثقفي]

٧٥ ـ **قال أبو مخنف**: حدّثني هشام بنُ عبد الرّحمن وابنه الحكَم بنُ هشام أنّ أصحاب المختار مرّوا بدار بني أبي زُرعة بن مسعود، فرَموهم من فوقها، فأقبلوا حتَّى دخلوا الدارَ، فقتلوا الهبياط بن عثمان بن أبي زُرعة الثقفيّ وعبد الرحمن بن عثمان بن أبي زرعة الثَّقَفيّ، وأفلتَهم عبدُ المالك بن أبي زرعة بضربة في رأسه فجاء يشتد حتى دخل على المختار فأمر إمراته أم ثابت ابنة سَمُرة بن جُندَب، فداوتْ شجَّته، ثمّ دعاه، فقال: لا ذنب لي، إنَّكم رميتم القوم فأغضَبْتموهم.

[هرب محمد بن الأشعث]

وكان محمَّد بنُ الأشعث بن قيس في قرية الأشعث إلى جنب القادسيَّة، فبعث المختار إليه حَوْشباً سادِنَ الكرسيّ في مائة، فقال: انطلق إليه فإنَّك تجده لاهياً متصيّداً، أو قائماً متلبّداً، أو خائفاً متلدّداً، أو كامناً متغمّداً، فإن قدرت عليه فأتِني برأسه. فخرج حتَّى أتى قصرَه فأحاط به

(١) الطبري ٦/ ٦٥ ـ ٦٦.

وخرج منه محمَّد بن الأشعث فلحق بمصعب، وأقاموا على القصر وهم يَرَوْن أنَّه فيه، ثم دخلوا فعَلِموا أنَّ قد فاتَهم، فانصرفوا إلى المختار، فبعث إلى داره فهدمها، وبنى بلَبنِها وطِينِها دارَ حُجْر بن عديّ الكِنْديّ، وكان زيادُ بن سُمَيَّة قد هَدَمها[1].

٧٦ ـ **[قال أبو مخنف]**: . . . كتب حوشب إلى المختار بذلك، فكتب إليه المختار: إنك قد ضيّعت الحزم والفرصة، ولم تأخذ بالوثيق، فإذا فاتك الرجل فاهدم قصره وبيته، وخرِّب قريته، وإتني بأمواله جميعاً. ففعل ذلك كله، وبلغ محمد البصرة فقال له مصعب: ما وراءك يابن الأشعث؟ قال: ورائي الترك والديلم، هذا المختار قد غلب على الأرض جميعاً، وهو يقتل الناس كيف شاء، وقد قتل والله إلى ساعته هذه ممن يتهم بقتل الحسين بن علي أكثر من ثلاثة آلاف رجل من فرسان العرب وشجعانهم وساداتهم وكبرائهم، وقد أراد قتلي فهربت إليك خوفاً منه، فهذا ما ورائي[2].

[مسكين بن عامر بن أَنْيَف]

٧٧ ـ **وقال هشام بنُ محمَّد عن أبي مخنف، قال**: حدّثني مَنيع بن العلاء السعديّ أنّ مسكين بنَ عامر بن أنْيَف بن شُرَيح بن عَمرو بن عدس كان فيمن قَاتَل المختار، فلمَّا هزم الناس لحق بآذرْبيجان بمحمَّد بن عمير بن عطارد، وقال:

عجِبَتْ دَخْتنُوس لمّا رأتْني ... قد عَلَاني مِنَ المَشِيبِ خِمارُ
فأَهلَّتْ بصوتِها وأَرَنَّتْ ... لا تهالى قد شاب منِّى العِذَارُ
إن تَرَيْنِي قد بانَ غَربُ شبابِي ... وأتى دونَ مولدي أعصَارُ
فابنُ عامَيْن وابن خمسين عاماً ... أيّ دهر إلاَّ له أدهارُ!
ليت سيْفي لها وجَوْبَتَها لي ... يومَ قالت ألا كريم يَغارُ!
ليْتنَا قبلَ ذلك اليوم مِتْنَا ... أو فعلْنا ما تفعلُ الأحرارُ
فعلَ قوم تَقَاذف الخيرُ عنهمْ ... لم نُقاتلْ وقاتَلَ العَيْزَار

---

(١) الطبري ٦/ ٦٥ ـ ٦٦.

(٢) مقتل الخوارزمي ٢/ ٢٢٤ ـ ٢٢٥.

وتـولَّـيـتُ عــنـهُـمُ وأُصـيـبـوا ... ونَـفَـانـي عــنـهـمْ شَـنَـارٌ وعـارُ
لَـهْفَ نَفسِي على شِهَابِ قُرَيشٍ ... يـومَ يُـؤْتَـى بـرأسـه الـمـخـتـارُ!

وقال المتوكِّلُ الليثي:

قـتـلـوا حُـسَـينـاً ثـم هـمْ ينعـوْنَـه ... إنَّ الـزمـانَ بـأهـلـه أطْـوارُ
لَا تَبْعَدنْ بالطَّفِّ قَتْلَى ضُيِّعَتْ ... وسقَى مسَاكِن هامِهَا الأمطار
مـا شُرْطَـة الـدّجّالِ تـحـتَ لـوائِـه ... بـأَضَـلَّ مِـمَّـنْ غـرَّهُ الـمـخـتـارُ
أبـنـي قَـسـي أوثِـقُـوا دجَّـالَـكـم ... يـجْـلَ الـغُـبـارُ وأنـتـمُ أحـرارُ
لـو كـان عـلـم الغيب عند أخيكمُ ... لـتَـوطَّـأَتْ لـكُـمُ بـه الأحـبـارُ
ولـكـان أمـراً بـيِّـنـاً فـيـمـا مـضَـى ... تـأتـى بـه الأنـبـاءُ والأخـبـارُ
إنِّـي لأرجـو أن يُـكَـذِّبَ وحْـيَـكـمْ ... طـعـنٌ يَـشُـقُّ عـصـاكُـمُ وحِـصَـارُ
ويـجـيـئـكـم قـومٌ كـأَنَّ سُـيُـوفَـهُـمْ ... بـأكـفِّـهِـمْ تـحـتَ الـعَـجـاجـة نـارُ
لا يَـنْـثَـنـونَ إذا هُـمُ لَاقَـوْكُـمُ ... إلاَّ وَهَـامُ كُـمَـاتِـكـم أعـشـارُ[1]



[ذكر الخبر عن بعث المختار جيشه للمكر بابن الزّبير]

٧٨ ـ **قال هشام بن محمَّد: قال أبو مخنف**: حدّثني موسى بن عامر، قال: لمَّا أخرج المختارُ ابنَ مطيع من الكوفة لَحِقَ بالبَصرة. وكره أن يقدم ابن الزبير بمكَّة وهو مهزوم مفلول، فكان بالبَصْرة مقيماً حتَّى قدم عليه عمرُ بنُ عبد الرحمن ابن هشام، فصارا جميعاً بالبصرة. وكان سبب قدوم عمرَ البصرة أنّ المختار حين ظهر بالكوفة واستجمع له الأمر وهو عند الشِّيعة إنَّما يدعو إلى ابن الحنفيَّة والطلب بدماء أهل البيت، أخذ يخادع ابنَ الزبير ويكتب إليه، فكتب إليه:

أمَّا بعد، فقد عرفتَ مُناصَحتي إيَّاك وجَهدي على أهل عَداوتَكِ، وما كنتَ أعطيتَني إذا أنا فعلتُ ذلك من نفسك فلمَّا وفيتُ لك، وقضيتُ الَّذي كان لكَ عليّ، خِسْتَ بي، ولم تَف بما عاهَدْتني عليه، ورأيت منّي ما قد رأيت، فإن تُرد مراجعتي أراجعك، وإن تُرد مُناصَحتي أنصح لك. وهو

---

(١) الطبري ٦/ ٧٠ ـ ٧١.

يريد بذلك كفَّه عنه، حتَّى يَستجمِع له الأمر. وهو لا يُطْلع الشَّيعة على شيء من هذا الأمر، وإذا بلغهم شيء منه أراهم أنَّه أبعد الناس عن ذلك. قال: فأراد ابن الزبير أن يَعلم أسلِمْ هو أم حرب! فدعا عمر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزوميّ فقال له: تجهَّزْ إلى الكوفة فقد ولَّيْناكَها، فقال: كيف وبها المختار! قال: إنّه يزعم أنَّه سامع مطيع. قال: فتجهَّزَ بما بين الثلاثين الألف درْهم إلى الأربعين ألفاً، ثمّ خرج مقبلاً إلى الكوفة. قال: ويجيء عينُ المختار من مكَّة حتَّى أخبره الخبر، فقال له: بكم تجهّز؟ قال: بما بين الثلاثين ألفاً إلى الأربعين ألفاً. فدعا المختارُ زائدةَ بنَ قدامة وقال له: احمِل معك سبعين ألفَ درهم ضِعفَ ما أنفَق هذا في مسيره إلينا وتلقّه في المَفاوِز، واخرج معك مسافر بن سعيد بن نِمْران الناعطيّ في خمسمائة فارس دارع رامح، عليهم البَيْض، ثمَّ قل له: خذ هذه النَّفقة فإنَّها ضِعف نَفقتَك، فإنَّه قدْ بلغنا أنَّك تجهَّزتَ وتكلَّفت قدرَ ذلك، فكَرِهنا أن تغرم، فخذها وانصرف، فإن فعل وإلّا فأره الخيل وقل له: إنّ وراء هؤلاء مثلهم مائة كتيبة. قال: فأخذ زائدة المال، وأخرج معه الخيل، وتلقَّاه بالمَفاوز، وعرض عليه المال، وأمَرَه بالانصراف، فقال له: إنّ أمير المؤمنين قد ولاّني الكوفة ولا بدّ من إنفاذ أمره. فدعا زائدةُ بالخيل وقد أكمنها في جانب، فلمَّا رآها قد أقبلتْ قال: هذا الآن أعذَرُ لي وأجمَلُ بي، هاتِ المالَ، فقال له زائدة: أمَّا إنَّه لم يبعث به إليك إلاّ لما بينك وبينه، فدفعه إليه فأخذه، ثمّ مضى راجعاً نحوَ البصرة، فاجتمع بها هو وابنُ مطيع في إمارة الحارث بنِ عبدِ الله بنِ أبي ربيعة، وذلك قبلَ وثوب المثنَّى بن مخرِّبة العبديّ بالبَصرة[١].

٧٩ ـ **قال أبو مخنف**: فحدّثني إسماعيل بن نُعيم أنّ المختار أخبِر أنّ أهل الشام قد أقبَلوا نحو العراق، فعرَف أنه به يُبْدَأ، فخشي أن يأتيَه أهلُ الشام من قِبل المغرب، ويأتيَه مصعب بن الزبير من قِبَل البَصرَة، فوادَعَ ابنَ الزبير وداراه وكايده؛ وكان عبدُ الملك بنُ مروانَ قد بعث عبد الملك بن الحارث بن الحَكَم بن أبي العاص إلى وادي القرى، والمختار لابن الزبير

(١) الطبري ٦/ ٧١ ـ ٧٢.

مكايدُ موادع، فكتب المختار إلى ابن الزبير:

أمَّا بعد، فقد بلغني أنّ عبد الملك بن مروانَ قد بعث إليك جيشاً، فإن أحببتَ أن أمدّك بمدَدَ أمددتُك.

فكتب إليه عبدُ الله بنُ الزبير:

أما بعد، فإن كنتَ على طاعتي فلستُ أكره أن تبعث الجيشَ إلى بلادي وتبايعَ لي الناس قِبلك، فإذا أتتْني بيعتُك صدَقتُ مقالتُكَ، وكففتُ جنودي عن بلادك، وعَجِّل عليّ بِتسريح الجيش الَّذي أنت باعثه، ومُرهم فليسيروا إلى مَنْ بوادي القرى من جُنْد ابن مروانَ فليقاتلوهم. والسلام.

فدعا المختارُ شُرحبيلَ بن وَرْس من هَمدانَ، فسرّحه في ثلاثةِ آلاف أكثرهم الموالي، ليس فيهم من العرب إلاّ سبعمائة رجل، فقال له: سرْ حتَّى تدخلَ المدينة، فإذا دخلتَها فاكتب إليّ بذلك حتَّى يأتيَك أمري؛ وهو يريد إذا دخلوا المدينة أن يبعث عليهم أميراً من قبَله، ويأمرَ ابنَ ورس أن يمضيَ إلى مكَّة حتَّى يحاصرَ ابنَ الزبير ويقاتلَه بمكَّة، فخرج الآخر يسير قِبَل المدينة، وخشي ابن الزبير أن يكون المختار إنما يكيده؛ فبعث من مكّة إلى المدينة عباس بن سَهْل بن سعد في ألفين، وأمَرَه أن يستنفرَ الأعراب، وقال له ابنُ الزبير: إنْ رأيتَ القومَ في طاعتي فاقبل منهم، وإلاّ فكايِدْهم حتَّى تُهلِكَهم. ففعلوا، وأقبَل عبَّاس بن سهل حتَّى لقى ابن ورس بالرقيم، وقد عبَّى ابن ورس أصحابَه، فجعل على ميمنته سَلمانَ بن حِميَر الثَّوريّ من هَمْدان، وعلى مَيْسرته عيَّاش بن جَعْدة الجُدَليّ، وكانت خيلُه كلها في الميمنة والميسرة، فدنا فسلَّم عليه، ونزل هو يمشي في الرّجّالة، وجاء عباس في أصحابه وهم منقطعون على غير تعبية، فيجد ابن ورس على الماء قد عبّى أصحابه تعبية القتال، فدنا منهم فسلَّم عليهم، ثم قال: اخلُ معي ها هنا، فَخلَا به، فقال له: رحمك الله! ألستَ في طاعة ابن الزبير! فقال له ابن ورس: بلى، قال: فسرْ بنا إلى عدوّه هذا الَّذِي بوادي القرى، فإنّ ابن الزبير حدّثني أنَّه إنَّما أشخصكم صاحبكم إليهم، قال ابن ورس: ما أمِرت بطاعتك، إنما أمِرت أن أسير حتى آتي المدينة، فإذا نزلتها رأيت رأيي. قال له عبَّاس بن سهل: فإن كنت في طاعة ابن الزبير فقد أمرني أن أسيرَ بك وبأصحابك إلى عدوِّنا الَّذِين بوادي القرى، فقال له ابن ورْس:

ما أمِرتُ بطاعتك: وما أنا بمتَّبعك دون أن أدخل المدينة، ثمّ أكتب إلى صاحبي فيأمرني بأمره. فلمَّا رأى عبَّاس بن سهل لَجاجَتَه عرف خلافَه، فكَرِه أن يُعلمه أنَّه قد فطن له، فقال: فرأيك أفضل، اعملْ بما بدا لك؛ فأمَّا أنا فإني سائر إلى وادي القرى. ثم جاء عبَّاس بن سهل فنزل بالماء، وبعث إلى ابنَ ورْس بجزائر كانت معه، فأهداها له، وبعث إليه بدقيق وغنم مسلَّخة ـ وكان ابن ورس وأصحابه قد هلكوا جوعاً ـ فبعث عبَّاس بن سهل إلى كلّ عشرة منهم شاة، فذبحوها، واشتغلوا بها، واختلطوا على الماء، وترك القومُ تعبيتهم، وأمِن بعضُهم بعضاً؛ فلمَّا رأى عبَّاس بن سهِل ما هم فيه من الشغل جَمَع من أصحابه نحواً من ألفِ رجل من ذوي البأس والنَّجدة ثمّ أقبل نحو فسطاط شُرَحبيل بن وَرْس، فلمَّا رآهم ابنُ وَرْس مُقْبلين إليه نادى في أصحابه، فلم يَتوافَ إليه مائةُ رجل حتَّى انتهى إليه عبَّاس بن سهل وهو يقول: يا شُرْطةَ الله، إليّ إليّ! قاتلوا المُحِلِّين، أولياءَ الشيطان الرجيم، فإنَّكم على الحقّ والهدى؛ قد غَدَروا وفجروا[1].

٨٠ ـ **قال أبو مخنف**: فحدّثني أبو يوسف أنّ عبَّاساً انتهى إليهم، وهو يقول:

أنَا ابنُ سهلٍ فارسٌ غيرُ وَكَلْ ... أرْوَعُ مِقْدَام إذا الكبشُ نَكَلْ
وأعْتَلي رأسَ الطِّرمَّاح البطَلْ ... بالسّيف يومَ الرَّوْع حَتَّى يُنْخزَلْ

قال: فوالله ما اقتتلنا إلاّ شيئاً ليس بشيء حتَّى قُتل ابن ورس في سبعين من أهل الحِفاظ، ورفَعَ عبَّاسُ بن سهل رايةَ أمان لأصحاب ابن ورس، فأتَوْها إلاَّ نحواً من ثلثمائة رجل انصرفوا مع سَلمانَ بنِ حِمير الهمدانيّ وعياش بن جَعْدة الجدليّ، فلمَّا وقعوا في يد عبَّاس بن سهل أمر بهم فقُتِلوا إلاّ نحواً من مائتي رجل، كره ناس من النَّاس ممَّن دُفِعُوا إليهم قتلَهم، فخلَّوا سبيلهم، فرجعوا، فمات أكثرُهم في الطريق، فلمَّا بلغ المختار أمرُهُم، ورجع مَن رجع منهم، قام خطيباً فقال: ألا إنّ الفُجَّار الأشرار، قَتَلوا الأبرار الأخيار. ألا إنَّه كان أمراً مأتِيًّا، وقضاءً مقضيًّا. وكتب المختار إلى ابن الحنفيَّة مع صالح بن مسعود الخَثْعَميّ:

---

(١) الطبري ٦/ ٧٢ ـ ٧٤.

بسم الله الرحمن الرحيم. أمَّا بعد، فإني كنت بعثتُ إليك جنداً ليُذلّوا لك الأعداء، وليحوزُوا لك البلاد، فساروا إليك حتَّى إذا أظلُّوا على طَيْبَة، لقيهم جندُ المُلحِد، فخدعوهم بالله، وغرّوهم بعهد الله، فلمَّا اطمأنّوا إليهم، ووَثِقوا بذلك منهم، وثبوا عَليهم فقتلوهم، فإن رأيتَ أن أبعثَ إلى أهل المدينة مِنْ قبَلي جيشاً كثيفاً، وتَبعثَ إليهم من قِبَلك رُسُلاً؛ حتَّى يعلم أهلُ المدينة أني في طاعتك، وإنما بعثت الجند إليهم عن أمرك، فافعل، فإنَّك ستجد عظمهم بحقّكم أعرَف، وبكم أهل البيت أرأف منهم بآل الزبير الظّلمة الملحدين، والسلام عليك.

فكتب إليه ابنُ الحنفيَّة:

أمَّا بعد، فإنّ كتابك لمَّا بلغني قرأتُه، وفهمتُ تعظِيمَك لحقّي، وما تنوي به من سروري. وإنّ أحبَّ الأمور كلِّها إليّ ما أطيع اللَّهَ فيه، فأطع الله ما استطعتَ فيما أعلنتَ وأسررت، وأعلم أني لو أردت لوجدتُ الناسَ إليّ سراعاً، والأعوانَ لي كثيراً، ولكني أعتزِلهم، وأصبر حتَّى يَحكم الله لي وهو خير الحاكمين.

فأقبل صالح بن مسعود إلى ابن الحنفيَّة فودّعه وسلَّم عليه، وأعطاه الكتاب وقال له: قل للمختار فليتَّقِ الله، وليكفُفْ عن الدّماء، قال: فقلت له: أصلَحك الله! أوَ لم تكتبْ بهذا إليه! قال له ابن الحنفيَّة: قد أمرتُه بطاعة الله، وطاعةُ الله تَجمَع الخيرَ كلَّه، وتَنهىَ عن الشرّ كلّه. فلمَّا قَدِم كتابُه على المختار أظهر للناس أني قد أمِرتُ بأمر يجمع البرّ واليسر، ويَضْرح الكُفْر والغَدْر[1].

[ذكر الخبر عن قدوم الخشبية مكة وموافاتهم الحج]

٨١ ـ **ذكر هشام، عن أبي مخنف وعلي بن محمد**، عن مَسْلمة بن محارب ـ أنّ عبد الله بن الزبير حبس محمَّد بن الحنفيَّة ومَن معه من أهل بيته وسبعةَ عشرَ رجلاً من وجوه أهل الكوفة بزمزَم، وكرِهوا البَيْعة لمن لم تجتمع عليه الأمَّة، وهربوا إلى الحَرم، وتوعَّدهم بالقَتْل والإحراق، وأعطى

---

(١) الطبري ٦/ ٧٤ ـ ٧٥.

اللَّهَ عهداً إن لم يبايعوا أن يُنفذ فيهم ما توعَّدهم به، وضرب لهم في ذلك أجَلاً، فأشار بعضُ من كان مع ابن الحنفيَّة عليه أن يبعث إلى المختار وإلى مَنْ بالكوفة رسولاً يعْلمهم حالَهم وحال من معهم، وما توعَّدهم به ابن الزبيرُ. فوجَّه ثلاثة نفر من أهل الكوفة حين نام الحرس على باب زمزم، وكتب معهم إلى المختار وأهل الكوفة يُعلِمهم حالَه وحالَ من معه، وما توعدهم به ابن الزبير من القتل والتحريق بالنار، ويسألهم ألاّ يخذلوه كما خذلوا الحسين وأهل بَيْته. فقَدِموا على المختار، فدَفَعوا إليه الكتَاب فنادى في الناس وقرأ عليهم الكتاب وقال: هذا كتاب مهدّيكم وصريحُ أهلِ بيت نبيِّكم، وقد تُركوا محظوراً عليهم كما يُحظر على الغنم ينتظرون القتلَ والتحريق بالنار في آناء اللَّيل وتارات النهار، ولستُ أبا إسحاق إن لم أنصرهم نصراً مؤزَّراً، وإن لم أسرِّب إليهم الخيل في أثر الخيل، كالسَّيل يتلُوه السيل، حتَّى يَحُلّ بابن الكاهليَّة الوَيْل.

ووجَّه أبا عبد الله الجدليّ في سبعين راكباً من أهل القوّة، ووجَّه ظَبْيان بن عمارة أخا بني تميم ومعه أربعمائة، وأبا المعتمر في مائة، وهانىء بن قيس في مائة، وعُمَير بن طارق في أربعين، ويونسَ بنَ عمران في أربعين، وكتب إلى محمد بن عليّ مع الطُّفَيل بن عامر ومحمَّد بن قيس بتوجيه الجنود إليه، فخرج الناسُ بعضُهم في أثر بعض، وجاء أبو عبد الله حتَّى نزل ذاتَ عِرْق في سبعين راكباً، ثمّ لحقه عمير بن طارق في أربعين راكباً، ويونس بن عمران في أربعين راكباً، فتمّوا خمسين ومائة، فسار بهم حتَّى دخلوا المسجد الحرام، ومعهم الكافركوبات، وهم ينادُون: يا لَثارات الحسين! حتَّى انتهَوا إلى زمزم، وقد أعدّ ابنُ الزبير الحَطَب ليحرْقهم، وكان قد بقي من الأجل يومان، فطردوا الحَرَس، وكسروا أعوادَ زمزم، ودخلوا على ابن الحنفيَّة، فقالوا له: خَلّ بيننا وبين عدوّ الله ابن الزبير، فقال لهم: إني لا أستحلّ القتال في حرم الله فقال ابن الزبير: أتحسبون أني مُخَلٍّ سبيلَهم دون أن يبايع ويبايعوا! فقال أبو عبد الله الجدَليّ: إي وَرَبِّ الرُّكْن والمقام، وربّ الحِلّ والحرام، لتخلّينّ سبيلَه أو لنجالدنَّك بأسيافنا جِلاداً يرتاب منه المُبطِلون. فقال ابن الزبير: والله ما هؤلاء إلاّ أكلَة رأس، والله لو أذنت لأصحابي ما مضتْ ساعة حتَّى تُقطَف رؤوسهم؛

فقال له قيس بن مالك: أما والله إني لأرجو إن رمت ذلك أن يُوصَل إليك قبل أن ترى فينا ما تحبّ. فكفّ ابن الحنفيَّة أصحابَه وحذّرهم الفتنة، ثمّ قدم أبو المعتمر في مائة، وهانىء بن قيس في مائة، وظَبيان بن عُمارة في مائتين، ومعه المال حتّى دخلوا المسجد، فكبَّروا: يا لَثارات الحسين! فلمَّا رآهم ابن الزبير خافَهم، فخرج محمَّد بن الحنفيَّة ومَن معه إلى شِعب عليّ وهم يسبّون ابنَ الزبير، ويستأذِنون ابنَ الحنفيَّة فيه، فيأبى عليهم، فاجتمع مع محمَّد بن عليّ في الشعب أربعة آلاف رجل، فقسم بينهم ذلك المال[1].

[شخوص إبراهيم بن الأشتر لحرب عبيد الله بن زياد]

٨٢ ـ **قال هشام بن محمَّد: حدّثني أبو مخنف، قال**: حدّثني النَّضر بن صالح ـ وكان قد أدرك ذلك ـ قال: حدّثني فُضَيل بن خَدِيج ـ وكان قد شهد ذلك ـ وغيرهما، قالوا: ما هو إلاّ أن فرغ المختار من أهل السَّبيع وأهل الكُناسة، فما نزل إبراهيم بن الأشتر إلاّ يومين حتَّى أشخصه إلى الوجه الذي كان وجَّهه له لقتال أهل الشام، فخرج يوم السبت لثمان بقِين من ذي الحجَّة سنة ستٍّ وستين، وأخرج المختارُ معه من وجوه أصحابه وفرْسانهم وذوي البصائر منهم: مِمَّن قد شهد الحرب وجرّبها، وخرج معه قيس بن طَهْفة النَّهديّ على ربع أهل المدينة، وأمَّر عبد الله بن حيَّة الأسديّ على ربع مَذْحِج وأسَد، وبعث الأسوَد بن جراد الكِنْديّ على رُبْع كندة وربيعة، وبعث حبيب بن منقذ الثَّوريّ من هَمْدانَ على ربع تميم وهَمْدان، وخرج معه المختار يشيِّعه حتَّى إذا بلغ ديرَ عبد الرحمن بن أمّ الحَكَم، إذا أصحاب المختار قد استقبلوه، قد حملوا الكرسيّ على بغل أشهب كانوا يَحمِلونه عليه، فوقفوا به على القنطرة، وصاحب أمر الكرسي حَوْشب البرسميّ، وهو يقول: يا ربّ عمِّرنا في طاعتك، وانصرنا على الأعداء، واذكرنا ولا تَنْسنَا واسترنا، قال: وأصحابه يقولون: آمين آمين؛ قال فُضَيل: فأنا سمعتُ ابن نَوف الهَمْدَانيّ يقول: قال المختار:

---

(١) الطبري ٦/ ٧٥ ـ ٧٧.

أَمَــا وَرَبِّ الــمُـــرْسَــلَاتِ عُـــرْفَــا لــنــقــتُــلَــنَّ بــعــدَ صَــفٍّ صَــفَّــا
وبـــعـــد ألـــفٍ قـــاسِـــطِـــيـــن ألـــفَـــا

قال: فلمَّا انتهى إليهم المختار وابنُ الأشتر ازدحموا ازدحاماً شديداً على القنطرة، ومضى المختار مع إبراهيمَ إلى قناطر رأس الجالوت ـ وهي إلى جنب دَيْر عبد الرحمن ـ فإذا أصحاب الكرسيّ قد وقفوا على قناطر رأسِ الجالوت يَستنصِرون، فلمَّا صار المختار بين قنطرة دَيْرِ عبد الرحمن وقناطر رأس الجالوت وقف، وذلك حين أراد أن ينصرف، فقال لابن الأشتر: خذ عنّي ثلاثاً: خَفِ الله في سرّ أمرِك وعلانيتِه، وعجّل السير، وإذا لقيتَ عدوّك فناجزهم ساعةَ تلقاهُم، وإن لقيتَهم ليلاً فاستطعت ألاّ تُصبح حتَّى تناجِزَهم، وإن لقيتَهم نهاراً فلا تنتظر بهم الليل حتَّى تحاكمُهم إلى الله. ثم قال: هل حفِظتَ ما أوصيتك بِه؟ قال: نعم، قال: صحبك الله؛ ثم انصرف. وكان موضع عسكر إبراهيم بموضع حمَّام أعيَنَ، ومنه شخص بعسكره(١).

[ذكر أمر الكرسيّ الذي كان المختار يستنصر به!]

٨٣ ـ **قال أبو مخنف**: فحدّثني فُضيل بن خَدِيج قال: لمَّا انصرف المختار مضى إبراهيم ومعه أصحابه حتَّى انتهى إلى أصحاب الكُرْسيّ وقد عَكَفوا حوله وهم رافعو أيديهم إلى السَّماء يستنصِرون، فقال إبراهيم: اللَّهمّ لا تؤاخذنا بما فعل السُّفهاء ـ سنّةَ بني إسرائيل، والَّذِي نفسي بيَده إذ عكفوا على عِجْلهم ـ فلمَّا جاز القنطرة إبراهيمُ وأصحابهُ انصرف أصحاب الكرسيّ(٢).

٨٤ ـ **عن هشام بن محمد، عن أبي مخنف، قال**: حدّثنا هشام بن عبد الرحمن وابنه الحَكَم بن هشام، أنّ المختار قال لآل جعدة بن هُبَيرة بن أبي وهب المخزوميّ ـ وكانت أمّ جعدة أمّ هانىء بنت أبي طالب أخت عليّ بن أبي طالب عليه السلام لأبيه وأمَّه: ائتوني بكرسيّ عليّ بن أبي طالب؛ فقالوا: لا والله ما هو عندنا، وما ندري مِنْ أين نجيء به! قال: لا تكونُنّ

---

(١) الطبري ٦/ ٨١ ـ ٨٢.
(٢) ن.م ٦/ ٨٢.

حَمقى، اذهبوا فأتوني به، قال: فظنّ القوم عند ذلك أنَّهم لا يأتون بكرسيّ، فيقولون: هو هذا إلاّ قَبِله منهم، فجاءوا بكرسيّ فقالوا: هو هذا فقبِله: قال: فخرجتْ شبامٌ وشاكر ورؤوس أصحاب المختار وقد عَصّبُوه بالحرير والدِّيباج[1].

٨٥ ـ **قال أبو مخنف**: عن موسى بن عامر أبي الأشعر الجُهَنيّ: إنّ الكرسيّ لمَّا بلغ ابن الزبير أمْرُه قال: أين بعض جُنَادِبة الأزْد عنه!

قال أبو الأشعر: لمَّا جيء بالكرسيّ كان أوّل من سَدَنَه موسى بن أبي موسى الأشعريّ: وكان يأتي المختار أوّل ما جاء ويحفّ به، لأنّ أمَّه أمّ كلثوم بنت الفضل بن العبَّاس بن عبد المطَّلب، ثمّ إنَّه بعد ذلك عُتب عليه فاستحيا منه، فدَفَعه إلى حَوْشب البُرْسُميّ، فكان صاحبه حتَّى هلك المختار. قال: وكان أحد عمومة الأعشى رجلاً يُكْنى أبا أمامة يأتي مجلس أصحابه فيقول: قد وُضع لنا اليوم وحيٌ ماسَمِع الناسُ بمثله، فيه نبأ ما يكونُ من شيء[2].

٨٦ ـ **قال أبو مخنف**: حدّثنا موسى بن عامر أنَّه إنَّما كان يصنع ذلك لهم عبد الله بن نوف، ويقول: المختار أمرَني به، ويتبرّأ المختار منه[3].

[مقتل عبيد الله بن زياد ومن كان معه من أهل الشام]

٨٧ ـ ذكر هشام بنُ محمَّد، عن أبي مخنف، قال: حدّثني أبو الصّلت، عن أبي سعيد الصَّيْقَل، قال: مضينا مع إبراهيم بن الأشتر ونحن نريد عُبيدَ الله بن زياد ومَنْ معه من أهل الشام، فخرجنا مُسْرعين لا نَنْثني، نريد أن نلقاه قبل أن يدخل أرضَ العراق. قال: فسبقناه إلى تُخوم أرض العراق سَبْقاً بعيداً، ووغلنا في أرض المَوْصل، فتعجَّلنا إليه، وأَسرَعْنا السير، فنلقاه بخَازَر إلى جنب قرية يقال لها باربيثا، بينها وبين مدينة المَوْصِل خمسة فراسخ، وقدكان ابن الأشتر جعل على مقدّمته الطفيلَ بن لَقيط؛ من وهْبيل من النّخَع (رجلاً من قومه)، وكان شجاعاً بئيساً[4]، فلمَّا

(١) الطبري ٦/ ٨٤ ـ ٨٥.
(٢) الطبري ٦/ ٨٤ ـ ٨٥.
(٣) ن.م ٨٥.
(٤) الرجل البئيس: الشديد.

أن دنا من ابن زياد ضمّ حميد بن حُريث إليه، وأخذابن الأشتر لا يسير إلاّ على تعبية، وضمّ أصحابه كلّهم إليه بخيله ورجاله، فأخذ يسير بهم جميعاً لا يفرّقهم، إلا أنَّه يبعث الطُّفيل بن لقيط في الطَّلائع حتَّى نزل تلك القرية.

قال: وجاء عبيد الله بن زياد حتَّى نزل قريباً منهم على شاطىء خازَر. وأرسل عميرُ بن الحُباب السلميّ إلى ابن الأشتر: إني معك، وأنا أريد الليلة لقاءك، فأرسل إليه ابن الأشتر: أن القِنى إذا شئت؛ وكانت قيس كلُّها بالجزيرة، فهم أهلُ خلاف لمروان وآلِ مروان، وجندِ مروان يومئذ كلبٌ وصاحبهم ابن بَحْدل. فأتاه عُمَير ليلاً فبايَعه، وأخبره أنَّه على ميسرة صاحبه، وواعده أن ينهزم بالنَّاس، وقال ابن الأشتر: ما رأيُك؟ أخندِق عليّ وأتلوّم يومين أو ثلاثة؟ قال عمير ابن الحُباب: لاتفعل، إنَّا لله! هل يريد القومُ إلاّ هذه! إنْ طاولوك وماطلوك فهو خير لهم، هم كثيرٌ أضعافكم، وليس يطيق القليلُ الكثير في المطاولة؛ ولكن ناجز القوم فإنَّهم قد مُلِئوا منكم رُعْباً، فأتِهم فإنَّهم إن شاموا أصحابك وقاتلوهم يوماً بعد يوم، ومرّة بعد مرّة أنِسوا بهم، واجترءوا عليهم؛ قال إبراهيم: الآن علمتُ أنَّك لي مناصح، صدقتَ، الرأي ما رأيت، أما إنّ صاحبي بهذا أوصاني، وبهذا الرأي أمرَني. قال عمير: فلا تعدونَ رأيه، فإن الشيخ قد ضرّسته الحروب، وقاسى منها ما لم نُقاس، أصبح فناهِض الرجل.

ثمّ إن عميراً انصرف، وأذكَى ابن الأشتر حَرَسَه تلك اللَّيلة اللّيل كلَّه، ولم يدخل عينه غمْض، حتَّى إذا كان في السحر الأوّل عَبَّى أصحابه، وكتَّب كتائبه، وأمَّر أمراءَه، فبعث سُفْيان بن يزيد بن المُغَفَّل الأزديّ على ميمنته، وعليّ بن مالك الجُشميّ على ميسرته، وهو أخو أبي الأحوص. وبعث عبد الرحمن بن عبد الله - وهو أخو إبراهيم بن الأشتر لأمّه - على الخيل، وكانت خيلُه قليلةً، فضمَّها إليه، وكانت في الميمنة والقلب، وجعل على رجّالته الطُّفَيل بن لقيط، وكانت رايتُهُ مع مزاحم بن مالك. قال: فلمَّا انفجر الفجر صلَّى بهم الغداة بغَلَس، ثمّ خرج بهم فصفَّهم، ووضع أمراء الأرباع في مواضعهم، وألحق أميرَ بالميمنة، وأميرَ الميسرة بالميسرة، وأمير الرّجالة بالرّجّالة، وضمّ الخيل إليه، وعليها أخوه لأمِّه عبد الرحمن بن عبد الله، فكانت وَسَطاً من الناس، ونزل إبراهيمُ يمشي، وقال

للناس: ازحَفوا، فَزَحَف الناسُ معه على رِسْلِهم رُوَيداً رويداً حتَّى أشرف على تلّ عظيم مُشرِف على القوم، فجلس عليه، وإذا أولئك لم يتحرّك منهم أحد بعدُ ـ فسرّح عبدُ الله بن زهير السَّلوليّ وهو على فرس له يتأكَّل تأكُّلاً[1]، فقال: قرّبْ عليّ فرسك حتَّى تأتيني بخبر هؤلاء، فانطلق، فلم يلبث إلاّ يسيراً حتَّى جاء، فقال: قد خرج القومُ على دَهَش وفَشَل، لَقيني رجل منهم فما كان له هِجِّيرَى إلا يا شيعةَ أبي تُراب، يا شيعةَ المختار الكذّاب! فقلت: ما بيننا وبينكم أجلُّ من الشَّتم، قال لي: يا عدوَّ الله، إلامَ تدعوننا! أنتم تقاتلون مع غير إمام، فقلت له: بلى يا لَثارات الحسين، ابن رسول الله! ادفعوا إلينا عُبيدَ الله بن زياد؛ فإنَّه قَتَل ابنَ رسولِ الله وسيِّد شبابِ أهل الجنَّة حتَّى نقتله ببعض موالينا الَّذين قتَلَهم مع الحسين، فإنَّا لا نراه لحسين نِدًّا فَنَرْضى أن يكون منه قَوَداً، وإذا دفعتُموه إلينا فقتلناه ببعضِ موالِينا الَّذِين قتلهم جعلْنا بيننا وبينكم كتاب الله، أو أيَّ صالح من المسلمين شئتم حَكَماً، فقال لي: قد جرّبناكم مرّة أخرى في مِثل هذا ـ يعني الحكَيْن ـ فَغدرتم، فقلت له: وما هو؟ فقال: قد جعلنا بيننا وبينكم حَكَمين فلم ترضَوْا بحُكْمهما؛ فقلت له: ما جئت بِحجَّة، إنَّما كان صلحنا على أنَّهما إذا اجتمعا على رجل تبعنا حكمهما، ورضينا به وبايعناه، فلم يجتمعا على واحد، وتفرّقا، فكلاهما لم يوفِّقْه الله لخير ولم يسدّده، فقال: مَنْ أنت؟ فأخبرته؛ فقلت له: من أنت؟ فقال: عَدَسْ ـ لبَغْلته يزجرها ـ فقلت له: ما أنصفتَني، هذا أوّل غَدْرِك!

قال: ودعا ابن الأشتر بفرس له فركبه، ثمّ مرّ بأصحاب الرّايات كلّها، فكلَّما مرّ على راية وقف عليها، ثم قال: يا أنصار الدِّين، وشيعةَ الحق، وشرْطة الله، هذا عُبيد الله بن مَرْجانَة قاتل الحسين بن عليّ، ابن فاطمة بنت رسول الله، حالَ بينه وبين بناتِه ونسائِه وشيعتِه وبين ماء الفرات أن يَشرَبوا منه، وهم ينظرون إليه، ومَنَعه أن يأتيَ ابن عمِّه فيصالحَه، ومَنَعه أن ينصرف إلى رَحْله وأهلِه، ومنعه الذّهابَ في الأرض العريضة حتَّى قتله وقَتَل أهْلَ بيته؛ فَوالله ما عَمِل فرعون بنُجَباء بني إسرائيل ما عَمِل ابن

(١) تأكل الفرس، أي هاج وكاد يأكل بعضه بعضاً.

مَرْجانة بأهلِ بيتِ رسولِ الله ﷺ الَّذين أذهب عنهم الرجس وطهَّرهم تطهيراً. قد جاءكم الله به، وجاءه بكم، فوالله إني لأرجو ألاّ يكون الله جمع بينكم في هذا الموطن وبينه إلاّ ليشفَى صدوركم بسفك دمه على أيديكم، فقد علم الله أنَّكم خرجتم غَضَباً لأهلِ بيت نبيِّكم. فسار فيما بين الميمنة والميسرة، وسار في الناس كلّهم فرغَّبهم في الجهاد، وحرّضهم على القتال، ثمّ رجع حتَّى نزل تحت رايته، وزحف القوم إليه، وقد جعل ابنُ زياد على ميمنته الحُصَين بن نميرالسَّكُونيّ، وعلى ميسرته عُمَير بن الحُباب السُّلَميّ، وشُرَحبيل بن ذي الكَلَاع على الخيل وهو يمشي في الرجال، فلمَّا تدانى الصفَّان حمل الحُصَين ابن نُمير في ميمنة أهل الشام على ميسرة أهل الكوفة، وعليها عليّ بن مالك الجُشَميّ، فثبت له هو بنفسه فقتِل، ثمّ أخذ رايته قُرَّةُ بن عليّ، فقُتِل أيضاً في رجال من أهل الحفاظ قتِلُوا وانهزمت الميسرة، فأخذ رايةَ عليّ بن مالك الجُشَميّ عبدُ الله بن ورقاء بن جُنادة السَّلوليّ ابن أخي حُبْشي بن جُنادة صاحب رسول الله ﷺ، فاستقبل أهل الميسرة حين انهزموا، فقال: إليّ يا شُرطة الله؛ فأقبلَ إليه جُلُّهم، فقال: هذا أميركم يقاتل، سِيرُوا بنا إليه، فأقبل حتَّى أتاه وإذا هو كاشفٌ عن رأسه يُنادِي: يا شُرطة الله، إليّ أنا ابن الأشتر! إنّ خيرَ فُرّارِكم كُرّارُكم، ليس مُسيئاً من أعتَبَ. فثابَ إليه أصحابه، وأرسل إلى صاحب الميمنة: احمل على ميسرتهم - وهو يرجُو حينئذ أن ينهزم لهم عُمَير بن الحُباب كما زعم، فحمل عليهم صاحبُ الميمنة، وهو سُفْيان بن يزيد بن المغفَّل، فثبت له عُميَر بن الحباب وقاتَلَه قتالاً شديداً، فلمَّا رأى إبراهيم ذلك قال لأصحابه: أمُّوا هذا السواد الأعظم، فوالله لو قد فَضَضناه لا نجفل مَن ترون منهم يمنةً ويَسْرة انجفالَ طير ذعرتها فطارت[1].

٨٨ ـ قال أبو مخنف: فحدّثني إبراهيمُ بن عبد الرحمن الأنصاريّ، عن ورقاءَ ابن عازب، قال: مشيْنا إليهم حتَّى إذا دَنَوْنا منهم اطّعَنَّا بالرماح قليلاً، ثم صرنا إلى السيوف والعَمَد، فاضطربنا بها مليًّا من النهار، فوالله ما شبَّهْتُ ما سمعتُ بيننا وبينهم من وقْع الحديد على الحديد إلا مَيَاجِنَ

---

(١) الطبري ٦/٨٦ ـ ٨٩.

قَصَّارِي[1] دار الوليد بن عُقْبة بن أبي مُعَيط. قال: فكان ذلك كذلك، ثمّ إنّ الله هَزمَهم، ومَنَحنا أكتافَهمْ[2].

٨٩ ـ **قال أبو مخنف: وحدّثني الحارث بن حَصِيرة**، عن أبي صادق أنّ إبراهيم بن الأشتر كان يقول لصاحب رايته: انغمس برايتِك فيهم، فيقول له: إنّه ـ جُعلت فِداك ـ ليس لي مُتقَدَّم، فيقول: بلى، فإنّ أصحابك يقاتلون؛ وإنّ هؤلاء لا يَهرُبون إن شاء الله؛ فإذا تقدّم صاحبُ رايته برايته شدَّ إبراهيمُ بسيفه فلا يضرب به رجلاً إلاّ صرعه. وكَرَد[3] إبراهيم الرجال من بين يديه كأنَّهم الحُمْلان، وإذا حمل برايته شدّ أصحابُه شدّةَ رجل واحد[4].

٩٠ ـ **قال أبو مخنف**: حدّثني المشرقيّ أنّه كان مع عبيد ابن زياد يومئذ حديدةٌ لا تُليق شيئاً مرّت به، وأنه لمَّا هُزِم أصحابه حمل عُيَيْنَةُ بن أسماء أختَه هند بنت أسماء ـ وكانت امرأة عُبيدِ الله بن زياد ـ فذهب بها وأخذ يرتجز ويقول:

إنْ تَـصْـرِمـي حِـبَـالَـنَـا فَـرُبَـمـا أَرْدَيْتُ في الهَيْجَا الكَمِيِّ المُعلِما[5]

٩١ ـ **قال أبو مخنف**: وحدّثني فُضَيل بن خَدِيج أنّ إبراهيم لمَّا شدّ على ابن زياد وأصحابه انهزموا بعد قتال شديد وقتلَى كثيرة بين الفَريقين، وأنّ عُمير بن الحُباب لمَّا رأى أصحابَ إبراهيم قد هَزموا أصحابَ عبيد الله بعث إليه: أجيئك الآن؟ فقال: لا تأتيني حتَّى تسكن فورةُ شُرطة الله، فإني أخاف عليك عادِيَتَهم.

وقال ابن الأشتر: قتلت رجلاً وجدتُ منه رائحة المسك، شَرّقتْ يداه وغرّبت رجلاه، تحتَ راية منفردة، على شاطىء نهر خازَرَ. فالتمسوه فإذا هو عُبيد الله بن زياد قتيلاً، ضربه فقدَّهُ بنصفين، فذهبت رجلاه في

---

(١) المياجن: جمع ميجنة، وهي مدقة القصار.

(٢) ن.م ٨٩/٦.

(٣) الكرد: الطرد.

(٤) الطبري ٨٩/٦ ـ ٩٠.

(٥) ن.م ٩٠/٦.

المشرق، ويداه في المغربَ. وحمل شريك بن جدير التَّغلبيّ على الحصين بن نُمَير السَّكونيّ وهو يَحسبه عُبيد الله بن زياد، فاعتنق كلّ واحد منهما صاحبه، ونادى التغلَبيّ: اقتلوني وابن الزانية؛ فقتِل ابن نُمَير[1].

٩٢ ـ **قال هشام: قال أبو مخنف**: حدّثني فُضَيل بن خديج، قال: قتِل شرحبيل بن ذِي الكَلاع، فادّعى قتلَه ثلاثة: سُفْيان بن يزيد بن المغفَّل الأزْديّ، وورقاء بن عازب الأسَديّ، وعُبيد الله بن زُهَير السُّلَميُّ. قال: ولمَّا هُزم أصحاب عبيد الله تبعهم أصحابُ إبراهيمَ بن الأشتر، فكانَ مَنْ غرق أكثر مِمَّن قتل، وأصابوا عسكرهم فيه كلُّ شيء، وبلغ المختار وهو يقول لأصحابه: يأتيكم الفتح أحدَ اليومين إنْ شاء الله من قِبَل إبراهيم بن الأشتر وأصحابِه، قد هزموا أصحابَ عُبيد الله بن مَرْجانة. قال: فخرج المختار من الكوفة، واستخلف عليها السائبَ بنَ مالك الأشعريّ، وخرج بالناس، ونزل ساباطَ[2].

٩٣ ـ قال أبو مخنف: حدّثني المشرقيّ، عن الشعبيّ، قال: كنت أنا وأبي مِمَّن خرج معه، قال: فلمَّا جُزْنا ساباطَ قال للنَّاس: أبشروا فإنّ شُرْطة الله قد حسُّوهم بالسيوف يوماً إلى اللَّيل بنَصيبينَ أو قريباً من نصيبين ودُوَينَ منازلهم، إلاّ أنّ جلَّهم محصور بنصيبين. قال: ودخلْنا المدائن، واجتمعْنا إليه، فصعِد المنبَر، فوالله إنَّه ليخطبنا ويأمرنا بالجدّ وحسْن الرأي والاجتهاد والثبات على الطاعة، والطلب بدماء أهلِ البيت عليهم السلام، إذ جاءتْه البشرى تَتْرَى يَتْبع بعضُها بعضاً بِقَتْل عبيد الله بن زياد وهزيمة أصحابه، وأخذ عسكره، وقتل أشراف أهل الشام، فقال المختار: يا شُرطة الله، ألم أبشِّركم بهذا قبل أن يكون! قالوا: بلى والله لقد قلت ذلك؛ قال: فيقول لي رجل من بعض جيراننا من الهَمْدانيِّين: أتؤمن الآن يا شعبيّ؟ قال: قلت بأيّ شيء أؤمن؟ أؤمن بأنّ المختار يعلَم الغيب! لا أؤمن بذلك أبداً. قال: أوَ لم يقل لنا: إنَّهم قد هُزموا! فقلتُ له: إنَّما زعم لنا أنَّهم هُزِموا بنصيبينَ من أرض الجزيرة، وأنَّما هو بخازَرَ من أرض الموصل، فقال: والله لا

(١) ن.م.
(٢) الطبري ٦/ ٩١.

تؤمن يا شعبيّ حتَّى ترى العذاب الأليم؛ فقلت له: مَن هذا الهَمْدانيّ الَّذِي يقول لك هذا؟ فقال: رجل لعمري كان شجاعاً - قتل مع المختار بعد ذلك يوم حَرُورَاء - يقال له: سَلْمان بن حمير من الثوريِّين من هَمْدان؛ قال: وانصرف المختار إلى الكوفة، ومضى ابن الأشتر من عسكره إلى الموصل، وبعث عمَّالَه عليها، فبعث أخاه عبد الرحمن بن عبد الله على نصيبين، وغلب على سِنْجار ودَارًا، وما والاها من أرض الجزيرة، وخرج أهلُ الكوفة الَّذِين كان المختار قاتَلَهم فهزمهم، فَلحقوا بِمُصعَب بن الزَبير بالبصرة. وكان فيمن قدم على مصعب شَبَث بن رِبْعيّ، فقال سُراقةُ بن مِرْداس البارقي يمدح إبراهيمَ بن الأشتر وأصحابَه في قتل عُبيد الله بن زياد[1]:

أتَاكُمْ غُلامٌ من عَرَانِينِ مذْحِجٍ ... جريٌّ على الأعداءِ غَيرُ نكُولِ[2]
فَيَابْنَ زِيَادٍ بؤ بأَعْظَمِ مَالكٍ ... وذُقْ حَدّ ماضي الشَّفْرَتَيْن صَقِيلِ
ضَرَبْناك بالعَضْب الحُسَام بِحِدَّةٍ ... إذَا ما أَبأْنَا قاتِلا بِقَتِيلِ
جزى الله خيْراً شُرْطَةَ الله إنَّهُمْ ... شَفَوْا مِنْ عُبَيْد الله أَمْسِ غَلِيلي[3]

❀ ❀ ❀

---

(١) ديوانه ٨١.

(٢) بعده في رواية الديوان:

وأَجْدِرْ بهنْد أن تُساقَ سبيئةً ... لها من بني إسْحاق شَرٌّ حَليل

(٣) الطبري ٦/ ٩١ - ٩٢.

كتاب

مُصعَب بن الزّبَير وولايته العراق(*)

[مسير مصعب بن الزبير إلى المختار بن أبي عبيد والخبر عن مقتل المختار]

١ ـ **قال هشام بن محمَّد، عن أبي مخنف**، حدّثني حبيب بن بديل، قال: لمَّا قدم شَبَث على مُصعب بن الزّبير البصرة وتحته بَغْلة له قد قطع ذَنَبها، وقَطَع طرف أذنُها وشقّ قَباءه، وهو ينادي: يا غوثاه يا غوثاه! فأتِيَ مصعب، فقيل له: إنّ بالباب رجلاً ينادي: يا غَوْثاه يا غَوْثاه! مشقوق القَباء، مِنْ صفته كذا وكذا، فقال لهم: نعم، هذا شَبَث بن رِبْعيّ لم يكن ليفعَل هذا غيره، فأدخِلوه، فأدخل عليه، وجاءه أشراف الناس من أهل الكوفة فدخلوا عليه، فأخبروه بما اجتمعوا له، وبما أصيبوا به ووثوب عبيدهم ومواليهم عليهم، وشَكَوْا إليه، وسألوه النَّصْر لهم، والمسيرَ إلى المختار معهم. وقَدِم عليهم محمَّد بن الأشعث بن قيس ـ ولم يكن شَهِد وقعةَ الكوفة، كان في قَصْر له مِمَّا يلي القادسيَّة بطِيزَنَابَاذَ ـ فلمَّا بلغه هزيمةُ الناس تهيَّأ للشخوص، وسأل عنه المختار، فأخبر بمكانه، فسرّح إليه عبد الله بن قراد الخثعميّ في مائة، فلمَّا ساروا إليه، وبلغه أن قد دنَوا منه، خرج في البرّيَّة نحو المصعب حتَّى لحق به، فلمَّا قدم على المصعب استحثّه بالخروج، وأدناه مصعب

(*) ورد ذكره في: الفهرست لابن النديم ١٣٦ معجم الأدباء ١٧/ ٤١ فوات الوفيات ٣/ ٢٢٥ هدية العارفين ١/ ٨٤١ الذريعة ١/ ٣٥٠

وأكرَمه لشَرَفه. قال: وبعث المختار إلى دار محمَّد بن الأشعث فهَدَمها[1].

٢ ـ **قال أبو مخنف:** فحدّثني أبو يوسف بن يزيد أنّ المصعب لما أراد المسيرَ إلى الكوفة حين أكثرَ الناسُ عليه، قال لمحمد بن الأشعث: إني لا أسير حتَّى يأتيني المهلب بن أبي صُفْرة. فكتب المصعب إلى المهلب ـ وهو عاملُه على فارس: أن أقبِلْ إلينا لتشهدَ أمْرنا، فإنا نريد المسيرَ إلى الكوفة. فأبطأ عليه المهلّب وأصحابه، واعتلّ بشيء من الخراج، لكراهة الخروج، فأمر مصعب محمد بن الأشعث في بعض ما يستحثه أن يأتيَ المهلب فيقبِلَ به، وأعلَمَه أنه لا يشخص دون أن يأتي المهلب؛ فذهب محمد بن الأشعث بكتاب المصعب إلى المهلب، فلما قرأه قال له: مثلك يا محمد يأتي بَريداً! أما وَجَدَ المصعبُ بريداً غيرَك! قال محمد: إني والله ما أنا ببريد أحد، غير أنَّ نساءنا وأبناءنا وحَرَمَنا غَلَبَنا عليهم عبدانُنا وموالينا. فخرج المهلب، وأقبل بجموع كثيرة وأموال عظيمة معه في جموع وهيئة ليس بها أحد من أهل البصرة. ولمّا دخل المهلّب البصرة أتى باب المصعب ليدخل عليه وقد أذن للناس، فحجَبه الحاجب وهو لا يعرفه، فرفع المهلَب يده فكسر أنفَه، فدخل إلى المُصعب وأنفُه يسيل دماً، فقال له: ما لك؟ فقال: ضَرَبَني رجل ما أعرفه، ودخل المهلب فلما رآه الحاجب قال: هَو ذا. قال له المصعب: عُدْ إلى مكانك، وأمر المصعب الناسَ بالمعسكر عند الجسر الأكبر، ودعا عبد الرحمن بن مخنف فقال له: ائتِ الكوفةَ فأخرج إليّ جميعَ من قدرتَ عليه أن تُخرِجه، وادعهم إلى بيعتي سرًّا، وخَذِّل أصحَاب المختار، فانسلّ من عنده حتى جلس في بيته مستتراً لا يَظهَر، وخرج المصعب فقدّم أمامَه عَبَّاد بن الحصين الحبَطيّ من بني تميم على مقدّمته، وبعث عمر بن عُبيدِ الله بن مَعمر على ميمنته، وبعث المهلب بن أبي صفرة على ميسرَته، وجعل مالك بن مِسمع على خمس بكر بن وائل، ومالك بن المنذر على خمس عبد القيس، والأحنف بن قيس على خمس تميم، وزياد بن عمرو الأزديّ على خمس الأزدْ،

---

(١) الطبري ٦/ ٩٤.

وقيس بن الهيثم على خمس أهل العالية؛ وبلغ ذلك المختار، فقام في أصحابه فحَمِد اللَّهَ وأثْنَى عليه ثم قال:

يا أهل الكوفة، يا أهلَ الدّين، وأعوانَ الحقّ، وأنصارَ الضّعيف، وشيعةَ الرّسول، وآل الرسول، إنّ فُرَّارَكم الذِين بَغَوا عليكم أتوا أشباهَهم من الفاسقين فاستغووُهم عليكم ليمصَح[1] الحق، وينتعش الباطل، ويقتل أولياء الله، والله لو تهلكون ما عُبِد الله في الأرض إلاّ بالفرْي على الله واللعن لأهل بيت نبيّه. انتدبوا مع أحمر بن شُمَيط فإنكم لو قد لقيتموهم لقد قتلتموهم إن شاء الله قَتلَ عاد وإرَمٍ.

فخرج أحمرُ بن شُمَيط، فعسكر بحَمّام أعين، ودعا المختار رؤوسَ الأرباع الذين كانوا مع ابن الأشتر، فبعثهم مع أحمر بن شُميط، كما كانوا مع ابن الأشتر، فإنهم إنما فارقوا ابنَ الأشتر؛ لأنهم رأوه كالمتهاون بأمر المختار، فانصرفوا عنه، وبَعَثهم المختار مع ابن شُميط، وبعث معه جيشاً كثيفاً، فخرج ابن شميط، فبعث على مقدّمته ابن كامل الشاكريّ، وسار أحمر بن شميط حتى ورد المَذَار، وجاء المصعب حتى عسكر منه قريباً.

ثمّ إنّ كلّ واحد منهما عبّى جنده، ثمّ تَزاحَفا، فجعل أحمر بن شُمَيط على ميمنته عَبدَ الله بن كامل الشاكرِيّ، وعلى ميسرته عبدَ الله بن وهب بن نَضْلة الجشميّ، وعلى الخيل رزين عبد السلوليّ، وعلى الرجّالة كثير بن إسماعيل الكِنْدَيّ ـ وكان يوم خازَرَ مع ابن الأشتر ـ وجعل كيسان أبا عَمرةَ ـ وكان مولًى لعُرَينة ـ على الموالي، فجاء عبدُ الله بنُ وهب بن أنس الجُشَميّ إلى ابن شُمَيط وقد جعله على ميسرته، فقال له: إنّ المواليَ والعَبِيد آلُ خَوَر عند المصدوقة، وإنّ معهم رجالاً كثيراً على الخيل. وأنت تمشي، فمُرْهم فلينزلوا معك، فإنَّ لهم بك أسوةً، فإني أتخوّف إن طُورِدوا ساعةً، وطُوعِنوا وضُوربوا أن يطيروا على متونها ويُسلِموك، وإنك إن أرجلتهم لم يجدُوا من الصبر بُدّاً، وإنما كان هذا منه غِشًّا للموالي والعبيد، لما كانوا لقوا منهم بالكوفة، فأحبَّ إن كانت عليهم الدَّبْرَة أن يكونوا رجالاً لا ينجو منهم أحد، ولم يتهمه ابنُ شميط، وظن أنه إنما أراد

---

(١) ليمصح الحق، أي ليذهب.

بذلك نُصحَه ليصبروا ويُقاتِلوا، فقال: يا معشر الموالي، انزلوا معي فقاتِلوا، فنَزَلوا معه، ثم مَشَوْا بين يديه وبين يدَيّ رايته، وجاء مصعب بن الزبير وقد جعل عَبّاد بن الحصين على الخيل، فجاء عبّاد حتى دنا من ابن شميط وأصحابه فقال: إنّا ندعوكم إلى كتاب الله وسنة رسوله، وإلى بَيعة أمير المؤمنين عبدِ الله بن الزبير؛ وقال الآخرون: إنا ندعوكم إلى كتاب الله وسنة رسوله، وإلى بيعة الأمير المختار، وإلى أن نجعل هذا الأمرَ شُورَى في آل الرسول، فَمن زعم من الناس أنّ أحداً ينبغي له أن يتولّى عليهم برئنا منه وجاهدناه. فانصرف عبَّاد إلى المُصعب فأخبره، فقال له: ارجع فاحمل عليهم، فرجع فحمَلَ على ابن شميط وأصحابه فلم يزُل منهم أحدٌ، ثمّ انصرف إلى موقفه وحمل المهلّب على ابن كامل، فجال أصحابه بعضُهم في بعض، فنزل ابنُ كامل، ثمّ انصرف عنه المهلّب، فقام مكانَه، فوقفوا ساعةً ثم قال المهلب لأصحابه: كرُّوا كَرَّةً صادقة، فإنّ القومَ قد أطمَعوكم، وذلك بجَوْلتِهم التي جالوا، فحمل عليهمْ حَمْلةً منكرَةً فولّوا، وصبر ابنُ كامل في رجال مِن هَمْدانَ، فأخذ المهلَّب يَسْمَع شِعارَ القوم: أنا الغلامُ الشاكِريّ، أنا الغلام الشِّبامي، أنا الغلام الثَّوْرِيّ، فما كان إلاّ ساعة حتَّى هُزموا، وحمل عمرُ بنُ عبيدِ الله بنِ مَعمر على عبدِ الله بن أنس، فقاتل ساعةً ثمّ انصرف، وحملَ الناسُ جميعاً على ابن شُمَيط، فقاتل حتَّى قُتِل، وتنادوا: يا مَعشَر بَجِيلة وخَثْعَم، الصَّبرَ الصبرَ! فناداهم المهلَّب: الفِرارَ الفِرارَ! اليوم أنجى لكم، عَلامَ تَقتُلون أنفسَكم مع هذه العِبْدان، أضَلّ الله سَعْيَكم. ثمّ نظر إلى أصحابه فقال: واللَّهِ ما أرَى استِحرار القَتْل اليومَ إلاّ في قومي. ومالَت الخيلُ على رَجَّالة ابنِ شُمَيط، فافترقتْ فانهزمتْ وأخِذت الصَّحْراء، فبَعث المصعبُ عبّاد بن الحُصَين على الخيل، فقال: أيّما أسيرٍ أخذتَه فاضرِب عُنُقَه. وسرّحَ محمَّد بنَ الأشعث في خيلٍ عظيمة من خيل أهلِ الكوفة مِمَّن كان المختار طَرَدهُم، فقال: دُونَكم ثأْركم! فكانوا حيث انهزموا أشدَّ عليهمْ مِن أهل البَصْرة، لا يُدركون منهزماً إلاّ قَتَلوه، ولا يأخذون أسيراً فيَعفُون عنه. قال: فلم يَنْج من ذلك الجيش إلاّ طائفةٌ من أصحاب الخيل؛ وأما رَجَّالتُهم فأبيدوا إلا قليلاً[١].

(١) الطبري ٦/ ٩٤ ـ ٩٧.

٣ ـ **قال أبو مخنف: حدّثني ابنُ عيّاش المَنْتُوف**، عن معاوية بن قُرّة المُزَنيّ، قال: انتهيتُ إلى رجل منهم، فأدخلتُ سنان الرمح في عينه، فأخذتُ أخضخِض عينَه بسنان رُمْحي، فقلتُ له: وفعلتَ به هذا؟ قال: نعم، إنَّهم كانوا أحَلَّ عندَنا دِماءً من الترْك والدَّيلم، وكان معاويةُ بنُ قرّة قاضياً لأهلِ البصْرة، ففي ذلك يقول الأعشى[١]:

ألا هـلَ أتَـاكَ والأنـبـاءُ تُـنْـمَـى ... بـمـا لاقـتْ بَـجِـيـلـةُ بـالـمَـذَارِ
أُتِـيـحَ لـهـم بـهـا ضَـرْبٌ طِـلَـحْـفٌ ... وطـعْـنٌ صـائـبٌ وَجـهَ الـنـهـارِ
كـأنَّ سَـحَـابـةً صَـعَـقَـتْ عـلـيـهـمْ ... فَـعَـمَّـتـهُـمْ هُـنـالِـكَ بـالـدَّمَـار
فَـبـشِّـرْ شِـيـعَـةَ الـمـخـتـارِ إمـا ... مَـرَرْتَ عـلـى الـكُـويـفْـةِ بـالـصَّـغَـارِ
أقَـرَّ الـعـيـنَ صَـرْعـاهـمْ وفَـلٌّ ... لـهـمْ جَـمٌّ يُـقـتَّـل بـالـصَّـحَـارِي
ومـا إنْ سَـرَّنـي إهـلاكُ قـومـي ... وإن كـانـوا وجَـدَّكَ فـي خـيـارِ
ولـكـنِّـي سُـرِرْتُ بـمـا يُـلَاقِـي ... أبـو إسـحـاقَ مِـنْ خِـزي وعـارِ

وأقبل المصعبُ حتَّى قطع من تلقاءِ واسطَ القَصَب، ولم تكُ واسط هذه بُنيتْ حينئذ بعد، فأخذ في كَسْكَر، ثمّ حَمَل الرجالَ وأثقالَهم وضُعفاءَ الناسِ في السفن، فأخَذوا في نَهر يقال له: نهر خُرْشاذ، ثمّ خرجوا من ذلك النَّهر إلى نهر يقال له قُوسان؛ ثمّ أخرَجهم من ذلك النَّهرِ إلى الفُرات[٢].

٤ ـ **قال أبو مخنَف**: وحدّثني فُضَيل بن خَدِيج الكنديّ، أنّ أهلَ البصرة كانوا يَخرُجون فيَجُرّون سفنهم ويقولون:

عَـوَّدَنَـا الـمـصـعـبُ جَـرَّ الـقَـلْـسِ ... والـزَّنْـبَـرِيَّـاتِ الـطِّـوَالِ الـقُـعِـس

قال: فلمَّا بلغ مَن مع المختارِ من تلك الأعاجم ما لَقَى إخوانُهم مع ابن شُمَيط قالوا بالفارسيَّة: «اِينْ بَارْ دُرُوغ كُفْت»؛ يقولون: هذهِ المرّة كذب[٣].

٥ ـ **قال أبو مِخنَف: وحدّثني هشامُ بنُ عبدِ الرحمن الثقفِيّ**، عن عبدِ

---

(١) هو أعشى همدان، واسمه عبد الرحمن بن عبد الله.
(٢) الطبري ٦/٩٧ ـ ٩٨.
(٣) ن.م ٦/٩٨.

الرّحمن بن أبي عُمَير الثَّقفِيّ، قال: واللَّهِ إني لجالسٌ عند المختار حين أتاه هزيمةُ القومِ وما لَقوا، قال: فأصغَى إلي، فقال: قتِلتْ والله العبيدَ قتلةً ما سمعتُ بِمِثْلها قطّ. ثمّ قال: وقُتِلَ ابْنُ شُمَيط وابنُ كامل وفلانٌ وفلانٌ، فسمَّى رجالاً من العرب أصيبوا، كان الرّجلِ منهم في الحرب خيراً مِن فِئام[1] مِن الناس. قال: فقلتُ له: فهذه واللَّهِ مصيبةٌ، فقال لي: ما مِنَ الموتِ بُدّ، وما من مِيتة أموتها أحبّ إليّ مِن مثل مِيتةِ ابن شمَيط، حبَّذا مَصارعُ الكرام! قال: فعلمتُ أنّ الرجل قد حدّث نفسَه إن لم يُصِبْ حاجتَه أن يُقاتِل حتَّى يموتَ.

ولما بلغ المختارَ أنَّهم قد أقبَلوا إليه في البَحْر، وعلى الظهْر، سار حتَّى نَزَل بهم السَّيْلَحِين، ونظر إلى مُجْتَمَع الأنهار نهرِ الحِيرةَ ونهرِ السَّيلحِين ونهرِ القادسيَّة، ونهر يوسُف، فسكَّر[2] الفُرات على مجتمع الأنهار، فذهب ماءُ الفرات كلّه في هذه الأنهار، وبقيت سفنْ أهلِ البصرة في الطّين، فلمَّا رأوْا ذلك خرجوا من السفن يمْشونَ، وأقبلتْ خيلُهم تَركض حتَّى أتَوْا ذلك السّكْر، فكَسَروهُ وصَمَدوا صمد الكُوفة، فلمَّا رأى ذلك المختارُ أقبَل إليهِم حتَّى نزل حَرُوراءَ، وحالَ بينهمْ وبين الكوفة، وقد كان حصّن قصرَه والمسجد، وأدخلَ في قصرِه عُدّة الحِصار، وجاء المصعبُ يسير إليه وهو بَحرُورَاءَ وقد استعمل على الكُوفة عبدَ الله بنَ شَدّاد، وخرج إليه المختارُ وقد جعل على مَيْمنته سُليم بن يزيد الكِنْديّ، وجعل على مَيْسرتِهِ سعيدَ بن مُنْقذ الهَمْدانيّ ثمّ الثَّوْريّ، وكان على شُرطتِه يومئذ عبد الله بنُ قُراد الخَثْعَميّ، وبَعَث على الخيل عمرَ بنَ عبد الله النَّهْدِيّ، وعلى الرّجال مالكَ بنَ عمرو النَّهْدِيّ، وجعل مُصعبٌ على ميمنتِه المهلَّبَ بنَ أبي صُفْرة، وعلى ميسرته عمرَ بنَ عُبَيد الله مَعْمَر التَّيْميّ، وعلى الخيل عَبَّاد بن الحُصَين الحَبَطيّ، وعلى الرّجال مقاتِل بن مِسمَع البَكْرِيّ، ونزل هو يَمْشِي مُتنكِّباً قَوْساً له.

قال: وجعل على أهلِ الكُوفة محمَّد بنَ الأشعث، فجاء محمَّد حتَّى

---

(١) الفئام: الجماعة من الناس.

(٢) سكر النهر؛ أي سد فاه.

نَزل بين المصعب والمختار مغرّباً مُيامِنا. قال: فلمَّا رأى ذلك المختارُ بعث إلى كلّ خُمس من أخماس أهلِ البَصْرة رجلاً من أصحابه، فبعث إلى بكرِ بن وائل سعيدَ بن مُنقذ صاحبَ مَيسرته، وعليهمْ مالِك بنْ مِسمَع البَكْريّ، وبعث إلى عبد القَيْس وعليهم مالكُ بنُ المنذر عبدَ الرحمن بنَ شُرَيح الشِّباميّ، وكان على بيتِ مالِهِ، وبعث إلى أهل العالِيَة وعليهم قيسُ بنُ الهَيْثم السُّلَميّ عبدَ الله بنَ جَعْدة القرشيّ، ثم المخزوميّ، وبعث إلى الأزْد وعليهم زيادُ بنُ عمرو العَتَكيّ مسافرَ بن سَعيد بنِ نِمْران الناعطيّ، وبعث إلى بني تميم وعليهم الأحنَف بنُ قيس سُلَيمَ بن يزيد الكِنْديّ، وكان صاحب ميْمنته، وبعث إلى محمَّد بنِ الأشعث السائبَ بن مالك الأشعريّ، ووقف في بقيَّة أصحابه، وتَزاحف الناسُ ودَنَا بعضُهم من بعض، ويَحمِل سعيدُ بن منقذ وعبدُ الرحمن بن شُرَيح على بكرِ بن وائل، وعبد القيس، وهم في الميسرَة وعليهم عمرُ بنُ عُبيدِ الله بنِ مَعمَر؛ فقاتلتهم ربيعةُ قِتالاً شديداً، وصبروا لهم، وأخذ سعيدُ بن مُنقِذ وعبدُ الرحمن بنُ شُرَيح لا يُقلعان، إذا حمل واحدٌ فانصرف حمل الآخر، وربَّما حَمَلا جميعاً؛ قال: فَبعث المُصعَب إلى المهلَّب: ما تنتظر أن تَحمِل على مَنْ بإزائك! ألا ترى ما يَلقَى هذان الخُمْسان منذ اليوم! احمِلْ بأصحابك، فقال: إي لعَمْري ما كنتُ لأجْزُر الأزْد وتميماً خَشية أهلِ الكوفة حتَّى أرى فُرْصتي. قال: وبعث المختارُ إلى عبدِ الله بنِ جَعْدَة أنِ احمِلْ على مَنْ بإزائك، فَحَمل على أهل العالية فكَشفهم حتَّى انتَهْوا إلى المُصْعَب، فَجثَا المُصْعب على رُكْبَتيه ـ ولم يكن فرّاراً ـ فرَمَى بأسهمه. ونزل الناسُ عنده فقاتَلُوا ساعَةً، ثم تَحاجَزوا. قال: وبَعَث المصعبُ إلى المهلَّب وهو في خُمْسَين جامَّين كثيرَي العَدَد والفُرْسان: لا أبا لَك! مَا تنتظر أن تحمِل على القوم! فمَكَث غيرَ بعيد، ثمّ إنَّه قال لأصحابه: قد قاتل الناسُ منذ اليوم وأنتم وقوفٌ، وقد أحسنوا، وقد بقِيَ ما عليكم، احملوا واستَعِينوا بالله واصبروا، فحمل على مَن يَليهِ حملةً منكرَة، فحطموا أصحابَ المُختار حَطْمةً منكَرَة، فكشَفوهم. وقال عبدُ الله بنُ عَمرو النَّهديّ ـ وكان من أَصحاب صِفِّينَ: اللَّهمَّ إني على ما كنتُ عليه ليلةَ الخَميس بصِفِّين، اللَّهمّ إني أبرأ إليكَ مِن فِعل هؤلاءُ لأصحابه حين انهزموا، وأبرأ إليك من أنفُس هؤلاء ـ يَعني أصحابَ الْمُصْعَب ـ ثم جالَد بِسَيْفِه حتى قُتِل، وأتى مالك بن عمرو أبو نِمْران

النَّهْديّ وهو على الرّجالة بفَرَسه فرَكِبه، وانقصَفَ أصحابُ المختار انقصافةً شديدة كأنَّهم أجَمةٌ فيها حريقٌ، فقال مالك حين ركب: ما أصنعُ بالرُّكوب! واللَّهِ لأن أقتَل ها هنا أحبّ إليّ مِنْ أن أقتل في بيتي؛ أين أهلُ البصائر؟ أين أهلُ الصّبر؟ فثابَ إليه نحوٌ من خمسين رجلاً، وذلك عند المساء، فكَرّ على أصحاب محمَّد بن الأشْعَث، فقُتل محمَّد بنُ الأشعث إلى جانبه هو وعامَّة أصحابه، فبعضُ الناس يقول: هوَ قتل محمَّد بنَ الأشعث، ووُجد أبو نِمْرَانَ قتيلاً إلى جانبه ـ وكِندةُ تَزعم أنّ عبدَ الملك بن أشاءَة الكِنْدِيّ هو الَّذِي قَتَله ـ فلمَّا مرّ المختار في أصحابه على محمَّد بن الأشْعث قَتِيلاً قال: يا مَعشَر الأنصار، كُرّوا على الثَّعالب الرّوّاغة، فحملوا عليهم، فَقُتِل؛ فَخَثْعمُ تَزعم أن عبدَ الله بنَ قُراد هو الَّذِي قَتَله[1].

٦ ـ **قال أبو مِخنَف**: وسمعتُ عوف بن عَمرو الجشميّ يَزعمُ أن مولًى لهم قَتَله، فادّعى قَتَله أربعَة نَفر، كلّهم يَزعم أنه قتله، وانكَشَف أصحابُ سعيد بن مُنقِذ، فقاتل في عِصابة من قومه نحو من سبعين رجلاً فَقتِلوا، وقاتل سليم بن يزيد الكنديّ في تسعين رجلاً من قومه، وغيرهم ضارَبَ حتَّى قُتِل، وقَاتَلَ المختارُ على فَم سِكة شَبَث، ونَزَل وهو يريد ألاّ يَبرَح، فقاتَلَ عامَّةَ ليلتِه حتَّى انصرفَ عنه القوم، وقُتِل معه ليلتئذ رجالٌ من أصحابه مِن أهل الحِفاظ، منهم عاصمُ بن عبد الله الأزديّ، وعيّاش بنُ خازم الهَمْداني، ثمّ الثَّوريّ، وأحمر بنُ هديج الهَمْدانيّ ثمّ الفايشيّ[2].

٧ ـ **قال أبو مِخنَف**: حدّثنا أبو الزّبير أنّ هَمْدانَ تَنادَوا ليلتئذ: يا معشرَ هَمْدان، سِيفُوهم فقاتِلوهُم أشدَّ القِتال؛ فلمَّا أن تفرّقوا عن المختار قال له أصحابُه: أيها الأمير، قد ذهب القومُ فانصرف إلى مَنزِلك إلى القَصْرِ، فقال المختار: أما والله ما نزلتُ وأنا أريدُ أن آتي القَصْر، فأما إذ انصرَفوا فاركبوا بنا على اسم الله؛ فجاء حتَّى دخل القَصْر، فقال الأعشى[3] في قَتْل محمَّد بن الأشعَث:

---

(١) الطبري ٦/٩٨ ـ ١٠١.

(٢) الطبري ٦/١٠١.

(٣) هو أعشى همدان.

تأوَّبَ عَيْنَكَ عُوَّارُهَا ... وَعَادَ لِنفسك تَذْكارُهَا
وإحدى لَيالِيكَ راجَعْتَها ... أرِقْتَ ولوَّمَ سُمَّارُها
وما ذاقَتِ العينُ طَعْمَ الرُّقَا ... دِ حتَّى تَبلَّجَ إسفارُها
وقامَ نُعَاةُ أبي قاسم ... فأسبل بالدمع تَحْدارُها
فحقُّ العيون على ابن الأشـ ... ـجِّ ألاّ يُفَتَّرَ تَقطَارُها
وألَّا تَزالَ تُبكِّي له ... وتَبتَلُّ بالدّمع أشفارُها
عليك محمّدُ لمّا ثَوَيْـ ... ـتَ تَبكِي البلادُ وأشجارُها
وما يَذْكُرونك إلاّ بَكَوا ... إذا ذِمَّةٌ خانَها جارُها
وعاريةٍ من لَيالي الشِّتا ... ءِ لا يتمنَّحُ أيسارُها
ولا يُنبِحُ الكلبُ فيها العَقُو ... رَ إلا الهريرُ وتخْتارُها
ولا ينفعُ الثوبُ فيها الفتى ... ولا رَبَّةَ الخِدْر تَخدَارُها
فأنتَ مُحَمَّدٌ في مِثْلِها ... مُهينُ الجزائرِ نَحَّارها
تَظَلّ جِفانُك مَوْضوعة ... تَسِيلُ من الشَّحم أصْبَارُها
وما في سقائك مُسْتنطَفٌ ... إذا الشَّوْلُ رَوح أغبارُها
فيا وَاهِبَ الوُصَفاءِ الصِّبَا ... ح إن شُبِرَتْ تَمّ إشبارُها
ويا وَاهِبَ الجُرْد مِثْلَ القِدا ... ح قَدْ يُعجِبُ الصّفّ شُوَّارها
ويا واهبَ البَكَرات الهِجا ... نِ عُوذاً تَجاوَبُ أبكارُها
وكنتَ كدِجْلَةَ إذْ تَرْتَمي ... فيُقذَفُ في البحر تَيَّارُها
وكنتَ جليداً وذا مِرَّةٍ ... إذا يُبتَغى منكَ إمرارُها
وكنتَ إذا بَلدةٌ أصْفَقَتْ ... وآذَنَ بالحَرْب جَبَّارُها
بَعثْتَ عليها ذَواكِي العُيو ... نِ حتَّى تَواصل أخبارُها
بإذنِ مِن اللَّهِ والخيلُ قد ... أُعِدَّ لذلك مِضمَارُها
وقد تُطعَمُ الخيلُ منك الوَجِيـ ... ـفَ حتَّى تُنَبَّذ أمهارُها
وقد تَعلَمُ البازلُ العَيْسَجُو ... رُ أنَّك بالخَبْتِ حَسَّارُها
فيا أسفَي يومَ لاقيتَهُمْ ... وخانتْ رجالَك فُرَّارُها
وأقبلتِ الخيلُ مَهزُومَةً ... عِشاراً تُضَرَّبُ أدبارُها
بشطِّ حَرُوراءَ واسْتَجْمَعَتْ ... عليكَ المَوالي وسَحَّارُها
فأخطرتَ نفسَك من دُونهم ... فحازَ الرَّزيئةَ أخطارُها
فلا تَبعَدَنَّ أبا قاسمٍ ... فقد يَبلُغُ النفسَ مِقدارُها

وأفنى الحوادثُ سَادَاتِنا ... ومَرُّ الليالي وتَكْرَارُها

قال هشام: قال أبي: كان السائب أتى مع مُصعِب بنِ الزّبير، فقتله وَرْقاء النَّخعيّ مِنْ وَهْبيل، فقال وَرْقاء:

مَن مُبلغٌ عنّي عُبَيْداً بأَنَّني ... عَلوتُ أخاه بالحُسام المهَنَّد
فإنْ كنتَ تبغِي العلمَ عنه فإنَّه ... صريعٌ لَدَى الدَّيرين غيرُ مُوَسَّدِ
وعَمْداً علوتُ الرأسَ منه بصارمٍ ... فأثكلتُهُ سُفْيانَ بعدَ محمّدِ[1]

٨ ـ **قال هشام عن أبي مِخنَف، قال**: حدّثني حَصِيرة بن عبد الله، أنّ هِنداً بنت المتكلّفة الناعِطيّة كان يَجْتَمع إليها كلّ غالٍ من الشيعة فيتحدّث في بَيْتها وفي بيتِ لَيْلى بنت قُمامَة المُزَنيَّة، وكان أخوها رِفاعة بن قمامَة من شيعة عليّ، وكان مقتصداً، فكانت لا تُحبُّه، فكان أبو عبد الله الجُدَليّ، ويَزيد بن شَراحِيل قد أخبرَا ابنَ الحنفيَّة خبرَ هاتَين المرأتين وغلوَّهما وخبر أبي الأحراس المراديّ، والبُطَيْن الليثيّ، وأبي الحارِث الكِنْدَيّ[2].

٩ ـ **قال هشام عن أبي مِخنَف، قال**: حدّثني يحيى بنُ أبي عيسى، قال: فكان ابنَ الحنفيَّة قد كتب مع يزيدَ بنِ شراحِيل إلى الشيعة بالكوفة يُحذِّرهم هؤلاء، فكتب إليهم:

من محمَّد بن عليّ إلى مَن بالكوفة مِن شِيعتنا.

أمَّا بعد، فاخرُجوا إلى المجالس والمسَاجد فاذكروا الله علانية وسِراً ولا تتّخذوا مِنْ دُون المؤمنين بِطَانَةً، فإنْ خَشيتم على أنفسكم فاحذروا على دينكم الكذّابين، وأكثِروا الصلاة والصّيام والدّعاء، فإنَّه ليس أحدٌ من الخَلْق يَمْلِك لأحد ضَرًّا وَلَا نَفْعاً إلاّ ما شاء الله، وكلُّ نفس بما كَسَبَتْ رَهِينَة، وَلا تَزِرُ وازِرَةٌ وِزْرَ أخرى، والله قائمٌ على كلِّ نفس بما كسبَتْ؛ فاعمَلوا صالحاً، وقدّموا لأنفسكم حَسَناً، ولا تكونوا من الغافلين، والسلام عليكم[3].

---

(١) الطبري ٦/١٠١ ـ ١٠٣.
(٢) الطبري ٦/١٠٣.
(٣) الطبري ٦/١٠٣ ـ ١٠٤.

١٠ ـ **قال أبو مِخنَف**: فحدّثني حَصيرة بنُ عبدِ الله، أنّ عبد الله بن نَوْف خرج من بيت هند بنتِ المتكلّفة حين خرج الناسُ إلى حَرُوراءَ وهو يقول: يومُ الأربعاء، ترقّعت السماءَ، ونَزَلَ القضاء، بهزيمة الأعداء، فاخرجوا على اسم الله إلى حَروراء. فخرج، فلمّا التقى الناس للقتال ضُرِب على وجهه ضَربةً، ورجع الناسُ منهزِمين، ولقيَه عبدُ الله بنُ شريك النَّهْديّ، وقد سمع مقالتَه، فقال له: ألم تزعمْ لنا يا بن نَوْف أنّا سنهزمهم! قال: أوَ ما قرأت في كتابِ الله: ﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾[1]! قال: فلمّا أصبَح المصعَب أقبلَ يَسير بِمَن مَعَه من أهل البصرة ومَنْ خرج إليه من أهلِ الكوفة، فأخذ بهم نحو السّبَخة، فمرّ بالمهلَّب، فقال له المهلَّب: يا لَه فتحاً ما أهنأهُ لو لم يكن محمَّد بنُ الأشعثِ قُتِل! قال: صدقتَ، فرَحِم اللَّهُ محمَّداً. ثمّ سار غير بعيد، ثم قال: يا مهلَّب، قال: لبَّيك أيها الأمير؛ قال: هل علمتَ أنّ عُبيدَ الله بنَ عليّ بن أبي طالب قد قُتِل! قال: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾[2]، قال: المُصْعَب: أمَّا إنَّه كان ممَّن أحبّ أن يرى هذا الفَتْح، ثم لا نَجْعَل أنفسَنا أحقّ بشيء ممَّا نحن فيه منه، أتدري مَن قَتَله؟ قال: لا؛ قال: إنَّما قَتَله مَن يزعم أنَّه لأبيه شِيعة، أما إنَّهم قد قَتَلوه وهم يعرِفونه.

قال: ثمّ مضى حتَّى نزل السَّبَخة فقَطع عنهم الماء والمادّة، وبعث عبدَ الرّحمن بن محمد بن الأشعث فنَزَل الكُناسة، وبعث عبد الرحمن بنَ مِخنَف بن سليم إلى جَبَّانة السَّبيع، وقد كان قال لعبد الرحمنِ بن مِخنَف: ما كنت صنعتَ فيما كنتُ وكَّلتُك به؟ قال: أصلَحك الله! وجَدْت الناسَ صِنْفَين؛ أمَّا مَن كان له فيك هَوًى فخرج إليك، وأمَّا مَن كان يرى رأيَ المُختار، فلم يكن لِيدَعهي ولا لِيُؤثِر أحداً عليه، فلم أبرح بَيْتي حتى قدمتَ؛ قال: صدقت؛ وبعث عبَّاد بن الحُصَين إلى جَبَّانة كِنْدة، فكلّ هؤلاء كان يَقطَع عن المختارِ وأصحَابِه الماءَ والمادّة، وهم في قصر المُخْتار، وبعث زَحْر بن قَيْس إلىَ جبَّانة مُراد، وبعث عُبيدَ الله بن الحرّ إلى جَبَّانة الصائديّين[3].

---

(١) سورة الرعد: الآية ٣٩.

(٢) سورة البقرة: الآية ١٥٦.

(٣) الطبري ١٦/١٠٤ ـ ١٠٥.

١١ ـ **قال أبو مِخنَف**: وحدّثني فُضَيل بن خَدِيج، قال: لقد رأيتُ عبيدَ الله ابن الحُرّ؛ وإنَّه ليطارِد أصحابَ خَيْل المختار، يُقاتِلهم في جَبَّانة الصائديّين ولرّبما رأيتُ خيلَهُم تَطْرُدُ خيلَه، وإنَّهُ لوراءَ خَيله يَحْمِيها حتَّى يَنْتَهي إلى دار عِكرِمة، ثم يَكُرّ راجعاً هو وخيلُه، فيَطرُدهم حتَّى يُلحقَهم بجبَّانة الصائديّين، ولربَّما رأيت خيلَ عُبيد الله قد أخذتْ السقّاء والسقّاءين فيُضرَبون، وإنَّما كانوا يأتونهم بالماء أنَّهم كانوا يُعطونهم بالرّاوية الدينارَ والدينارَين لِما أصابَهم من الجَهْد. وكان المختار ربَّما خرج هو وأصحابُه فقاتلوا قِتالاً ضعيفاً، ولا نكاية لهم، وكانت لا تَخرج له خيلٌ إلاّ رُميتْ بالحِجارة من فوقِ البُيوت، ويُصَبّ عليهم الماءُ القَذِر. واجترأ عليهم الناس، فكانت معايشُهم أفضلها من نسائهم، فكانت المرأةُ تخرج من منزلِها معها الطَّعام واللَّطَف والماء، قد التحفتْ عليه، فتخرُج كأنَّما تريد المسجدَ الأعظَم للصّلاة، وكأنَّها تأتي أهلها وتزورُ ذاتَ قَرابة لها، فإذا دَنت من القَصر فُتِح لها، فدخلتْ على زوجِها وحَميمها بطعامِه وشرابه ولَطفَه. وإن ذلك بلغ المصعب وأصحابَه، فقال له المهلَّب ـ وكان مجرّباً: اجعلْ عليهمُ دُرُوباً حتَّى تَمنَع من يأتيهم مِن أهلِيهم وأبنائهم، وتَدَعهم في حِصْنهم حتى يموتوا فيه. وكان القومُ إذا اشتدّ عليهم العَطَش في قصرهم استقَوْا من ماء البئر. ثمّ أمر لهم المختارُ بعَسَل فصبّ فيه ليُغَيّرَ طعمَه فيَشربوا منه، فكان ذلك أيضاً ممَّا يُروي أكثرهم. ثمّ إنّ مصعباً أمر أصحابَه فاقتربوا من القَصْر، فجاء عبَّاد بنُ الحُصَين الحَبَطيّ حتَّى نزل عند مسجد جُهَيْنة، وكان ربَّما تقدّم حتَّى ينتهي إلى مسجِد بني مخزوم، وحتَّى يَرمي أصحابُه مَن أشرَف عليهم من أصحاب المختار من القَصْر، وكان لا يَلقَى امرأةً قريباً من القصر إلاّ قال لها: مَن أنتِ؟ ومن أين جئتِ؟ وما تريدين؟ فأخذَ في يوم ثلاثَ نسوة للشِّباميِّين وشاكر أتَيْن أزواجهنّ في القَصْر، فبعث بهنّ إلى مصعب، وإنّ الطَّعام لمعهنّ، فردّهنّ مصعب ولم يَعرِض لهنّ، وبعث زَحْر بن قيس، فنَزَل عند الحدّادين حيث تُكْرَى الدّوابّ، وبعث عُبيد الله بن الحُرّ فكان موقِفُه عند دارِ بلال، وبعث محمَّد بن عبدِ الرّحمن بن سعيد بن قيس فكان مَوقِفه عند دارِ أبيه، وبعث حَوْشَب بن يزيد فوَقَف عند زُقاقِ البَصْريّين عند فم سكة بني جَذِيمَة بن مالك من بني أسَد بنِ خُزَيمة، وجاء المهلَّب يسير حتَّى نزل جِهار سوج خُنيس، وجاء عبدُ الرحمن بنُ

مخنَف من قبَل دار السِّقاية، وابتدر السوقَ أناسٌ من شَبابِ أهل الكُوفة وأهلِ البصرة، أغمار ليس لهم عِلمٌ بالحرب، فأخذوا يِصِيحون ـ وليس لهم أميرٌ: يابن دَومة، يابن دَومَة! فأشرَف عليهم المختارُ فقال: أما والله لو أن الذي يعيّرني بدَوْمة كان من القَريتين عظيماً ما عَيَّرني بها. وبصُر بهم وبتفرُّقهم وهيئتهم وانتشارهم، فطمِع فيهم، فقال لطائفة من أصحابه: اخرُجوا معي، فخرج معه منهم نحوٌ من مائتيْ رجل، فكرّ عليهم، فشدخ نحواً من مائة، وهزمهم، فركب بعضُهم بعضاً، وأخذوا على دارِ فراتِ بنِ حيَّانِ العِجْليّ. ثمّ إنّ رجلاً من بني ضَبَّة من أهل البَصْرة يقال له يحيى بن ضَمضَم، كانت رِجلاه تكادان تَخُطّان الأرضَ إذا رَكِب من طُوله، وكان أقتَل شيء للرجال وأهيَبَهُ عندهم إذا رأوَه، فأخذَ يَحمِل على أصحاب المختار فلا يَثبتُ له رجل صَمَد صَمدَه، وبَصُرَ به المختار، فحمَل عليه فضَرَبه ضربةً على جَبهتَه فأطار جَبهته وقحفَ رأسِه، وخرَّ ميّتاً. ثمّ إنّ تلك الأمراء وتلك الرؤوسَ أقبَلوا من كلّ جانب، فلم تكن لأصحابه بهمْ طاقة، فدخلوا القصر، فكانوا فيه، فاشتدّ عليهم الحصار فقال لهم المختار: ويحْكم! إنّ الحصارَ لا يَزيدي كم إلاّ ضَعْفاً، انزلوا بنا فُلْنقاتل حتَّى نُقتِل كِراماً إن نحن قُتِلنا، والله ما أنا بآيس إن صدقتموهم أن يَنصركم اللَّهُ، فضَعُفوا وعجِزوا، فقال لهم المختار: أمَّا أنا فوالله لا أعطِي بيَدِي ولا أحكّمهم في نفسي. ولمَّا رأى عبدُ الله ابنُ جعدةَ بنُ هُبَيرة بن أبي وَهْب ما يريد المختار تَدلّى من القصر بحبْل، فلَحِق بأناس من إخوانه، فاختبأ عندهم. ثم إنّ المختار أزمَع بالخروج إلى القوم حين رأى من أصحابه الضعف، ورأى ما بأصحابه من الفشل، فأرسل إلى امرأته أمّ ثابت بنت سَمُرة بن جُندب الفَزاريّ، فأرسلتْ إليه بطيب كثير، فاغتسل وتحنّط، ثمّ وضع ذلك الطيب على رأسِه ولِحيته، ثمّ خرج في تسعة عشرَ رجلاً؛ فيهم السائب بنُ مالك الأشعريّ ـ وكان خليفتَه على الكوفة إذا خرج إلى المَدائن ـ وكانتْ تحتَه عَمْرةُ بنتُ أبي موسى الأشعريّ، فولدت له غلاماً، فسمّاه محمَّداً، فكان مع أبيه في القصر، فلمَّا قُتل أبوه وأخِذ مَن في القصر وُجِد صبيًّا فتُرك، ولمَّا خرج المُختار من القصر قال للسَّائب: ماذا ترى؟ قال: الرّأيُ لك، فماذا ترى؟ قال: أنا أرَى أم الله يَرَى! قال: اللَّهُ يرَى، قال: وَيْحَك! أحمق أنت! إنَّما أنا رجل من العَرَب رأيتُ ابن الزّبير انتزَى على

الحِجاز، ورأيتُ نَجْدَةَ انتزَى على اليمامة، ومروانَ على الشام، فلم أكن دونَ أحد من رِجال العرب، فأخذتُ هذه البلادَ، فكنتُ كأحدهم؛ إلاّ أني قد طلبتُ بثأر أهلِ بيتِ النبيّ ﷺ إذ نامتْ عنه العرب، فقتلتُ مَن شرَك في دِمائهم، وبالغتُ في ذلك إلى يومِي هذا، فقاتِلْ على حَسبك إن لم تكن لكَ نِيَّة؛ فقال: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ﴾، وما كنت أصنع أن أقاتل على حَسَبي! فقال المختار عند ذلك يتمثَّل بقولِ غَيْلان بن سَلَمة بن مُعتَّب الثَّقَفِيّ:

ولـو يَـرَانـي أبـو غَـيْـلَانَ إذْ حَـسَـرَتْ — عـنِّـي الـهـمـومُ بـأمـرٍ مـا لـه طـبَـقُ
لـقـالَ رُهْـبـاً ورُغْـبـاً يُـجْـمَـعـان مـعـاً — غُنْمُ الحياةِ وهَولُ النفسِ والشَّفَقُ
إمـا تُـسِـف عـلـى مَـجْـدٍ ومَـكْـرُمَـةٍ — أو إسوة لـك فِـيـمَـن تُـهـلِـكُ الـوَرَقُ

فخرج في تسعةَ عشرَ رجلاً فقال لهم: أتؤمّنوني وأخرُج إليكم؟ فقالوا: لا، إلاّ على الحكم، فقال: لا أحكّمكم في نفسي أبداً، فضارب بسيفه حتى قُتِل، وقد كان قال لأصحابه حين أبَوْا أن يُتابِعوه على الخُروج معه: إذا أنا خرجتُ إليهم فقُتِلتُ لم تَزْدادوا إلاّ ضَعْفاً وذُلّاً، فإنْ نزلتم على حكمهم وثَب أعداؤكم الذين قد وَتَرْتموهم، فقال كلّ رجل منهم لبعضكم: هذا عندَه ثأري فيُقتل، وبعضُكم يَنظُر إلى مَصَارع بعض فيقولون: يا لَيْتنا أطَعْنا المختار وعَمِلنا برأيه! ولو أنكم خرجتم معي كنتمْ إن أخطأتُم الظفَر متمّ كِراماً، وإن هرب منكم هاربٌ فدخل في عشيرته اشتملتْ عليه عشيرتُه؛ أنتم غداً هذه الساعةَ أذلّ مَن على ظَهْر الأرض، فكان كما قال.

قال: وَزَعَم الناسُ أنّ المختارَ قُتِل عند موضع الزّيّاتِين اليومَ، قتله رجلان من بني حَنِيفة أخوَان يُدعَى أحدُهما طَرَفَةَ والآخر طرَّافاً؛ ابنا عبد الله بنَ دَجاجة من بني حَنِيفة. ولَمّا كان من الغَد مِن قتل المختار قال بُجَير بنُ عبد الله المُسْليّ: يا قوم، قد كان صاحبُكم أمسِ أشار عليكم بالرّأي لو أطعتموه. يا قوم، إنكم إن نزلتمْ على حُكم القوم ذُبِحتم كما تُذبَح الغَنَم، اخرُجوا بأسيافكم فقاتلوا حتى تموتوا كِراماً. فعصَوْه وقالوا: لقد أمَرنا بهذا مَن كان أطوعَ عندنا وأنصح لنا منك، فعصَيْناه، أفنحن نُطِيعك! فأمكن القوم من أنفسهم، ونزلوا على الحُكْم. فبعث إليهم مصعبٌ عبّاد بنَ الحُصَين الحَبَطيّ فكان هو يُخرِجهم مكتَّفين، وأوصَى عبد الله بن شدّاد

الجُشَميّ إلى عبّاد بن الحُصَين، وطلب عبد الله بنَ قُراد عصاً أو حديدة أو شيئاً يقاتل به فلم يَجِده، وذلك أنّ النداة أدركتْه بعد ما دخلوا عليه، فأخذُوا سيفَه، وأخرَجوه مكتوفاً، فمرّ به عبدُ الرحمن وهو يقول:

مـا كـنـتُ أخـشَـى أن أُرَى أَسِـيـرَا إنَّ الـذيـن خـالَـفُـوا الأمِـيـرَا
قـد رُغِّـمـوا وتُـبِّـرُوا تَـتْـبِـيـرَا

فقال عبدُ الرّحمن بنُ محمد بن الأشعث: عليّ بذا، قدّموه إليّ أضرِب عنقَه، فقال له: أما إني على دين جَدّك الذي آمَنَ ثمّ كفر؛ إنْ لم أكن ضربت أباك بسَيْفي حتى فاظَ. فنزل ثم قال: أدنُوه مني، فأدنَوْه منه، فقتله، فغضِب عبّاد، فقال: قتلتَه ولم تُؤمَر بقَتله!

ومرّ بعبد الله بنِ شدّادِ الجُشميّ وكان شريفاً، فطلب عبدُ الرحمن إلى عبّاد أن يَحبِسه حتى يُكلّم في الأمير، فأتى مُصعَباً، فقال: إني أحِبّ أن تَدفَع إليّ عبدَ الله بنَ شدّاد فأقتلَه، فإنه من الثأر، فأمر له به، فلما جاءه أخذه فضرب عنقَه، فكان عبّاد يقول: أما واللّهِ لو علمتُ أنك إنما تريد قتلَه لدفعتُه إلى غَيرِك فقتله، ولكني حسبتُ أنك تكلمه فيه فتخلّي سبيلَه. وأتِيَ بابن عبد الله بنِ شدّاد، وإذا اسمهُ شدّاد، وهو رجلٌ محتلِم، وقد اطّلَى بنُورة، فقال: اكشفوا عنه هل أدرَك! فقالوا: لا، إنما هو غلام، فخلوا سبيلَه، وكان الأسوَد بنُ سعيد قد طلب إلى مُصعَب أن يعرِض على أخيه الأمان، فإنْ نَزَل ترَكَه له، فأتاه فعرض عليه الأمان، فأبى أن ينزل، وقال: أموتُ مع أصحابي أحبّ إليّ من حياة معكم، وكان يقال له قيس، فأخرج فقتِل فيمن قُتِل؛ وقال بُجير بن عبدِ الله المُسْلِيّ ـ ويقال: كان مولًى لهم حين أتِيَ معه مصعب ومعه منهم ناسٌ كثير ـ فقال له المسلِيّ الحمد لله الذي ابتلانا بالإسار، وابتلاك بأن تعفو عنّا، وهما مَنزلتان إحداهما رِضَا الله، والأخرَى سخطه، من عَفَا عَفَا اللّهُ عنه، وزادَه عزًّا، ومن عاقَبَ لم يأمَن القِصاص. يابنَ الزّبير، نحن أهلُ قِبْلَتكم، وعلى مِلّتكم، ولسنا تُرْكاً ولا دَيلَماً، فإن خالِفْنا إخوانَنا من أهلِ مِصرِنا فإما أن نكون أصبْنا وأخطئوا، وإما أن نكون أخطأنا وأصابوا فاقتتلْنا كما اقتتل أهل الشام بينهم، فقد اختلفوا واقتتلوا ثمّ اجتمعوا، وكما اقتتل أهلُ البَصْرة بينهم فقد اختلفوا واقْتَتَلوا ثمّ اصطَلَحوا واجتمعوا، وقد ملكتم فأسجِحوا، وقد قَدرْتم

فاعْفُوا. فما زال بهذا القَوْل ونحوه حتى رَقَّ لهم الناسُ، ورَقَّ لهم مصعب، وأراد أن يخلّيَ سبيلَهم، فقام عبدُ الرحمن بنُ محمد بنِ الأشعث فقال: تُخلّي سبيلهم! اختَرنا يا بن الزبير أو اخترهم. ووثب محمد بنُ عبد الرّحمن بن سعيد بن قَيْس الهَمْدانيّ فقال: قُتِل أبي وخَمسمائة من هَمْدان وأشراف العشيرة وأهل المصر ثم تُخلّي سبيلَهم، ودماؤنا تَرقرَق في أجوافهم! اختَرْنا أو اخترْهم. ووَثَب كلّ قوم وأهل بيت كان أصيبَ منهم رجل فقالوا نحواً من هذا القول. فلما رأى مُصعبُ بنُ الزبير ذلك أمَرَ بقَتْلهم، فنادَوه بأجمَعِهم: يا بن الزّبير، لا تقتُلْنا، اجعَلْنا مقدّمَتَك إلى أهل الشام غداً، فوالله ما بك ولا بأصحابك عنّا غداً غِنًى، إذا لقيتم عدوَّكم فإن قتِلنا لم نُقتل حتّى نرقّهم لكم، وإن ظَفِرْنا بهم كان ذلك لك ولمن معك. فأبَى عليهم وتبع رضا العامة، فقال بجير المسلِيّ: إن حاجتي إليك ألاّ أقتَل مع هؤلاء القوم إني أمرتُهم أن يخرجوا بأسيافهم فيقاتلوا حتى يموتوا كِراماً فعصوْني، فقُدّم فقُتِل(١).

١٢ ـ **قال أبو مِخنَف: وحدّثني أبي، قال: حدّثني أبو رَوْق** أنّ مسافرَ بنَ سعيد بن نِمْران قال لمُصعب بنِ الزبير: يا بن الزّبير، ما تقولُ لِلّه إذا قَدمت عليه وقد قتلتَ أمة من المُسلِمين صَبْراً! حَكّموك في دمائهم، فكان الحقّ في دمائهم ألاّ تقتل نفساً مُسلِمة بغير نفس مُسلِمة، فإن كنا قتلْنا عِدّة رجال منكم فاقتلوا عِدَّةَ مَن قتلنا منكم، وخلّوا سبيلِ بقيّتنا، وفينا الآن رجالٌ كثير لم يشهدوا موطناً من حربنا وحَربِكم يوماً واحداً، كانوا في الجبال والسواد يَجْبون الخَراج، ويؤمِّنون السبيل. فلم يستمع له، فقال: قبّح الله قوماً أمرتُهم أن يَخرُجوا ليلاً على حَرَس سكةٍ من هذه السكك فنطردهم، ثمّ نَلحق بعشائرنا، فعَصوْني حتى حَمَلوني على أن أعطيت التي هي أنقص وأدنى وأوضع، وأبْوا أن يموتوا إلاّ ميتة العبيد، فأنا أسألُك ألاّ تَخلِط دمي بدِمائهم. فقُدّم فقُتل ناحية.

ثمّ إنّ المُصعَب أمر بكَفّ المختار فقُطعت ثمّ سُمّرت بمِسمار حديد إلى جنب المسجد، فلم يزل على ذلك حتى قدم الحجّاج بن يوسفَ. فنظر

---

(١) الطبري ٦/١٠٥ ـ ١١٠.

إليها فقال: ما هذه؟ قالوا: كَفّ المختار، فأمر بنَزْعها. وبعث مُصعَب عُمّاله على الجِبال والسواد، ثمّ إنه كتب إلى ابن الأشتر يدعوه إلى طاعته، ويقول له: إن أنتَ أجبتَني ودخلتَ في طاعتي فلك الشام وأعِنّة الخيل، وما غلبتُ عليه من أرضِ المغرب ما دام لآلِ الزّبير سُلطان. وكتب عبد الملك بن مروان من الشام إليه يدعوه إلى طاعته، ويقول: إن أنت أجَبْتَني ودخلتَ في طاعتي فلك العراق. فدعا إبراهيمُ أصحابه فقال: ما تَرَون؟ فقال بعضُهم: تدخل في طاعة عبدِ الملك، وقال بعضهم: تدخل مع ابن الزّبير في طاعته، فقال ابن الأشتر: ذاك لو لم أكن أصبتُ عبيد الله بن زياد ولا رؤساء أهلِ الشام تَبعتُ عبدَ الملك؛ مع أني لا أحبّ أن أختار على أهلِ مِصري مِصْراً، ولا على عشيرتي عشيرة. فكتب إلى مصعب، فكتب إليه مصعبٌ أن أقبِل، فأقبل إليه بالطاعة[1].

١٣ ـ **قال أبو مِخنَف:** حدّثني أبو جَنَاب الكلبيّ أنّ كتاب مُصعب قدم على ابن الأشتر وفيه:

أما بعد، فإنّ الله قد قتل المختار الكذّاب وشِيعتَه الذين دانُوا بالكفر، وكادُوا بالسّحر، وإنا ندعوك إلى كتاب الله وسنة نبيِّه، وإلى بَيْعة أمير المؤمنين، فإنْ أجبتَ إلى ذلك فأقبل إليّ، فإنّ لك أرض الجزيرة وأرض المغرب كلّها ما بقيت وبقِيَ سلطانُ آل الزبير، لك بذلك عهدُ الله وميثاقُه وأشدّ ماأخذ الله على النبيِّين من عهد أو عقد؛ والسلام.

وكتب إليه عبدُ الملك بنُ مَرْوان:

أما بعد، فإنّ آل الزبير انتَزَوْا على أئمة الهدى، ونازعُوا الأمرَ أهلَه، وألحَدُوا في بيت الله الحَرام واللّهُ مُمكِن منهم، وجاعل دائرةَ السوْء عليهم، وإني أدعوك إلى الله وإلى سُنة نبيّه. فإن قَبلتَ وأجبتَ فلك سلطانُ العراقِ ما بقيتَ وبقيتُ. عليّ بالوفاء بذلك عهدُ الله ومِيثاقُه.

قال: فدعا أصحابَه فأقرأهم الكتاب، واستشارهم في الرأي، فقائلٌ يقول عبد الملك، وقائل يقول: ابن الزبير؛ فقال لهم: ورأيي اتّباع أهلِ

---

(١) الطبري ٦/ ١١٠ ـ ١١١.

الشام، ولكن كيف لي بذلك، وليس قبيلة تسكُن الشام إلاّ وقد وَتَرْتُها، ولستُ بتارك عشيرتي وأهل مصري! فأقبل إلى مُصعَب، فلما بلغ مصعباً إقباله بعث المهلب إلى عمله، وهي السنة التي نزل فيها المهلب على الفُرات[1].

١٤ ـ **قال أبو مخنف**: حدّثني أبو عَلْقمة الخَثعميّ أنّ المُصعَب بَعث أمّ ثابت بنتِ سَمُرة بنِ جُندَب امرأةِ المُختار وإلى عَمْرة بنت النعمان بن بَشير الأنصاريّ ـ وهي امرأةُ المختار ـ فقال لهما: ما تقولان في المختار؟ فقالت أمّ ثابت: ما عسينا أن نقول! ما نقول فيه إلاّ ما تقولون فيه أنتم، فقالوا لها: اذهبي، وأما عَمرة فقالت: رحمة الله عليه، إنه كان عبداً من عِبادِ الله الصالحين، فرَفعها مصعب إلى السجن، وكتب فيها إلى عبدِ الله بن الزّبير إنها تزعم أنه نبيّ، فكَتَب إليه أن أخرِجْها فاقتُلها. فأخْرَجها بين الحِيرة والكُوفة بعد العَتَمة، فضَرَبَها مَطَرٌ ثلاثَ ضَرَبات بالسيف ـ ومطَرٌ تابعٌ لآل قَفَل من بني تَيْم الله بنِ ثَعْلبة، كان يكون مع الشُّرَط ـ فقالت: يا أبتاه، ياأهلاه، يا عَشِيرتاه! فسمِع بها بعضُ الأنصار، وهو أبان ابنُ النعمان بن بشير، فأتاه فلطمه وقال له: يابن الزّانية، قطعتَ نفسَها قطع اللَّهُ يمينَك! فَلزِمه حتى رفعه إلى مصعب، فقال: إنّ أمي مسلمة، وادّعى شهادة بني قَفَل، فلم يَشهَد له أحد؛ فقال مصعب: خلّوا سبيلَ الفتى فإنه رأى أمراً فظيعاً، فقال عمرُ بن أبي ربيعة القُرَشيّ في قتل مصعب عَمْرَة بنتَ النعمان بن بشير:

إنَّ مِن أعْجَبِ العجائبِ عِندِي ... قَتْلَ بَيْضاءَ حُرَّةٍ عُطْبولِ[2]
قُتِلَتْ هكذا على غيرِ جُرْمِ ... إنَّ للَّهِ دَرَّها من قَتيلِ
كُتِبَ القَتلُ والقِتالُ علينا ... وعلى المحْصنَاتِ جَرُّ الذُّيولِ[3]

١٥ ـ **قال أبو مخنف**: حدثني محمد بنُ يوسفَ، أنّ مصعباً لقِي عبدَ الله بن عمر فسلّم عليه، وقال له: أنا ابنُ أخيك مصعب، فقال له ابنُ

---

(١) الطبري ٦/ ١١١ ـ ١١٢.
(٢) ملحق ديوانه ٤٩٨.
(٣) ن.م ٦/ ١١٢.

عمر: نعم، أنتَ القاتلُ سبعةَ آلاف من أهل القبلة في غَداة واحدة! عِشْ ما استطعتَ! فقال مصعب: إنهم كانوا كفرة سَحَرة؛ فقال ابنُ عمر: واللّهِ لو قتلت عدَّتهم غنَماً من تُراثِ أبيك لكان ذلك سَرَفاً، فقال سعيد بن عبدِ الرّحمن بنِ حسّان بن ثابت في ذلك:

أتى راكبٌ بالأمر ذي النَّبَإِ العجبْ ... بقتلِ ٱبنةَ النعمان ذِي الدِّين والحسَبْ
بقتلِ فَتَاةٍ ذاتِ دلٍّ سَتِيرَةٍ ... مُهَذَّبة الأخلاقِ والخِيم والنَسبْ
مطهَّرةٍ من نَسْلِ قوم أكارم ... من المُؤْثِرين الخير في سالِفِ الحِقَب
خليلُ النبيِّ المصطفى ونَصِيرُهُ ... وصاحبُه في الحَرْب والنَّكْبِ والكُرَب
أتاني بأَنَّ المُلْحِدِين تَوافَقوا ... على قَتلِها لا جُنِّبُوا القتلَ والسَّلَبْ
فلا هَنَأْتْ آلَ الزبير معيشةٌ ... وذاقُوا لباسَ الذُّلِّ والخوفِ والحَرَبْ
كأنَّهُمْ إذ أبرَزُوها وقُطِّعَتْ ... بأسيافِهِمْ فازُوا بِمَملكة العَرَبْ
ألم تَعجَبِ الأَقوامُ من قَتلِ حُرَّةٍ ... من المُحْصَنات الدّين محمودةِ الأَدبْ!
من الغافلاتِ المؤمناتِ، بَريئةٍ ... من الذَّمِّ والبُهْتان والشَّكِّ والكذِبْ
علينا كتابُ القَتل والبأْسِ واجبٌ ... وهُنَّ العفَافُ في الحِجَال وفي الحُجُب
على دِينِ أجدادٍ لها وأُبوَّةٍ ... كِرام مَضَت لم تُخْزِ أهلا ولم تُرِبْ
من الخفِرات لا خَرُوجٌ بَذِيَّةٌ ... مُلائِمَة تَبْغِي على جَارِهَا الجُنبْ
ولا الجارِ ذي القُرْبَى ولم تَدْرِ ما الخنا ... ولم تزدَلِفُ يوماً بسُوءٍ ولم تجِبْ
عَجِبْتُ لها إذ كُفِّنَتْ وَهْيَ حَيَّةٌ ... ألَا إنَّ هذا الخَطْبَ من أعجَبِ العَجَب[1]

(١) الطبري ٦/ ١١٢ ـ ١١٣.



المصادر والمراجع

● **القرآن الكريم**

١ ـ **الأخبار الطوال:**

للدينوري: أبي حنيفة، أحمد بن داود (ت ٢٨٢هـ).

تحقيق: عبد المنعم عامر.

مط عيسى البابي الحلبي ـ مصر ١٩٦٠.

٢ ـ **أنساب الأشراف:**

للبلاذري: أحمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٧٩هـ).

ج٥: ط القدس ١٩٣٨م.

٣ ـ **تاريخ الطبري** (تاريخ الرسل والملوك):

للطبري: أبي جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ).

تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم.

ط دار المعارف بمصر ١٩٦١م.

٤ ـ **تاريخ أبي مخنف** (لوط بن يحيى الغامدي الأزدي الكوفي: (ت ١٥٧هـ):

تحقيق: كامل سلمان الجبوري.

ط بيروت ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م.

٥ ـ **الكامل في التاريخ:**

لابن الأثير: عز الدين أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني (ت ٦٣٠هـ).

ط دار صادر ـ بيروت.

٦ ـ **مقتل الحسين عليه السلام:**

للخوارزمي: الموفق أحمد بن محمد البكري الحنفي المكي (ت ٥٦٨هـ).

تحقيق: الشيخ محمد بن طاهر السماوي.

ط النجف ١٣٦٧هـ/ ١٩٤٨م.

الفهرس

